بستان الخطيب

الجزء الثامن

دار الكتب اليمنية

مكتبة خالد بن الوليد

د/ أمير بن محمد المدري

الطبعة الرابعة

الحقوق محفوظة لكل مسلم

«الطبعــة الرابعة»

«١٤٤٥هـــ - ٢٠٢٣م»

المحتويات

المحتويات

المقدمة ٦
أبواب القلب (١) ٩
أبواب القلب (٢) ٢٠
أبواب القلب (٣) ٢٧
أبواب القلب (٤) ٣٥
أبواب القلب (٥) ٤٣
مع الخوف والخائفين (١) ٥٣
مع الخوف و الخائفين (٢) ٦٢
مع الخوف والخائفين(٣) ٦٩
مع الخوف والخائفين (٤) ٧٧
الذئب ٨٥
زيارة إلى بيت المصطفى (١) ٩٣
زيارة إلى بيت المصطفى (٢) ١٠١
زيارة إلى بيت المصطفى (٣) ١٠٩
النظافة ١١٨
رمضان شهر المسابقة والمنافسة ١٢٥
غضب الله ورضاه ١٤٣
مواقف بكى فيها النبي ١٤٩
نهاية العام الهجري-محرم ١٦٨
وداع الحبيبين: رسول الله -رمضان ١٧٧
خطبة عيد الفطر ١٨٦
أسباب شرح الصدور(٤) ١٩٢
الابتسامة ٢٠١
كلمة «ليت» ٢٠٨
من ضارّ مسلم ٢١٧
السميط رجل بأمة ٢٢٤
ختام ٢٣٤

وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا

الحمد لله وكفى وصلاةً وسلاماً على عبده المصطفى وعلى آله وصحبه ومن اقتفى. . . وبعد

فإنّ الخطابة مسؤولية عظمى لا يعلم حجم خطورتها إلا من يعلم أهميتها، فهي منبر التوجيه والدعوة وإحياء السُّنن وقول الحق وقمع البدع، والخطباء في المساجد هم دعاة الإسلام وحُماة الشريعة، ونوّاب النبي -ﷺ- في توجيه أمته، ولهذا يُكّن لهم الجمهور الحب والاحترام والتقدير، ولكن ذلك لا يعني ادعاء العصمة لهم فهم بشر يصيبون ويخطئون، وفي كثير منهم ألوان من القصور وأنواع من التعقيد وعدم التأثير.

والمتأمل أنه كان لرسول الله -ﷺ- منبرٌ واحد مصنوع من الخشب، ليس فيه براعة النقش ولا روعة الفن، دعا الأمة منه؛ فلبّت الدنيا واستجاب العالم وتغيّر وجه الأرض وأشرقت بعد ظلماتها وعماها. واليوم تملك الأمة أكثر من مائة ألف منبر في أنحاء المعمورة، أكثرها مزخرف منقوش، تفنن في تشييده أهل العمارة وعباقرة الفن، تحوي المكبرات والإذاعات التي تحمل الصوت إلى آفاق البلاد؛ فيسمع خطباؤها الملايين ورغم ذلك كله فلا نلمس لها أثراً في إصلاح ولا توجيهاً للأمة ولا علاجاً للانحرافات والأمراض إلا ما رحم الله!

والجواب: فتّش عن المنبر وأهله. نعم إن المنبر إذا أُحسن استغلاله والاستفادة منه وتوجيهه كان له أعظم الأثر في الأمة لما يمثله من مهابة ومكانة في حس كثير من المسلمين.

وإصلاح المنبر لا يكون بزخرفته وتشييده، وإنما يكون بالنهوض به وإصلاح من يرتقيه، وهو الخطيب، وإصلاحه:

- يكون بتبصيره برسالته ودوره وأثره.
- يكون بإشعاره بمكانة الثغر الذي يقف عليه وتحذيره من أن تُؤتى الأمة من قِبله.

❁ يكون بتكاتف الأمة ولاةً وعلماء ودعاة ومصلحين وخطباء وعامة، بتكاتف هؤلاء جميعاً وجهودهم للنهوض بالخُطبة والخطيب من خلال الدراسات الشرعية التي تُعنى بذلك، من خلال إنشاء المعاهد والجامعات التي تخرج الخطباء النجباء.

❁ من خلال تنظيم الدورات التدريبية والمؤتمرات الدورية والتناصح بين الأئمة والعلماء والخطباء وتبادل التجارب والخبرات.

❁ يكون بالعمل على تحقيق كفاية الخطباء وتوفير سُبل الحياة الكريمة لهم، وتوفير حرية الصدع بالكلمة دون خوفٍ أو ضرر(١).

وها نحن نلتقي مجدداً في ضلال هذا البستان المبارك الذي ينهل منه كل مسلم، والخطيب خاصَّة، إنه «**بستان الخطيب**» ووصلنا بحمد الله إلى (**الجزء الثامن**) بطبعته الرابعة، يعيش الخطيب في ظلاله ويسبح في أنهاره، ويبدأ في تحضير خطبته بطريقته الخاصة وأسلوبه البارع.

مع ملاحظة أن الخطبة الواحدة قد يبني منها الخطيب خطبتين أو ثلاث، مراعياً الوقت المناسب لإلقاء خطبته الرصينة.

فقد عاتبني بعض الخطباء من طول بعض الخطب، ونسي هؤلاء أن الخطيب المتميز كالنحلة تمتص آلاف الأزهار لتُخرج جرامات من العسل، وهذا هو الخطيب البارع يجمع من هنا وهناك ما يناسب مجتمعه ومصليه وبيئته.

أسأل الله أن ينفع بهذا الكتاب و يجعله صالحاً ولوجهه خالصاً، وأن يكون ذخراً ليوم المعاد إنه ولي ذلك والقادر عليه، والله تعالى أعلى وأعلم وصلّ اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

د/ أمير بن محمد المدري

---

(١) من مقدمة كتاب خمسون وصية ووصية لتكون خطيباً ناجحاً للمؤلف.

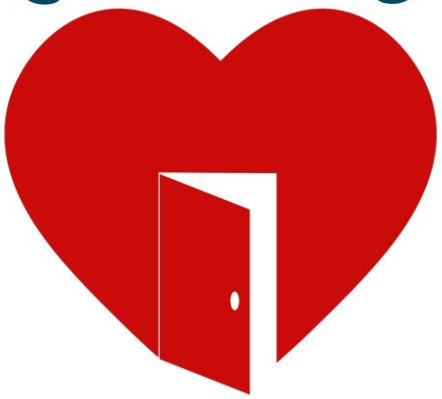

أبواب القلب

(١)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه. ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان. قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ [سُورَةُ آلِ عِمۡرَانَ: ١٠٢].

أما بعد:

عبد الله:

اتقوا الله واتقوا يوماً تُرجعون فيه إلى الله، يومَ يُنفخ في الصورِ، ويُبعث من في القبورِ، ويظهرُ المستورُ، يومَ تُبلَى السرائرَ، وتُكشَفُ الضمائرُ ويتميزُ البرُ من الفاجر.

نقف وإياكم مع أشرف شيء في الإنسان. مع المضغة التي لو صلحت صلُح سائر الجسد.

إنه القلب الذي صفاءه ونقاءه وسلامته شرطٌ لدخول الجنة، قال تعالى: ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ٨٩﴾ [سُورَةُ الشُّعَرَاءِ : ٨٨-٨٩]

القلب محل نظر الخالق جل وعلا، فالله لا ينظر إلى الصور والأموال والرُّتب وإنما ينظر إلى القلوب والأعمال.

القلب هو المحرك الذي يُغذّي أكثر من(٣٠٠)مليون مليون خلية في جسم الإنسان، ويبلغ وزنه (٢٨٥) جرام، وهو بحجم قبضة اليد ويسكن في الجهة اليسرى من الصدر ورغم ذلك فهو ذو سرٍ كبير من أسرار الخالق العظيم؛ فهو رمز الحياة.

أخي الكريم: يقوم قلبك منذ أن كنتَ جنيناً في بطن أمك -بعد(٢١) يوماً من الحمل- بالعمل على ضخ الدم في مختلف أنحاء جسدك، وعندما تصبح بالغاً يضخ قلبك في اليوم أكثر من سبعين ألف لتر من الدم وذلك كل يوم، هذه الكمية يضخها أثناء انقباضه وانبساطه، فهو ينقبض أو يدق كل يوم أكثر من مئة ألف مرة، وعندما يصبح عمرك(٧٠)سنة يكون قلبك قد ضخ مليون برميل من الدم خلال هذه الفترة!

هذا القلب بحاجة إلى حراسة وحماية من الشيطان ووساوسه.

قال بعض الحكماء: «مثَلُ القلب مثَلُ بيتٍ له ستة أبواب، ثم قيل لك: احذر أن يدخل عليك من أحد الأبواب شيء، فيفسد عليك البيت، فالقلب هو البيت، والأبواب: اللسان، والبصر، والسمع، والشم، واليدان، والرجلان، فمتى انفتح باب من هذه الأبواب بغير علم ضاع البيت».

ولذا كان من حرَس قلبه من أعظم الخلق وأزكاهم حتى لا يدخل منه العدو، فيجوس خلال الديار، ويفسد ما قُدِّر عليه فالمرابطة لزوم هذه الثغور، ولا يخلي مكانها، فيصادف العدو والثغر خالياً، فيدخل منها.

وهذه المرابطة حُكمها الشرعي أنها فرض عين على كل مسلم؛ كما أوضح ذلك أبو حامد الغزالي -رحمه الله-فقال: «حماية القلب عن وسواس الشيطان واجبة، وهو فرض عين على كل عبدٍ مُكلَّف، وما لا يُتوصَّل إلى الواجب إلا به فهو أيضاً واجب، ولا يُتوصَّل إلى دفع الشيطان إلا بمعرفة مداخله، فصارت معرفة مداخله واجبة».

أخي الحبيب: كم يساوي دينك عندك؟ اسمع ما يقول حازم سلمة بن دينار-رحمه الله-: « قد رضيت من أحدكم أن يُبقي على دينه كما يُبقي على نعليه ».

وهي كلمة قاسية، ولعله يعني بها أن أحدنا إذا دخل المسجد ومعه حذاءٌ غالٍ؛ خاف عليه اللصوص، فوضعه أمامه مخافة أن يُسرق، حتى لا يخرج من المسجد حافي القدمين، فإن حدث ونسي ووضع حذاءه وراء ظهره تشتت ذهنه في صلاته، وضاع خشوعه من أجل حذاء! وكان أول ما يفعل بعد التسليم: أن يلتفت بسرعة إلى مكان الحذاء يطمئن عليه!! وإن حدث وسُرِق حذاؤه وكان غالي الثمن؛ ظل حزيناً مكروباً أياماً عِدة حُزناً لعله لم يحزن مثله قط لضياع صلاة أو أكل حرام!!

والشيطان سارق الإيمان، فكيف لا يخاف الإنسان على إيمانه؟! وكيف لا يحذر أعدى أعدائه؟! وقد يترك إيمانه وراء ظهره؛ يسرق منه الشيطان ما يريد، وينهب منه كلما شاء، فيا أخي.. إيمانك أم حذاؤك؟! دينك أم نعلك؟! آخرتك أم أحقر ما في دنياك؟!

أخي الحبيب: لو أنك ورثت مالاً كثيراً أو كنزاً ثمينا، وأودعته بيتك؛ فهل تنسى باب بيتك مفتوحاً؟! أم تجعل عليه الأقفال الشِّداد؟! فهذا كنز إيمانك عِبْت به أيدي الغفلة والبطالة وأتباع الشياطين وأنت لم تضع عليه أي قفل؟! أليس أولى بالحراسة وأجدر بالحماية؟!

والآن مع أول هذه الأبواب وأهمها:

الباب الأول: اللسان: أسهل باب يتسلل منه الشيطان إلى القلب، بل هو أكثر باب يرتاده الشيطان ويمر خلاله كل يوم، وذلك لأنه أكثر الأعضاء عملاً وأسهلها شُغلا وأقلها تعباً عندما يعمل، فمن غفل عن حراسة لسانه تسلل الشيطان منه إلى قلبه وسيطر على كيانه، وبعدها ساقه إلى شفا جُرفٍ هار.

قال -ﷺ-: «المسلم من سلم المسلمون يده ولسانه» [رواه مسلم] أي: المسلم الكامل والمسلم الحق، ولقد تعجّب معاذ بن جبل -رضي الله عنه- من كون الإنسان يؤاخذ بما يتكلم به ويُحاسب على ذلك فقال: {يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به}؟ ! فقال النبي -ﷺ-: « ثكلتك أمك يا معاذ! وهل يكب الناس في النار على وجوههم، أو قال على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم»، والحديث يدل دلالة ظاهرة، على أن أكثر ما يدخل الناس النار هو اللسان.

وفي صحيح البخاري من حديث سهل بن سعد الساعدي-رضي الله عنه- قال -ﷺ-: «من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة».

أرأيتم بوابة الإسلام، ومفتاح الدخول في رضوان الله، إنها كلمة: لا إله إلا الله محمد رسول الله، والخروج من الإسلام قد يكون بكلمة والعياذ بالله فالإنكار والجحود والاستهزاء بدين الله، والسب لله ولرسوله كل هذا سيئات كُفرية تتعلق بالكلمة.

الزواج يقع بكلمة والطلاق كذلك يقع بكلمة، وكذلك العتق والرجعة ولو كان الرجل مازحاً قال -ﷺ-: «ثلاث جدهن جد وهزلهن جد: النكاح والطلاق والرجعة» [رواه الترمذي وغيره].

وقال -ﷺ-: «أكثر خطايا ابن آدم في لسانه »، لذا وجب حراسة هذا الثغر من أخطائه وزلاته كمًّا وكيفا.

فاللسان إذاً بوابة دخول؛ يدخل إلى القلب عبر اللسان ما يُطهِّره أو ما يدنِّسه لذا قال -ﷺ-: «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ».

[حسن، أخرجه أحمد (٣/١٩٨)، والطبراني في الكبير (١٠٥٥٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٨). قال الهيثمي: في إسناده علي بن مسعدة، وثقة جماعة، وضعفه آخرون، مجمع الزوائد (١/٥٣)، وحسّن الألباني إسناده. صحيح الترغيب (٢٥٥٤، ٢٨٦٥)].

ومعنى الحديث: مهما داوم القلب على القُربات وتعرَّض لشتى أنواع الأدوية والعلاجات، فلن يطْهر أبداً حتى يُزيل ما علق بلسانه من أوساخ، وإلا كانت الجوارح تبني واللسان يهدم.

روي أن أحد الصالحين زار أحد التجار في تجارته فجلس عنده ساعة، فإذا به يغش في بيعه وشراءه، ويكثر من الأيمان والحلف لبيع سلعته، وإذا بالتاجر يلتفت إليه قائلاً: لعلك عجبت من بيعي وشرائي لا تخف فأنا إذا خيّم الليل وأرخى سدوله أقف بين يدي الله مصلياً أغسل كل ذنوبي في البيع والشراء. فقال له ذاك الرجل الصالح: «**ما مثلك إلا مثل رجلٍ في يديه نجاسة وأراد غسلها، فذهب إلى نهر وأنزل رجليه إلى النهر ليغسل يديه، فهل سيغسل يديه ورجليه في الماء؟ لا والله حتى لو ظل إلى يوم القيامة، ستظل النجاسة في اليد، وهكذا أنت فلا بد من التوبة من الغش والأكل الحرام**».

تتوسل الأعضاء كل صباح إلى القلب حتى لا يضيع مجهودها وتعبها في سبيل الحق هباءً منثورا، وحتى لا تؤاخذ بجريرة غيرها. قال -ﷺ-: «**إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تُكفِّر اللسان، فتقول: اتق الله فينا، فإنما نحن بك، فإن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا**». [سنن الترمذي: كتاب الزهد باب ما جاء في اللسان ٤/ ٦٠٥] ومعنى تكفِّر أي تتذلل وتتواضع له.

واللسان بوابة خروج كذلك، فيخرج من القلب عبر اللسان ما هو ساكن في القلب ومُحْتَبَس فيه، وما اللسان إلا مغرفة ينقل ما في القلب إلى الخلق، وما أجمل قول يحيى بن معاذ -رحمه الله-: «**القلوب كالقدور في الصدور تغلي بما فيها ومغارفها ألسنتها، فانتظر الرجل حتى يتكلم، فإن لسانه يغترف لك ما في قلبه من بين حلو وحامض وعذب وأجاج؛ يُخبرك عن طعم قلبه: اغتراف لسانه**».

عباد الله: انظروا إلى يوسف وروعة طهارة قلبه، وكيف انعكس ذلك على لسانه وحلاوة نطقه وعذوبة كلامه، فقد رمته امرأة العزيز في عرضه زوراً وبهتانا، واُتهم بأشنع تهمة تنال من سمعة المرء وتستهدف شرفه، لكن اسمعوا أطهر قلب وهو يُرد على أكذب ادعاء بأسمى رد وأوجز بيان؛ ليس بعريضة دفاع مطولة بل بأربع كلمات فحسب لا غير: ﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي﴾ [سُورَةُ يُوسُفَ: ٢٦]، وكان الاختصار والإيجاز هنا لأن الأمر متعلق بشخصه، أما حين تعلّق الأمر بربه لما دخل السجن وخاض غمار الدعوة إلى الله؛ انطلق لسانه في طلاقة وإسهاب داعياً صاحبيه في السجن: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ۚ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [سُورَةُ يُوسُفَ: ٣٧-٤٠].

ومرة ثالثة يُعلِّمنا أطهر قلب كيف يعف اللسان ويسمو عالياً فوق السحاب، فبعد أن رماه إخوته في البئر وحاولوا قتله في وحشية نادرة، ما جرحهم بلسانه وما آذاهم بلفظ؛ بل ألقى بالتهمة على الشيطان لائما حين قال: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ [سُورَةُ يُوسُفَ: ١٠٠].

عباد الله: إن للسان خطورة تؤدي بصاحبه إلى الهلاك من جراء كلمة واحدة دون أن يشعر! ! نعم كلمة واحدة، فرُبَّ حتوفٍ في حروف، وكم من إنسانٍ أهلكه لسان، وكم من كلمةٍ صرخت في وجه صاحبها: لا تقُلني، وفي الحديث: «**إن رجلاً قال: والله لا يغفر الله لفلان. قال الله: من ذا الذي يتألى عليّ أن لا أغفر لفلان؟ ! فإني قد غفرت لفلان وأحبطت عملك**». [صحيح مسلم كتاب: البر والصلة، باب: النهي عن تقنيط الإنسان عن رحمة الله (٢٦٢١). من حديث جندب رضي الله عنه].

قال أبو هريرة -رضي الله عنه-: «والذي نفسي بيده لقد تكلّم بكلمةٍ أوبقت دنياه وآخرته».

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

أما بعد: أيها المسلمون:

إن اللسان المعوج قد يحبط صالح العمل ويذهب بسوالف الخير التي كان يعملها صاحبه، بل ويهوي بصاحبه من أعلى منزلة عند الله إلى أن يُطرد من رحمة الله! ! واسأل نفسك معي: من الذي يهدَّد في هذه الآية؟

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢ ﴾ [سورة الحجرات: ٢].

نزلت هذه الآية في الصحابيين الجليلين أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب -رضي الله عنهما- عندما رفعا صوتيهما عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم- واختلفا فنزلت الآية.

تأمَّل قوله تعالى في هذه الآية: ﴿ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴾ لأن عمل الإنسان قد يحبط وهو لا يشعر، وكم من كلمة أودت بصاحبها من حيث لا يدري.

عباد الله: رفع الصوت على النبي -صلى الله عليه وسلم- يحبط العمل فكيف بمن ينكر سنته وكيف بمن يهتك عرضه ويسب أصحابه.

إنها كذلك لغة التهديد التي طالت أحب الخلق إلى النبي -ﷺ- عائشة -رضي الله عنها-، وذلك لما قالت كلمة عن صفية -رضي الله عنها- فيها لمسة ازدراء تعيِّرها أنها قصيرة خطورة الكلمة الواحدة وقدرتها على تعكير بحار زاخرة من الأعمال؛ فعرَّفها النبي الصالحة، فقال لها: « **لقد قُلتِ كلمة لو مُزِجت بماء البحر لمزجته** » أخرجه أحمد (٦/١٨٩)، وأبو داود في الأدب (٤٨٧٥)، والترمذي في صفة القيامة (٢٥٠٢)، والبيهقي في الشعب (٦٧٢١)، قال الترمذي: "حديث حسن صحيح"، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٤٠٨٠).

والكلمة قد تكون سبب في دخول صاحبها النار؛ قال رسول الله -ﷺ-: «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأساً يهوي بها سبعين خريفاً في النار**» [الترمذي: الزهد(٢٣١٤)].

إنها رحلة السقوط في جهنم؛ رحلة تستغرق سبعين عاما!! نعم سبعين عاماً من السقوط المريع إلى قاع النار بسبب كلمةٍ واحدة! ! والحديث هنا لم يحدد ما هي هذه الكلمة ليظل القلب دوماً في يقظة، ويحاسب نفسه قبل كل كلمةٍ منكرة، ويراجع سجل كلماته الماضية ليلجم نفسه عن نطق أي كلمة يؤدي إلى المشاركة في الرحلة الجهنمية ذات الأعوام السبعين، والقرآن زاخر بنماذج من الكلمات القاتلة كأنها رسالة تحذير وصيحة نذير:

أحد المنافقين دفعه نفاقه إلى قول: ﴿ ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓ ﴾ [سُورَةُ التَّوۡبَةِ : ٤٩]، فأتاه الإذن بالهلاك على الفور:

﴿ أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواْ ﴾ [سُورَةُ التَّوۡبَةِ : ٤٩]. فرعون لما نطق بكلمته المتكبِّرة: ﴿ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓ ﴾ [سُورَةُ الزُّخۡرُفِ : ٥١]؛ كان عقابه أن أجراها الله من فوق رأسه غريقا مدحورا، اليهود لما نطقوا كفراً وقالوا: ﴿ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌ ﴾ [سُورَةُ المَائِدَةِ : ٦٤]؛ توعَّدهم الله وطردهم من رحمته بقوله: ﴿ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ ﴾ [سُورَةُ المَائِدَةِ: ٦٤].

عباد الله: إن الكلمة الواحدة أيضاً لها أعظم الأثر في شفاء القلب من أمراضه، نعم كلمةٌ واحدة وحدها قد تشفي وتكفي رجلاً يغلي قلبه ويقذف الحمم على من حوله في ثورة غضبٍ عارمة، لذا أرشد النبي -ﷺ- الغاضب، فقال: « **إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد؛ لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ذهب عنه ما يجد** » [صحيح، صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق - باب صفة إبليس وجنوده، حديث (٣٢٨٢)، صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب - باب فضل من يملك نفسه. . حديث (٢٦١٠)].

أخي الحبيب: ليس دواء القلب إذن في الصمت فقط، إنما دواؤه في التكلم بكلمات الخير، والكلمات الخبيثة في القلب المتسللة عبر اللسان لا تزيحها سوى كلمات الخير، ولسانك على ما عوَّدته.

عوِّد لسانك نطق الخير تحظ به ❊❊❊ إن اللسان لما عوَّدتَ معتاد

مُوَكَّل بتقاضي ما سننتَ له ❊❊❊ فاختر لنفسك وانظر كيف ترتاد

لكن ما هي كلمات الخير؟ ! أهي كلمات القرآن والذكر وحدها تشفي الصدور؟ !

كلا. . إنها كذلك أي كلمة تفصل بين متنازعين، أو تُصلِح بين اثنين، أو تكشف حقا، أو ترد جائرا، أو تُسكن غاضبا، أو تُرشد حائرا، أو تهدي عاصيا، أو تثبت مؤمنا، أو تواسي مكروبا، أو تنصر مظلوما.

وقد ترتقي هذه الكلمة بصاحبها لتبلغ به أعلى عليين، إنه حمزة بن عبد المطلب -رضي الله عنه- وأمثاله فقال -ﷺ-: «**سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام إلى إمامٍ جائر فأمره ونهاه، فقتله**» [حسن) انظر حديث رقم (٣٦٧٥) في صحيح الجامع]. ، فكلمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي التي رفعت صاحبها إلى هذا المقام، بل ورفع النبي -ﷺ- كلمة الحق إلى أن جعلها أحب جهاد إلى الله فقال -ﷺ-: «**أحب الجهاد إلى الله: كلمة حق تُقال لإمامٍ جائر**» [صحيح، أخرجه احمد (٣١٥/٤)، والترمذي: كتاب الفتن - باب ما جاء في أفضل الجهاد كلمة عدل. . . حديث (٢١٧٤)، وصحح المنذري إسناد النسائي في الترغيب (١٥٨/٣)، وصححه الألباني في الصحيحة (٤٩١)].

وكلمة الحق أيضاً هي التي هوت بتاركها إلى أن ألحقته بزمرة الشياطين، فالساكت عن الحق شيطان أخرس، اللهم حسّن أخلاقنا وقوي إيماننا وأرفع درجاتنا وطهر قلوبنا وزكي نفوسنا برحمتك يا ارحم الراحمين. ألا وصلوا ـ عباد الله ـ على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [سُورَةُ الأَحۡزَابِ: ٥٦]

أبواب القلب
(٢)

الحمد لله الذي أنشأ وبرا، وخلق الماء والثرى، وأبدع كل شيء وذرا، لا يغيب عن بصره صغير النمل في الليل إذا سرى، ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء،

﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨﴾ [طه: ٦- ٨]، خلق آدم فابتلاه ثم اجتباه فتاب عليه وهدى، وبعث نوحاً فصنع الفُلْك بأمر الله وجرى، وَنَجَّى الخليل من النار فصار حرها برداً وسلاماً عليه، فاعتبِروا بما جرى، أحمده على نعمه التي لا تزال تترى، وأصلي وأسلم على نبيه محمد المبعوث في أم القرى صلى الله عليه وعلى صاحبه في الغار أبي بكر بلا مرا، وعلى عمر الملهَم في رأيه فهو بنور الله يرى وعلى عثمان زوج ابنتيه ما كان حديثاً يُفْتَرَى وعلى ابن عمه علي بحر العلوم وأسد الشرى وعلى بقية آله وأصحابه الذين انتشر فضلهم في الورى وسلم تسليما.

أما بعد .. أيها الناس:

اتقوا الله، واعتصموا بحبل الله، وتوكلوا في أموركم كلها على الله، قال تعالى:

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١٢٢﴾ [آل عمران: ١٦٠].

وقال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ۝٧٨﴾ [الحج: ٧٨].

ما زلنا وإياكم مع المضغة التي لو صلحت صلح سائر الجسد.

ما زلنا وإياكم مع محل نظر الخالق جل وعلا.. انه القلب فالله لا ينظر إلى الصور والأموال والرتب وإنما ينظر إلى القلوب والأعمال، فيا عجباً ممن يهتم بوجهه الذي هو نظر الخَلْق فيغسله وينظفه من القذَر والدنس ويزيّنه بما أمكن لئلا يطّلع فيه مخلوق على عيب، ولا يهتم بقلبه الذي هو محل نظر رب العالمين.

عباد الله: كان الباب الأول من أبواب القلب اللسان، وهو آلة النطق بالكلمات، والكلمة شأنها عظيم وخطرها جسيم، ولم لا؟ فبكلمةٍ يدخل المرء في دين الله، حين يشهد أن لا اله إلا الله وبكلمةٍ يخرج من دين الله، حين يقول كلمة الكفر، وبكلمةٍ ينال رضوان الله، وبكلمةٍ يستحق سخط الله، وبكلمةٍ تحل له امرأة، وبكلمةٍ تحرم عليه، وبكلمةٍ يسعد حزين أو يحزن سعيد، وبكلمةٍ قد يُذبح شريف أو تُرمى عفيفة، وبكلمةٍ قد يتمزق شمل ويتصدع صرح ويتفرق أحبة، وبكلمةٍ قد تسيل برِك من الدماء وتنمو الأحقاد والشحناء، وبكلمةٍ تبكي العيون، وتلين الجلود، وتخشع القلوب، وتنشرح الصدور، وتعلو الهمم.

والكلمة إذا كانت صادقة فهي كلمة باقية مثمرة، فكم من كلمةٍ ولدت حية وبقيت فيها الحياة بحياة أصحابها، بل وبعد مماتهم، وتأمل طويلا هذا المثل القرآني الفريد لهذه الكلمة الصادقة الطيبة في قول الحق سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٥].

الكلمة الطيبة صدقة، الكلمة الطيبة تثري المال وتنمي الرزق وتصل الرحم وتُطيل في العمر.

الكلمة الطيبة: دواءٌ رباني لامتصاص الغضب والحقد من قلوب الآخرين.

الكلمة الطيبة: تطمس ملفات الماضي وتفتح ملفاً جديداً عنوانه الحب والخُلُق الفاضل.

الكلمة الطيبة: كالبلسم الشافي على قلوب الآخرين.

الكلمة الطيبة: تُضمد الجرح وهي لمسة رائعة...

وصدق الله القائل ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء: ٥٣]

وقال تعالى: ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾﴾ [الإسراء: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

الكلمة الطيبة كشجرةٍ طيبة، جذورها عميقة، وفروعها باسقة، ومثمرة دائمة الخير والعطاء، تؤتي ثمارها في كل حين، نظيفة الثمر، حلوة الطعم، طيبة الرائحة، جميلة اللون، بعكس الكلمة الخبيثة التي لا أصل لها ولا قرار، سيئة الثمار، مُرة الطعم، كريهة الرائحة، وبهذا يتضح الفرق بين الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة في آثارهما على الفرد والمجتمع.

أخي الحبيب: حاسب نفسك وأحص قولك وراقب كل كلمة تخرج من فؤادك قبل لسانك لتتعرف على هويتك ومعدنك.

نعم أيها المسلمون وهل يُكب الناس على مناخرهم أو على وجوههم إلا بسبب حصائد ألسنتهم.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

أما بعد: فيا أيها الإخوة الكرام: **الباب الثاني من أبواب القلب: الرجلان**

هل تعلم كيف كان يمشي -ﷺ-؟ كان يمشي مشياً يُعرَف فيه أنه ليس بعاجز ولا كسلان.

ومن صفات مشيه أنه (**كان إذا مشى تقلّع كأنما ينحدر من صبب**)، والمراد به مشي السرعة والهمة والنشاط، فهو مشي العزم الذي لا يعرف الوهن، والثقة في صحة الوجهة والطريق التي لا يعتريها أدنى شك، والتصميم على بلوغ الهدف الذي لا يهدأ حتى يبلغ الغاية، فلا تواني ولا توقف.

واليكم سبع خطوات مباركات باليمين:

وهي الخطوات التي تمشي بها قدمك نحو الخير، وما أكثر سبُل الخير التي تستطيع أن تسلكها قدمك:

الأولى: تمشي في حاجة مسلم، متأملاً إغراء الثواب في قول رسول الله -ﷺ- :

«**ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجته حتى يثبتها له أثبت الله تعالى قدمه يوم تزل الأقدام** »[رواه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج ص ٨٠ رقم ٣٦ وحسنه الألباني في الصحيحة(٩٠٦) وهو في صحيح الجامع (١٧٦)]. ، فلما حرَّك قدمه في قضاء حاجة هذا العاجز جازاه الله بمثلها وهو ثباتها على الصراط يوم تزل الأقدام، وقد حذَّر بعض السلف من التأخر عن هذا الفضل وهدَّدوا بأن من امتنع أن يمشي مع أخيه خطوات في حاجته أمشاه الله تعالى أكثر منها في غير طاعته.

وقال -ﷺ-:«**لأن أمشي في حاجة أخي المسلم أحب إليّ من أن اعتكف في المسجد شهراً**»

- **يعني: مسجد المدينة** -»[رواه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج ص ٨٠ رقم ٣٦ وحسنه الألباني في الصحيحة(٩٠٦) وهو في صحيح الجامع (١٧٦)].

الثانية: تمشي في عيادة مسلم لتجد الله عنده، فتسأله ما تشاء وتنال منه الكرامة والثواب، ففي حديث مسلم عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:

«إن الله عز وجل يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدني. قال يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده»[صحيح مسلم كتاب البر والصلة باب فضل عيادة المريض ١٢٥/١٦.]، و قال -صلى الله عليه وسلم-:

« إذا عاد الرجل أخاه المسلم مشى في خرافة الجنة حتى يجلس، فإذا جلس غمرته الرحمة، فإن كان غدوةً صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي، وإن كان مساء صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح» [صحيح، أخرجه أحمد (٨١/١)، والترمذي: كتاب الجنائز - باب ما جاء في عيادة المريض، حديث (٩٦٩) وقال: حسن غريب، وأبو داود: كتاب الجنائز - باب في فضل العيادة على وضوء، حديث (٣٠٩٨) وقال: أُسند هذا عن علي عن النبي من غير وجه صحيح. وصححه الحاكم (٣٤١/١-٣٤٢)، وصحح إسناده الضياء في الأحاديث المختارة (٢٣١/٢)، وقال في المجمع: رجال أحمد ثقات (٣٠/٣)].

الخطوة الثالثة: التي تمشي في أعقاب جنازة، قال -صلى الله عليه وسلم-: **«من تبع جنازة فصلى عليها فله قيراط، وإن شهد دفنها فله قيراطان، القيراط مثل أحد»** [أخرجه البخاري في الإيمان (٤٧)، ومسلم في الجنائز (٩٤٥) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- نحوه].

الخطوة الرابعة: تمشي إلى مسجد، ويا حبذا لو كان بعيداً لتكثر الخُطى وتتتابع، واحدة تحط خطيئة، والأخرى ترفع درجة، لتجد كل ذنوبك قد نُسفت مع أول خطوة تطأ بها عتبة بيت الله. قال -صلى الله عليه وسلم-: **«من توضأ للصلاة فأسبغ الوضوء، ثم مشى إلى الصلاة المكتوبة، فصلاها مع الناس غفر الله له ذنوبه »**، وكلما زادت المسافات تكاثرت الحسنات قال -صلى الله عليه وسلم-: **« أعظم الناس أجرا في الصلاة أبعدهم إليها ممشى »** [رواه البخاري (١٣٧/٢) الأذان: باب فضل صلاة الفجر في جماعة، ومسلم (١٦٧/٥) المساجد فضل الصلاة المكتوبة في جماعة].

هذا في صلاة الفرض، فماذا عن النافلة؟! اسمع واطرب: قال -ﷺ-: «من مشى إلى صلاةٍ مكتوبة في الجماعة فهي كحجة، ومن مشى إلى صلاة تطوع فهي كعمرة نافلة » [حسنه الألباني، صحيح الجامع، ٦٥٥٦].

الخطوة الخامسة: تمشي المشية الأسبوعية المباركة التي تضاعف أجرك فوق الخيال، وهي مشيك إلى صلاة الجمعة، والخطوة منها بعبادة سنة!! قال -ﷺ-: «من غسَّل يوم الجمعة واغتسل، ثم بكَّر وابتكر، ومشى ولم يركب، ودنا من الإمام، واستمع وأنصت ولم يلغُ؛ كان له بكل خطوة يخطوها من بيته إلى المسجد عمل سنة أجر صيامها وقيامها» [صحيح، أخرجه أحمد (١٠/٤) وأبو داود ح (٣٤٥)، والترمذي ح (٤٩٦)، والنسائي (١٣٨١) وابن ماجه (١٠٨٧)].

عجيب ذاك المسلم الذي يسمع هذا الفضل العظيم ويتأخر عن الجمعة ويأتي بعد صعود الخطيب.

الخطوة السادسة: تمشي في زيارة أخ لك في الله لتأنس به وتتواصى معه بالحق والصبر طامعاً في جائزة هذا الحديث قوله -ﷺ-: « زار رجل أخاً له في قرية، فأرصد الله له ملكا على مدرجته، فقال: أين تريد؟ قال: أخا لي في هذه القرية، فقال: هل له عليك من نعمة تربها؟ قال: لا إلا أني أحبه في الله. قال: فإني رسول الله إليك أن الله أحبك كما أحببته».

[رواه مسلم رقم (٢٥٦٧) في البر والصلة، باب فضل الحب في الله، وأخرجه أحمد في المسند رقم (٤٠٨ - ٢/٤٦٣)].

الخطوة السابعة: تمشي في دعوة الخلق وهداية الناس حتى تكل قدماك ويبلى حذاؤك! ! وتطبِّق قاعدة: ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴾ [يس: ٢٠]، وقال رسول الله -ﷺ-: « من اغبرَّت قدماه في سبيل الله حرَّمه الله على النار » [صحيح لغيره، عن جابر بن عبدالله ، صحيح الترغيب للألباني / 1273] هذا وصلوا - عباد الله - على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [سُورَةُ الأَحۡزَابِ: ٥٦]

اللهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين.

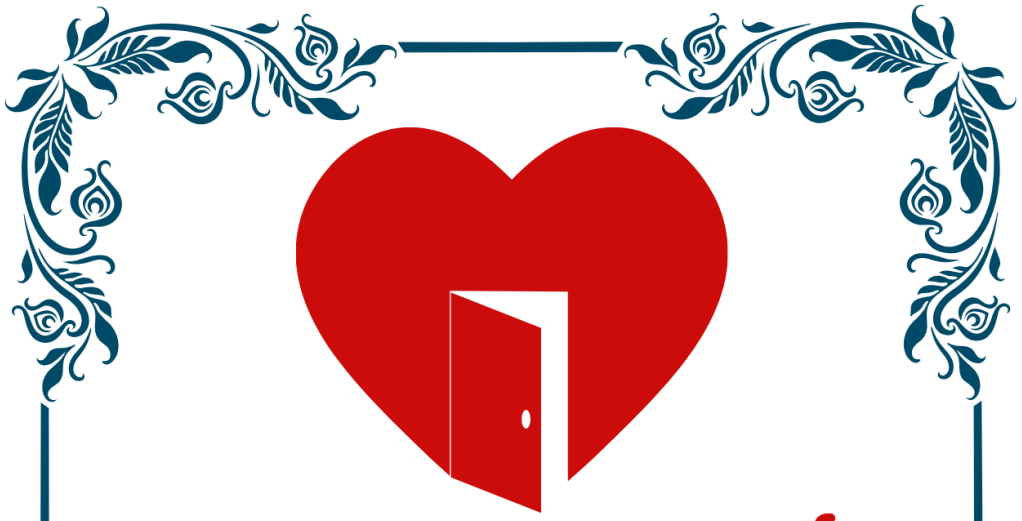

أبواب القلب

(٣)

الحمد لله العزيز الوهاب، الغفور التواب، غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب، ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، إمام الأنبياء وسيد الحنفاء، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه، الذين آمنوا وهُدوا إلى الطيب من القول، وهدوا إلى صراط الحميد.

أما بعد. . فأوصيكم ـ أيها الناس ـ ونفسي بتقوى الله سبحانه.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٩].

ما زلنا وإياكم مع تلكم المضغة التي لو صلُحت صلح سائر الجسد تلك المضغة التي كان لها من دعاء النبي -ﷺ- نصيب حين كان يدعو: «**اللهم إني أسالك قلباً صادقا ولساناً ذاكرا**» وكان يدعو: « **اللهم إني أعوذ بك من علمٍ لا ينفع، ومن قلبٍ لا يخشع، ومن نفسٍ لا تشبع، ومن دعوةٍ لا يُستجاب لها**» [صحيح، أخرجه مسلم: كتاب الذكر والدعاء. . . باب التعوّذ من شر ما عمل. . . حديث (٢٧٢٢)].

ما زلنا وإياكم مع القلب وأبوابه. وقفنا مع الباب الأول وهو اللسان اللهم طهّر ألسنتنا من كل سوء، وعطّر ألسنتنا بكل ذكر وشكر يارب العالمين.

ووقفنا مع الباب الثاني وهو القدمان، واليوم مع الباب الثالث وهو السمع. ولسائل أن يسأل أيهما أهم السمع أم البصر؟ ! الجواب أن السمع أهم من البصر لخمسة أسباب:

أولها: أن الله قدَّم السمع على البصر ـ في سبعة عشر ـ آيةً في كتاب الله تقديم أهميةٍ، ، فقال عز وجل: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٧﴾ ﴾ [البقرة: ٧].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ﴾ [الأنعام: ٤٦]،وقال جل وعلا : ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ [السجدة: ٩].

وسببٌ ثانٍ لتفضيل السمع وهو أن الله يحاسب عليه قبل البصر.. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾[الإسراء: ٣٦].

وسببٌ ثالث وهو سبب علمي: أن السمع ينشط في الوليد قبل بصره، ولعل هذا من إعجاز السنة النبوية حين أوصانا النبي -ﷺ- بأن نُؤذِّن في أُذن المولود اليمنى ويقام في اليسرى فور ولادته ليكون أول ما يدخل سمعه أطهر الكلام وأشرفه.

وسببٌ رابع هو سببٌ عقلي: أن السمع يُدرَك به من الجهات الست وفي النور والظلمة، ولا يُدرَك بالبصر إلا من الجهة المقابلة له، وبواسطة من ضياء وشعاع.

وسبب خامس أن الأذن لا تنام، فالإنسان عندما ينام يسكن فيه كل شيء إلا سمعه.

والسمع عباد الله هو ثاني ثغر من حيث الخطورة بعد ثغر اللسان، فهو الثاني في تأثيره على القلب وتحكمه فيه، ولذا قال الحارث المحاسبي: « **وليس من جارحة أشد ضرراً على العبد بعد لسانه من سمعه، لأنه أسرع رسول إلى القلب، وأقرب وقوعاً في الفتنة**».

أخي الحبيب: احرس قلبك من أن يدخل فيه كل ما حُرِّم قوله، قال سعد القصير -رحمه الله- « **نظر إليَّ عمرو بن عتبة ورجل يشتم رجلاً بين يدي، فقال لي: ويلك – وما قال لي ويلك قبلها – نزِّه سمعك عن استماع الخنا كما تنزِّه لسانك عن الكلام به، فإن السامع شريك القائل**».

والعبادة عند بعض الناس ضيِّقة جداً؛ أن تصلي وأن تصوم أن تحج، وأن تؤدي الزكاة، أما العبادة عند المؤمنين الصادقين تشمل كل شيء، تشمل كل الأوقات، وتشمل كل الأماكن، وتشمل كل النشاطات، وكل الأعضاء، فالقلب له عبادة، والعين لها عبادة والأذن لها عبادة، واللسان له عبادة، واليد لها عبادة، والرجل لها عبادة، ومن أُولى عبادات الأذن الإنصاتُ للحق.

ومن عبادة الأذن الاستماع لما أوجبه الله ورسوله عليك أن تستمع إلى الشهادتين، أن تستمع إلى أركان الإيمان وأركان الإسلام، أن تستمع إلى تفسير القرآن، أن تستمع إلى سيرة سيد الأنام -ﷺ-.

وَسَمْعَكَ صُنْ عن سماعِ القبيحِ ... كصَوْنِ اللسانِ عن النُّطْقِ بِهْ

فإنَّكَ عندَ سماعِ القبيحِ ... شريكٌ لقائِلِهِ فانتبِهْ

أخي الحبيب، أيها المسلم:

احمي سمعك عن سماع الإشاعات والافتراءات ها هي زينب بنت جحش رضي الله عنها، حين سألها رسول الله -ﷺ- عن عائشة -رضي الله عنها- في حادثة الإفك: قالت زينب بنت جحش -رضي الله عنها-: «**يا رسول الله أحمي سمعي وبصري، والله ما علمت إلا خيرا**»، إنَّ سماع الإشاعة ثم نقل الأخبار دون تثبت لا يجوز شرعاً؛ لأن جيشاً من البشر سيسمع ما قلت وينقل عنك؛ والإثم عليك يتضاعف ليتضاعف بلاء المتكلم إن كان كاذباً، وهل عُذِّب مروِّج الإشاعة في قبره إلا لأن غيره سمع ثم نقل؟! ففي الحديث الذي وصف عذاب القبر فقال -ﷺ-: «**فإذا رجلٌ جالس ورجل قائم على رأسه بيده كلّوب من حديد، فيُدخله في شدقه فيشقه حتى يخرجه من قفاه، ثم يُخرجه فيُدخله في شدقه الآخر، ويلتئم هذا الشِّدق فهو يفعل ذلك به**»، فلما سأل -ﷺ- عن ذلك قال: «**إنه رجل كذَّاب يكذب الكذبة، فتُحمل عنه في الآفاق، فهو يُصنع به ما رأيت إلى يوم القيامة، ثم يصنع الله تعالى به ما شاء**»[(صحيح) انظر حديث رقم: ٣٤٦٢ في صحيح الجامع].

فكل مجلس يدعوك لحرام أو مقدِّمات حرام أو يتعرَّض فيه سمعك لغيبة أو نميمة، أو يُذبح فيه الإيمان على موائد الغفلة؛ فاعلم أنه ما هو إلا مؤامرة كبرى من الشيطان يستهدف بها غزو قلبك عن طريق ثغر السمع وأنت من الغافلين، والمطلوب منك على وجه السرعة أن توصد الباب أمامه، فإن لم تقو على ذلك؛ فغادر مسرح الجريمة في الحال، وانجُ بقلبك.

أيها المسلمون : إن الله سوَّى بين مستمع الكذب وآكل السحت، فقال تعالى: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِ﴾ [المائدة: ٤٢]، والسر في شدة التحذير من عاقبة سماع السوء هو أن الكلمة تنغرس في القلب باستماعها حتى إنها لتنبعث أثناء الصلاة أو الذكر من حيث لا يدري العبد أو يحتسب، فوقوع الأقوال في الأسماع أشبه بوقوع البذور في الأرض؛ لا بد أن تنبت وتتفرع عروقها وأغصانها ولو بعد حين.

أيها المسلمون: إن الكلمات طيبة كانت أم خبيثة يبقى بعضها مع الإنسان حتى يموت، فكم من كلمة طيبة وموعظة هادية سمعها المرء منا وظل يذكرها طوال حياته، فانتشلته في ساعة غفلة، وعصمته من غشيان خطيئة، وأنقذته من الوقوع في كبيرة، فكان سماع هذه الكلمة له: طوق النجاة وإكسير الحياة.

ومن أمثال هذه الكلمات المنجيات الهاديات الباقيات ما سبق وانطلق من لسان علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –، وذلك حين وفد غالب بن صعصعة المجاشعي ومعه ابنه الفرزدق على علي بن أبي طالب ومعه ابنه، فقال له علي – رضي الله عنه –: يا أبا الأخطل!! من هذا الذي معك؟ ! قال: ابني وهو شاعر. قال: علِّمه القرآن فهو خير له من الشعر، فكان ذلك في نفس الفرزدق حتى قيَّد نفسه، وآلى على نفسه أن لا يحلَّ قيده حتى يحفظ القرآن، فحفظه في سنة!! .

وها هو ابن مسعود – رضي الله عنه – يمر فيسمع شاب له صوتٌ جميل يغني، فقال: «ما أجمله من صوت لو كان بالقرآن » فكانت سبباً في صلاحه وتحوله إلى إمام مسجد.

لا تستهينوا عباد الله بالكلمة الطيبة فقد يفتح الله بها القلوب ولو بعد حين.

وفي المقابل قد يكون سهم الكلمة الخبيثة مؤثراً باقياً ناشراً اسمه طوال الحياة وحتى الممات، مما قد يؤدي والعياذ بالله إلى سوء الخاتمة، وإن السُّم في الطعام ربما بقي أثره زمناً ثم يزول، وقد يرفضه الجسم بقيء ونحوه، بل وقد يتناول الإنسان من الدواء ما يزيل أثره في الجسم، أما الكلام فربما لا يزول أثره مهما فعلت.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وإخوانه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

افتح سمعك لآيات القرآن، وبركات الذكر، وفيوض المواعظ الربانية، وسلسبيل الأحاديث النبوية، فلا يكون الجن خيرٌ منك يا عبد الله الذين قالوا:

﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١﴾ [الجن: ١٢].

وقولهم: ﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ [الأحقاف: ٣٠].

ولتعلم يا عبد الله أن من سمع آية له أجرها. ومن سمع حراماً عليه وزره.

تأمل توبة الإمام الفضيل بن عياض -رحمه الله- إذ كان شاطراً سارقاً يقطع الطريق، وكان سبب توبته أنه بينما هو يرتقي الجدران ليسرق إذ سمع تالياً يتلو قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦].

فلما سمعها قال: بلى يا رب! قد آن، فرجع فآواه الليل إلى خربة، فإذا فيها قافلة فقال بعضهم: نرحل، وقال بعضهم: حتى نصبح؛ فإن فُضيلاً على الطريق يقطع علينا، قال:

« ففكرت وقلت أنا أسعى بالليل في المعاصي، وقوم من المسلمين هاهنا يخافونني، وما أرى الله ساقني إليهم إلا لأرتدع، اللهم إني تبت إليك وجعلتُ توبتي مجاورة البيت الحرام».

وبدون هذا السماع لا تكون ذكرى ولا انتفاع ولا تجدي نصيحة ولا خُطَب:

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق: ٣٧].

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

الحرب على سمعك يا عبد الله على جبهتين لغزو القلب وهما: **الشهوة والشبهة**، فهما أصل كل فتنة كما قال ابن القيِّم.

أولاً: الشهوة: يا أيها العاشق سمعه قبل طرفه فإن الأذن تعشق قبل العين أحياناً، وهل اشتاق المؤمنون إلى الجنة وما رأوها إلا لأنهم سمعوا عن جمالها وغاية نعيمها؟ ! وهل ذابت قلوب المحرومين من زيارة الديار المقدَّسة شوقا إلى رؤية البيت الحرام إلا لأنهم سمعوا أوصافه ممن رآه وعاينه؟ ! ولارتباط السمع بفتنة الشهوة نهي الله نساء النبي -ﷺ- ونساء المؤمنين عن الخضوع بالقول فقال: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾﴾ [الأحزاب: ٣٢]، ولارتباط السمع بفتنة الشهوة نهي النبي -ﷺ- أن تصف المرأة المرأة لزوجها فقال: «**لا تباشر المرأة المرأة فتنعتها لزوجها كأنه ينظر إليها**» [أخرجه أحمد ٢/٤٩٧ (١٠٤٦٠)]، وتأمل قوله -ﷺ-: « **كأنه ينظر إليها** » دلالة على دقة الوصف وكثرة الإيضاح.

ولارتباط السمع بفتنة الشهوة حرَّم الله سماع الغناء الذي يؤجج الشهوة ويجلب الحسرة، وحتى الاستماع للأناشيد والكلمات التي لا فُحش فيها ولا سوء؛ إذا جاوز حده حتى انشغل بها صاحبها وصار الترنم بها في خلواته بديلاً عن الترنم بآيات القرآن ، وقد أجمع علماء القلوب أن طول الاستماع إلى الباطل يطفئ حلاوة الطاعة من القلب، قال ابن مسعود -رضي الله عنه-: «**الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل**». قال ابن القيم -رحمه الله-: «**إن القرآن والغناء لا يجتمعان في القلب أبدا**».

الغناء الحرام يُهيِّج النفوس إلى شهوات الغي، فيثير كامنها ويزعج قاطنها ويُحرِّكها إلى كل قبيح، ويسوقها إلى وصل كل مليحة ومليح، فهو والخمر رضيعا لبان، وفي تهييجهما على القبائح فرسا رهان، فإنه صنو الخمر ورضيعه ونائبه وحليفه وخدينه وصديقه، عَقَد الشيطان بينهما عقد الإخاء الذي لا يُفسخ، وأحكم بينهما شريعة الوفاء التي لا تُنسخ، الغناء الحرام هو جاسوس القلب وسارق المروءة وسوس العقل، يتغلغل في مكامن القلوب، ويطلع على سرائر الأفئدة.

ثانياً: الشبهة روى أبو هريرة -رضي الله عنه- قال قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**يوشك الناس يتساءلون حتى يقول قائلهم: هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله؟ فإذا قالوا ذلك فقولوا: هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد، ثم ليتفل عن يساره ثلاثا، وليستعذ من الشيطان**» [قال الشيخ الألباني: (حسن) انظر حديث رقم: ٨١٨٢ في صحيح الجامع].

ولذا حذَّرنا السلف المبارك من نقل أي بدعة تثير غبار الشبهات في سماء القلب الصافي، فقال سفيان الثوري -رحمه الله-: « **من سمع بدعة فلا يحكها لجلسائه لا يلقيها في قلوبهم.** »

هذا وصلوا - **عباد الله**: - على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال تَعَالَىٰ:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾ [سُورَةُ الأَحۡزَابِ: ٥٦]

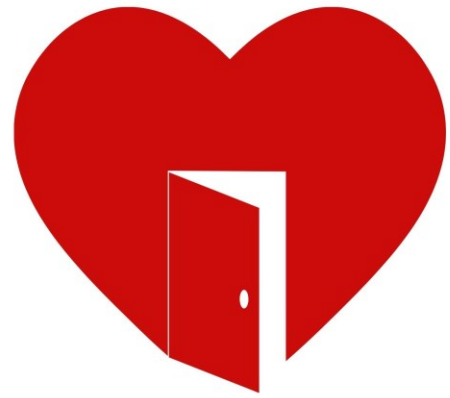

أبواب القلب

(٤)

الحمد لله الرؤوف الرحيم، البر الجواد الكريم، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك العظيم، له الأسماء الحسنى، والصفات العليا، والإحسان العميم، وله الرحمة الواسعة، والحكمة الشاملة، وهو العليم الحكيم، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الذي قال الله فيه:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ اللهم صلّ وسلّم وبارك على محمد وعلى آله وأصحابه، الذين هُدُوا إلى الحق وإلى طريق مستقيم.

أمّا بعد:

أيّها الناس، اتَّقوا الله تعالى حقَّ التقوى، والزَموا التَّقوى حتى يأتيكم الموت.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آل عمران: ١٠٢].

عباد الله: ما زلنا نتحدث معكم عن القلوب وأبوابها، والقلوب صدأها من أمرين الغفلة والذنوب، وجلاؤها شيئين الاستغفار وذكر علاّم الغيوب.

وصدق الحبيب المصطفى -ﷺ- حين قال: « **إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد إذا أصابه الماء** ». قيل يا رسول الله وما جلاؤها؟ قال: «**كثرة ذكر الموت وتلاوة القرآن**».

[روى البيهقي الأحاديث الأربعة في شعب الإيمان وضعفه الألباني].

قال أحد الصالحين: «**مَثَلُ القلب مَثَلُ بيتٍ له ستة أبواب، ثم قيل لك: احذر أن يدخل عليك من أحد الأبواب شيء، فيفسد عليك البيت، فالقلب هو البيت، والأبواب: اللسان، والبصر، والسمع، والشم، واليدان، والرجلان، فمتى انفتح باب من هذه الأبواب بغير علم ضاع البيت**».

وقفنا مع الباب الأول وهو اللسان ثم الباب الثاني وهو السمع **ثم الباب الثالث القدمان**.

أما الباب الرابع: من أبواب القلب فهي **اليدان**.

أخي الحبيب تستطيع أن تصنع بيدك مفتاح الجنة أو القفل الموضوع على أبوابها ليحول بينك وبين دخولها، وتستطيع أن تنسج بيديك ثوبك الحريري من سُندس وإستبرق في الجنة أو ثياب شقوتك من النار، يدك عاملةٌ عاملة، لكن من العمل ما ينفع صاحبه ومنه ما يقتل صاحبه، ويديك هي بداية كل أعمالك ومفتاح كل جوارحك وأعضائك، فهي التي تطعمك رزقك حلالاً كان أو حراما، وهي التي تكسوك ثيابك حلالاً كانت أو حراما، وهي التي تلبسك حذاءك لتقصد به وجهتك ومرادك حلالاً كان أو حراما، لذا فهي شريكك في أعمال الخير والشر.

وهناك اثنتا عشرة يدٍ عليا مباركة صالحة:

نعم إنها أيدٍ تعمل الصالحات، أيدٍ مشغولة دوماً في حرث الخير، أيدٍ تعرف طريق الجنة جيداً، وتشهد لك يوم العرض، وتنبري تُنافح عنك يوم الحساب.

اليد الأولى هي التي تغرس نعم تغرس الخير للناس: قال -ﷺ-: « **ما من مسلم يغرس غرساً إلا كان ما أُكل منه له صدقة، وما سُرِق منه صدقة، وما أكل السبع فهو له صدقة، وما أكلت الطيور فهو له صدقة، ولا يرزؤه أحد كان له صدقة** » .

[رواه البخاري رقم (٢٣٢٠)، في الحرث والمزارعة، باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه، ومسلم رقم (١٥٥٣) في المساقاة، باب فضل الغرس والزرع، والترمذي رقم (١٣٨٢) في الأحكام، باب ما جاء في فضل الغرس].

اليد الثانية يد المرأة: نعم لم لا تحاول كل زوجة دخول الجنة عن طريق يدها وهو أمر يسير سهل، فما عليها إلا أن تعمل بهذا الوصية: «**نساؤكم من أهل الجنة الودود الولود التي إذا غضبت جاءت حتى تضع يدها في زوجها ثم تقول: لا أذوق غمضاً حتى ترضى** »

[النسائي قال الشيخ الألباني: (حسن) انظر حديث رقم: ٢٦٠٤ في صحيح الجامع].

اليد الثالثة هي يد الزوج الذي يحاول أن يربح زوجته عن طريق يده، فيناولها اللقمة ويضعها في فمها برقة متناهية قال -ﷺ-: « **وإنك لن تنفق نفقة إلا أُجرت بها حتى اللقمة ترفعها إلى في امرأتك**» [أخرجه البخاري في: الدعوات، باب: الدعاء يرفع الوباء والوجع (٦٣٧٣) بنحوه].

اليد الرابعة هي اليد التي ترحم وتعطف وتحنو وترِق على المسكين قال -ﷺ-: «**إن أردت أن يلين قلبك فأطعم المسكين، وامسح رأس اليتيم**» [قال المنذري في الترغيب (٢٣٧/٣): "رواه الطبراني من رواية بقية، وفيه راو لم يسمّ أيضًا"، وكذا في مجمع الزوائد (١٦٠/٨)، وقال الألباني في صحيح الترغيب (٢٧٤٤): "حسن لغيره]".

اليد المباركة الخامسة: هي التي تعمل في سبيل الرزق، وتتعب حتى تحصِّل أطيب الكسب وألذ الطعام يدفعه إلى ذلك شهادة محمد -ﷺ- : حين قال -ﷺ-: «**أطيب الكسب عمل الرجل بيده**» [أخرجه الإمام أحمد (١٥٢٧٦) والطبراني في الكبير (١٩٧/٢٢)، من حديث هانئ بن نيار، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٠٣٣)] **وقال** -ﷺ-: «**خير الكسب كسب يد العامل إذا نصح**» [مسند أحمد (٣٣٤/٢)].

اليد السادسة هي التي تكتب كتاب خير، فمن كتب كتاب خير نال أجره وأجر من قرأه في حياته وبعد مماته، ولذا قيل: كتاب المرء ولده المخلَّد، وتأمل مؤلفات علمائنا، وكيف كابدوا المشاق في كتابتها التماساً لثوابها، وأنهكوا أيديهم كتابة وأرهقوها حتى وصلنا هذا الخير حتى قال أبو المظفر سبط ابن الجوزي: «**سمعتُ جدي يقول على المنبر في آخر عمره: كتبت بإصبعيَّ هاتين ألفي مجلَّد**» ، وقال يحيى بن معين: «**كتبتُ بيدي ألف ألف حديث**» ، وصدق من قال منشداً:

وما من كاتبٍ إلا سيبلى ... ويُبقي الدهر ما كتبت يداه

فلا تكتب يداك كتاب شرٍّ ... يسوؤك في القيامة أن تراه

واليد السابعة هي التي تتصدق ولتكن اليمين، ويتضاعف أجرها إذا قامت اليد بمهمة التخفي! نعم التخفي عن أعين الناس طلباً لرضا رب الناس، بل والمبالغة في ذلك حتى لا تكاد الشمال تعلم كم أنفقت أختها، وفي الصحيحين عن أبي هريرة -رضي الله عنه- مرفوعا: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله**» ذكر منهم: «**وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ**» [رواه البخاري ح (٦٦٠)، ومسلم ح (١٠٣١)].

أما اليد الثامنة فهي يدٌ ترفع راية الجهاد في سبيل الله، وتذكَّر كيف ضحَّت ذراع جعفر بن أبي طالب -رضي الله عنه- حين حمل الراية بيمينه، فقُطِعت فقامت شماله بالمهمة، فقُطِعت، فتناول الراية بعضديه، فكافأه الله بما جاء في النشرة الإخبارية النبوية التي أُذيعت على جمهور الصحابة على الهواء مباشرة وفي التو واللحظة: « **إن الله قد جعل لجعفر جناحين مضرجين بالدم يطير بهما مع الملائكة** ». [المعجم الكبير للطبراني، ١٩/١٦٧ رقم ٣٧٨].

أما اليد التاسعة فهي اليد التي ترمي في سبيل الله ، فلعلها إن فَعَلت دخل صاحبها في دعاء النبي -صلى الله عليه وسلم- حين قال لسعد -رضي الله عنه- « **ارم فداك أبي وأمي** »، وليس الرمي رمي السهام فحسب، وإنما كل ما يُحدِث أثر السهام في قلوب الأعداء وينصر الأمة في أي ميدان، ولعل إتقان العمل وجودة الصناعة والتفاني في مختبرات العلم لا يقل أجراً اليوم عن رمية سهم في نحور العدو.

واليد العاشرة هي يد التي تميط الأذى عن طريق المسلمين، فتكون أخاً لرجل رآه النبي -صلى الله عليه وسلم- الجنة، فقال مبيِّناً عمله وموضِّحا جزاءه وجزاء كل من عمل بعمله من بعده، فقال: « **لقد رأيتُ رجلا يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي الناس** »

[أخرجه مسلم في: البر والصلة، باب: فضل إزالة الأذى عن الطريق (١٩١٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه].

اليد الحادية عشر اليد التي تصافح المؤمنين لتتناثر الذنوب مع المصافحة، وتتصافح القلوب وتتعانق مع تصافح الأيدي وتشابكها: قال -صلى الله عليه وسلم-: «**إن المؤمن إذا لقي المؤمن فسلَّم عليه وأخذ بيده فصافحه؛ تناثرت خطاياهما كما يتناثر ورق الشجر** [رواه الطبراني في الأوسط وهو في السلسلة الصحيحة للألباني"٥ / ١٠].

اليد الثانية عشر يد تبايع رسول الله وتمدُّ يدها في صدق ووفاء مستشعرة أنها تبايع الله وتعقد معه سبحانه المواثيق: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ [الفتح: ١٠]، وإن فاتنا شرف لمس كف رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، إلا أن هذه البيعة باقية وتبعاتها نافذة، وإن كانت بيعة الرضوان بيعة على الموت في سبيل الله، فإن بيعتنا اليوم هي بيعة على الحياة في سبيل الله، ولعلها الأصعب والأشق.

عباد الله: بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما سمعتم واستغفر الله لي ولكم ولسائر المؤمنين فاستغفروه انه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وإخوانه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

وهناك عباد الله **عشر أيادٍ في السافلين:**

أيدٍ سُفلى عابثة في المعاصي، يدٌ مشغولة في حرث الشر يد، تائهة عن طريق الجنة، ولابد للمرء أن يجني ما زرعت يداه.

وأول هذه الأيادي من استخدم يديه في التخلص من حياته أذاقه الله من نفس الكأس، وأعاد معه جريمته وبنفس الطريقة مالا يُحصى من المرات لكن في الآخرة وطوال مدة مكثه في النار قال: «**الذي يخنق نفسه يخنقها في النار، والذي يطعنها يطعنها في النار**» [أخرجه البخاري في الجنائز (١٣٦٩) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- وهو في السلسلة الصحيحة (٣٤٢١)].

ثانياً الذي يخطُّ بيده حرفاً في عقد ربا يغضب عليه ربه ويطرده من رحمته ولو كان مجرد شاهد أو كاتب، قال -صلى الله عليه وسلم-: «**لعن الله آكل الربا وموكله وشاهده وكاتبه**» [أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب المساقاة باب لعن آكل الربا ومؤكله (٣/١٢١٩) برقم ١٥٩٨].

ثالثاً الذي يُشهر بيده السلاح في وجه أخيه أصابه أم لم يصبه ملعون حتى يخفض سلاحه قال -صلى الله عليه وسلم-: « **من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه وإن كان أخاه لأبيه وأمه**» [أخرجه مسلم في البر (٢٦١٦) عن أبي هريرة -رضي الله عنه-]

رابعاً الذي يقدِّم بيده مالاً لرشوة، والذي يقبل هذه الرشوة كلاهما تظل تطاردهما لعنة الله حتى يتوبا إلى الله ويُقلعا، قال -ﷺ-: «**لعن الله على الراشي والمرتشي**»

[أخرجه أحمد (٢/ ١٦٤)، وأبو داود في الأقضية، باب: كراهية الرشوة (٣٥٨٠)، والترمذي (١٣٣٧)، وابن ماجه في الأحكام، باب: التغليظ في الرشوة (٢٣١٣)، قال الترمذي: "حديث حسن صحيح"، وصححه الحاكم (٤/ ١٠٢)، ووافقه الذهبي].

وأما الخمر، فإن تسعة أيادٍ ملعونة بسببها لأنها شاركت من قريب أو من بعيد في هذه الجريمة، قال -ﷺ-: « **لعن رسول الله -ﷺ- في الخمر عشرة: عاصرها، ومعتصرها، وشاربها، وحاملها، والمحمولة إليه، وساقيها، وبائعها، وآكل ثمنها، والمشتري لها، والمشتراة له**» [أخرجه الترمذي في البيوع (١٢٩٥)، وابن ماجه في الأشربة (٣٣٨١) من حديث أنس -رضي الله عنه- بنحوه، وقال الترمذي: "هذا حديث غريب من حديث أنس، وقد روي نحو هذا عن ابن عباس وابن مسعود وابن عمر عن النبي "، وقال الحافظ في التلخيص (٤/٧٣): "رواته ثقات"، وصححه الألباني في غاية المرام (٦٠)].

وأما المرأة فإن أغراها الشيطان، ونفخ فيها من سحره، فمدَّت يدها لتتزين بما حرَّم الله، فقد طردت نفسها بنفسها من رحمة ربها قال -ﷺ-: «**لعن الله الواشمات والمستوشمات والنامصات والمتنمصات والمتفلجات للحُسن قال المغيِّرات خلق الله**».

[رواه البخاري وأبو داود انظر " الصحيحة " (٢٧٩٧)].

ولو أن كاتباً كتب بيده كتاباً يثير فيه شهوة ويشعل فيه غريزة، أو يبث شبهة ويزلزل عقيدة، فستظل صحيفة سيئاته تتلقى يوميا وعلى مدار الساعة أكواماً من السيئات كلما قرأ كتابه قارئ أو وقع في شِراكه غافل، ولا سيما إن كسب هذا الكاتب عليه مالاً: ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [البقرة: ٧٩].

إن الكلمة المكتوبة قد تفعل في القلب ما لا يفعله السيف، ولذا قال حبيب بن أوس الطائي:

ولضربةٍ من كاتبٍ ببنانه أمضى وأقطع من رقيق حسام
قوم إذا عزموا عداوة حاسدٍ سفكوا الدما بأسّنة الأقلام

ومن الأيادي الخبيثة زناة: الأيادي: ! اسمعوا رسول الله -ﷺ- يقول

« العينان تزنيان، واليدان تزنيان، والرجلان تزنيان، والفرج يزني»

[رواه أحمد والطبراني وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤١٥٠)]

هذا وصلوا - عباد الله: - على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال تَعَالَىٰ:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾

[سُورَةُ الأَحۡزَابِ: ٥٦]

اللهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين.

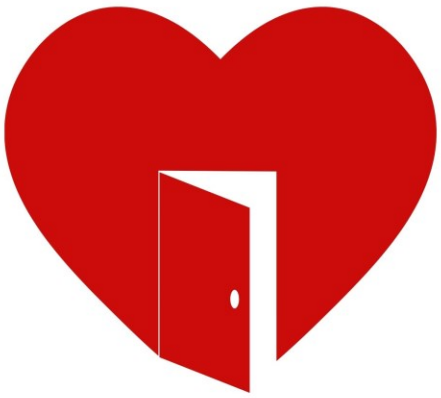

أبواب القلب

(٥)

الحمد لله الحميد في وصفه وفعله، الحكيم في خلقه وأمره، الرحيم في عطائه ومنعه، المحمود في خفضه ورفعه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في كماله وعظمته ومجده، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أفضل مرسل من عنده، اللهم صلّ وسلم على محمد وعلى آله وصحبه وجنده.

أما بعد: عباد الله: أوصيكم ونفسي- بتقوى الله وطاعته، فاتقوا الله في السر- والعلن، فبالتقوى تُستنزل البركات وتجلب الرحمات وتفرج الكربات وتُستجلى العقبات وتستدفع العقوبات، ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف:٩٦]

هذا هو اللقاء الخاتم مع القلوب وأبوابها. لسانٌ وسمع ويدان ورجلان وشم وبصر.. هنيئاً لمن ملأ قلبه بحب الله وخشيته وخوفه مراقبته. هنيئاً لمن حرس قلبه من الشهوات والشبهات. هنيئاً لأصحاب القلوب السليمة الطاهرة من الشرك والغل والبغضاء.

والباب الخامس عباد الله الشم:

و هو ثغرٌ يوصل إلى القلب، وقد يدخل منه الحرام البيِّن كشم المرأة الأجنبية عمداً، لذا عرف الصحابة خطورة هذا الثغر حتى قرَّر أبو موسى الأشعري - رضي الله عنه -فقال : « **لأن يمتلئ منخراي من ريح جيفة أحب إلي من أن يمتلئا من ريح امرأة**» ، وما ذلك إلا لأنه تعلَّم من نبيه -ﷺ- الذي شدَّد على كل امرأة تعطَّرت أن لا تخرج من بيتها ولو لأطهر مكان وهو المسجد لأداء أسمى عبادة وهي الصلاة، فقال -ﷺ- : « **لا تُقبل صلاة لامرأة تتطيب لهذا المسجد حتى ترجع فتغتسل غسلها من الجنابة**» [(صحيح) انظر حديث رقم : ٧٣٨٥ في صحيح الجامع] ، بل ووصفها بوصف غاية في الشدة لينفِّر كل امرأة منه فقال: «**إذا استعطرت المرأة فمرت على القوم ليجدوا ريحها فهي زانية**»[(حسن) انظر حديث رقم: ٢٧٠١ في صحيح الجامع].

لكن لماذا هذا الوصف المريع: زانية؟!

والجواب: لأنها هيَّجت شهوة الرجال بعطرها، وحملتهم على النظر إليها، فالشم هنا قام مقام النظر حيث قاد إليه، وكل من نظر إليها فقد زنى بعينه؛ وتشوَّش قلبه، ووهن إيمانه.

وقد تنافس في حراسة هذا الثغر أبطال أفذاذ حتى لا يدخل منه ما يُعكِّر صفو القلب، ولو كان مباحا ولكنه الورع ؛ كما روى يونس بن أبي الفرات: أن عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- أُتي بغنائم مسك، فأخذ بأنفه، فقالوا: يا أمير المؤمنين !!تأخذ بأنفك لهذا. قال: « **إنما ينتفع من هذا بريحه، فأكره أن أجد ريحه دون المسلمين** ».

وأما الشم المستحب، فشم ما يعينك على طاعة الله ويقوي حواسك على ذلك، ويبسط النفس إلى العلم والعمل، ولهذا كان مما حُبِّب إلى نبينا من دنيانا الطيب، وكان هديه في الريحان أن لا يرده إذا أُهدي إليه وقال -صلى الله عليه وسلم- كما في صحيح مسلم : «**من عُرِض عليه ريحان فلا، يرده، فإنه طيّب الريح خفيف المحمل**». ومن الشم المستحب شم الزوج لعطر زوجته والزوجة لعطر زوجها، وعندما يجد كل منهما الريح الطيب والعطر الشذي من زوجه يزداد له حبا وألفةً وارتباطاً وقُربى.

أخلاق الحبيب: تريد أن تشم رائحة الجنة جاء عن جابر رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: «**يا معشر المسلمين إياكم وعقوق الوالدين، فإن ريح الجنة توجد من مسيرة ألف عام، والله لا يجد ريحها عاق**» [أخرجه أحمد (١/ ١٤٣)، والحاكم] لكن هذه المسافة تقترب متى ما ارتفع الإيمان وما أنس بن النظر عنكم ببعيد رضي الله عنه قال يوم أحد: « **واهاً لريح الجنة إني لأجد ريحها من وراء أحد** ».

وفي الواقع يقول أحد الأطباء: اتصل بي المستشفى وأخبروني عن حالة خطيرة تحت الإسعاف... فلما وصلت إذا بالشاب قد توفي رحمه الله؛ ولكن ما هي تفاصيل وفاته فكل يوم يموت المئات بل الآلاف، ولكن كيف تكون وفاتهم؟ !! وكيف خاتمتهم؟!! اللهم احسن ختامنا يارب العالمين.

أُصيب هذا الشاب بطلقة نارية عن طريق الخطأ فأسرع والداه، ولما كانا في الطريق التفت إليهما الشاب وتكلم معهما !! ولكن !! ماذا قال؟؟ هل كان يصرخ ويئن؟! أم كان يتسخط ويشكو؟! أما ماذا؟!.

يقول والداه: كان يقول لهما لا تخافا!! فإني ميت... واطمئنا... فإني أشم رائحة الجنة، ليس هذا فحسب بل كرر هذه الكلمات الإيمانية عند الأطباء في الإسعاف ... حيث حاولوا وكرروا المحاولات لإسعافه ... فكان **يقول لهم:** يا أخواني إني ميت لا تتعبوا أنفسكم ... فإني أشم رائحة الجنة.

ثم طلب من والديه الدنو منه وقبلهما وطلب منهما السماح وسلّم على إخوانه ثم نطق بالشاهدتين!!أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، ثم أسلم روحه إلى بارئها ﷻ. الله أكبر!!!

ماذا أقول، وبم أعلق، أجد أن الكلمات تحتبس في فمي، والقلب يرتجف في يدي ولا أملك إلا أن أردد، و أتذكر قول الله تعالى ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ [إبراهيم:٢٧]

فلما أخذوه ليغسّلوه شاهدوا عجباً !كما يقول من غسّله:

أو لاً: رأى المغسل جبينه يقطر عرقاً. قلت لقد ثبت عن رسول الله -ﷺ- أن المؤمن يموت بعرق الجبين ... وهذا من علامات حُسن الخاتمة.

ثانياً: يقول كانت يداه لينتين وفي مفاصله ليونة كأنه لم يمت وفيه حرارة لم أشهدها من قبل فيمن أُغسلهم !! ومعلوم أن الميت يكون جسمه بارداً وناشفاً ومتخشبا.

ثالثاً: كانت كفه اليمنى في مثل ما تكون في التشهد قد أشار بالسبابة للتوحيد والشهادة وقبض بقية أصابعه ... **سبحان الله** ... ما أجملها من خاتمة نسأل الله حسن الخاتمة.

أحبتي ... القصة لم تنته بعد!! سألنا والده عن ولده وماذا كان يصنع؟!

أتدري ما هو الجواب؟!

أتظن أنه كان يقضي ليله متسكعاً في الشوارع أو رابضاً عند القنوات الفضائية والتلفاز يشاهد المحرمات... أم يغطُّ في نوم عميق حتى عن الصلوات... أم مع شلل الضياع وغيرها؟!

أم ماذا يا ترى كان يصنع؟! وكيف وصل إلى هذه الخاتمة التي لا أشك أخي القارئ أنك تتمناها ... أن تموت وأنت تشم رائحة الجنة.

قال والده: لقد كان غالباً ما يقوم الليل؛ فيصلي ما كتب الله له، وكان يوقظ أهل البيت كلهم ليشهدوا صلاة الفجر مع الجماعة وكان حافظاً لكتاب الله، و كان من المتفوقين في دراسته الثانوية.

عباد الله: أما الباب السادس والأخير فهو البصر هناك أربع نظرات حرام:

النظرة الأولى: النظرة المتطلعة: قال تعالى آمرًا نبيه -ﷺ- : ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾ [طه:١٣١]

ومعنى الآية أي لا تطمح ببصرك إلى زخارف الدنيا طموح رغبة وتمني، فقال النبي -ﷺ- : «**انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم**» [أخرجه مسلم في صحيحه : كتاب الزهد ١٨/ ٩٧].

ويا لها من وصية شاملة جامعة مانعة، كلماتها قليلة، وفوائدها غزيرة، وحين خالف ابن عون هذه الوصية ونظر إلى من هو أعلى منه دنيا ؛ صنع حسرته بنفسه وأورد نفسه موارد ندمه، فقال -رحمه الله-: « **صحبتُ الأغنياء فلم أر أحدا أكثر همًّا مني، أرى دابة خيرا من دابتي، وثوبا خيرا من ثوبي، وصحبتُ الفقراء فاسترحت**». وهو ما قرَّره أبو سليمان الداراني حين قال: « **إذا جاءت الدنيا إلى القلب ترحَّلت الآخرة منه، وإذا كانت الدنيا في القلب لم تجئ الآخرة تزحمها ؛ لأن الدنيا لئيمة والآخرة عزيزة**».

النظرة الثانية: النظرة الخائنة:

وخائنة العين هي أن يُضمر الإنسان في قلبه غير ما يُظهر للناس، فإذا كفَّ أحد لسانه وأومأ بعينه بخلاف ذلك فقد خان، وإذا أطلق لسانه بحلو الحديث عن أحد وأومأ بعينه بعكس ذلك من ورائه فقد خان، فلابد للعين من أن تُوافق القلب وإلا كانت خائنة. نعوذ بالله من خائنة الأعين.

النظرة الثالثة: النظرة المتلصصة:

قال -ﷺ- : «**من اطلع في بيت قومٍ بغير إذن ففقئوا عينه فلا دية له ولا قصاص**»[صحيح مسلم كتاب الآداب باب تحريم النظر في بيت الغير ١٤/١٣٨]. ، ولذا شرع الله الاستئذان. قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٢٧ ﴾ [النور:٢٧]

النظرة الرابعة: النظرة الجائعة:

وهي نظرة الرجل إلى المرأة الأجنبية بشهوة، ونظرة المرأة إلى الرجل الأجنبي بشهوة، وهؤلاء هم.. الشاربون من البحر!! قد لا تلمح ما تفعله النظرة في قلب صاحبها في التو، لكنها تزرع النار في الفؤاد لتأتي عليه آخر الليل لتحيله رماداً في رماد، بل تأتي هذه النظرة والصورة وأنت في أطهر مكان وفي خير موقف في السجود بين يدي الله ليمنعك من الخشوع.

قال أحد الصالحين: " أما سمعت قول النبي -ﷺ-: «**إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة أو تمثال**»[أخرجه البخاري [٥٩٥٨] ومسلم [٢١٠٦] من حديث أبي طلحة رضي الله عنه]. ! فإذا كان الملك لا يدخل بيتاً فيه صورة أو تمثال: فكيف تدخل شواهد الحق قلباً فيه أوصاف غيره من البشر.

عباد الله: بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما سمعتم واستغفر الله لي ولكم ولسائر المؤمنين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وإخوانه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أيها المسلمون: النظر إلى النساء، فتنة ليس لها من دون الله حام ولا مانع، مصيبة كبيرة، ومفسدة ضخمة، وشر مستطير، وبلاء ومحنة، اللهم اعصمنا منها، واحفظنا عن الوقوع فيها، وارحمنا يا أرحم الراحمين، فإنه لا حول لنا ولا طول بها.

في الصحيحين من حديث أَبي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ -ﷺ- : «إِنَّ اللهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنْ الزِّنَا، أَدْرَكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فَزِنَا الْعَيْنِ النَّظَرُ، وَزِنَا اللِّسَانِ الْمَنْطِقُ، وَالنَّفْسُ تَمَنَّى وَتَشْتَهِي، وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ كُلَّهُ وَيُكَذِّبُهُ».

أيها الإخوة، النظر بريد الزنا، قال الشاعر:

كل الحوادث مبدأها من النظر ❊❊❊ ومعظم النار من مستصغر الشرر

كم نظرةٍ فتكت في قلب صاحبها ❊❊❊ فتك السهام بلا قوسٍ ولا وتر

والعبد ما دام ذا عين يقلبها ❊❊❊ في أعين الغيد موقوف على خطر

يسر ناظره ما ضر خاطره ❊❊❊ لا مرحباً بسرور عاد بالضرر

القلب بيتٌ والعين بابه، ولا يدخل لص البيت إلا والباب مفتوح، فإذا دخل سرق حِلية الإيمان وجوهر التقوى، وترك القلب خراباً في خراب، فاحذر أخي الحبيب هذا اللص فإنه خفيف الحركة تكفيه لحظة واحدة ليتسلل - لحظة واحدة فقط - ولهذا لما سئل النبي -ﷺ- عن نظر الفجأة قال: «**اصرف بصرك**». [أخرجه مسلم في الآداب (٢١٥٩) بمعناه، وهذا لفظ أبي داود في النكاح (٢١٤٨)].

أي أحكم إغلاق الباب وضع عليه حراسة أمن مشددة من جنود المراقبة، ولا تفتحه ولو لحظة واحدة.

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [النور:٣٠]

سُئل الإمام الجنيد -رحمه الله- : بم يُستعان على غض البصر؟ قال: «**بعلمك أن نظر الله إليك أسبق إلى ما تنظره**». وكان الإمام أحمد ينشد:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا ❊ ❊ ❊ تقل خلوت ولكن قل عليّ رقيب

ولا تحسبن الله يغفل ساعةً ❊ ❊ ❊ ولا أن ما يخفى عليه يغيب

الدعاء، خير سلاح، وأقوى وسيلة، وأنفع دواء، به استعانة برب الأرض والسماء، به النصر على الأعداء، فاستعن به يا أخي.

أخي الحبيب:

ادع الله دائماً أن يحفظ عليك إيمانك، وأن يقوي عزيمتك على غض البصر، وحفظ النظر، ادع الله في ليلك ونهارك، في أوقات الاستجابة، وفي كل وقت.

من شغله اليوم التطلع إلى الغيد الحسان فليعقد مقارنة بينهن و بين الحور لتعلم الفرق بين هذه وتلك الحور وما الحور: تجري الشمس من محاسن وجهها إذا برزت، ويضيء البرق من ثناياها إذا ابتسمت، لو اطلعت على الدنيا لملأت ما بين السماء والأرض ريحاً، ولاستنطقت أفواه الخلائق تهليلاً وتكبيراً وتسبيحاً، ولتزخرف لها ما بين الخافقين، ولما نامت عن النظر إليها عين، ولطمست ضوء الشمس كما يطمس الشمس ضوء النجوم، ولآمن من على ظهرها بالله الحي القيوم، نصيفها (**خمارها**) الذي يخفي جمالها خير من الدنيا وما فيها فكيف جمالها؟ بياض لحمها يسطع من وراء سبعين حلة من فوقها فكيف ضياؤها؟ لولا أن الله كتب على أهل الجنة أن لا يموتوا لماتوا من فرط حسنها وجمالها، فما ظنك بامرأة إذا ضحكت في وجه زوجها أضاءت الجنة من ضحكها!! وإذا انتقلت من قصر إلى قصر قلت هذه الشمس متنقلة في بروج أفلاكها. كل هذا وأنت مشغول بالجيف!!

يا من وقّع العقد: نظران لا يجتمعان من غض طرفه اليوم عن الطين أطلقه غداً في الحور العين، ومن أطلقه اليوم حرمه غداً فاختر لنفسك، وقدم - إن شئت - المهر الذي أرشدك إليه أبو الدرداء رضي الله عنه فقال: « من غض بصره عن النظر الحرام زوج من الحور العين حيث أحب».

اخاطب الحور الحسان * * * وطالباً لوصالهن بجنة الحيوان

لو كنت تدري من خطبت ومن * * * طلبت بذلت ما تحوي من الأثمان

أو كنت تعرف أين مسكنها * * * جعلت السعي منك لها على الأجفان

أسرع وحث السير جهدك * * * إنما مسراك هذا ساعةٌ لزمان

فاعشق وحدث بالوصال النفس * * * وابذل مهرها ما دمت ذا إمكان

واجعل صيامك دون لقياها * * * ويوم الوصل يوم الفطر من رمضان

الفراسة الصادقة: تظل الفراسة الصادقة منزلة إيمانية محتكرة لمن اصلح قلبه وحفظ هذه الأبواب وغض بصره محجوزة له لا يزاحمه فيها إلا مثيله، وهي التي تميز بين الصادق والكاذب بين المحق والمبطل بين الباكي والمتباكي وهذه أهم ثمار غض البصر وأجلها قال شاه بن شجاع الكرماني: «من عمّر ظاهره باتباع السنة وباطنه بدوام المراقبة وغض بصره عن المحارم وكف نفسه عن الشهوات واعتاد أكل الحلال لم تخطئ له فراسة» .

عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوماً وقف على منبر وصاح بصوت مرتفع أثناء الخطبة (**يا سارية الجبل**) ثلاث مرات بعد الخطبة قال له عبد الرحمن بن عوف ما هذا الذي فعلت أثناء الخطبة لقد تكلم الناس عنك، فقال والله لا أدرى لقد وجدتني أصيح يا سارية الجبل.

بعد يومين جاء رسول من المعركة قال سارية رئيس الجند يبشرك يا أمير المؤمنين بالنصر.. والله كان الكفار منتصرين علينا حتى ساعة صلاة الجمعة الماضية وسمعنا صوتاً يصيح: يا سارية الجبل فلزم سارية ومن معه الجبل وحاربنا فانتصرنا عليهم فقال عمر رضي الله عنه : الحمد لله.

كان عثمان بن عفان ﷺ علماً من أعلام الفراسة وشيخاً من شيوخها استحيا من الله فاستحيت منه ملائكة الله، وغض طرفه عن الآثام فأورثه الله فراسة يكشف بها كل من أطلق بصره وزنا به ظاناً أن أحداً لن يعرف من أمره شيئاً، فإذا بعثمان يعلم ويكشف لا ليفضح بل لينصح. دخل عليه رجل فقال له عثمان: يدخل عليّ أحدكم والزنا في عينيه، فقال: أَوَحْيٌ بعد رسول الله -ﷺ- ؟ فقال: "لا ولكن فراسة صادقة" ثبت في الصحيح من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي -ﷺ- فيما يروي عن ربه ﷻ أنه قال: «**ما تقرب إليّ عبدي بمثل ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها**» فصار قلبه كالمرآة الصافية تبدو فيها صور الحقائق على ما هي عليه فلا تكاد تخطئ، له فراسة فإن العبد إذا أبصر بالله أبصر الأمر على ما هو عليه، فإذا سمع بالله سمعه على ما هو عليه وليس هذا من علم الغيب بل علام الغيوب قذف الحق في قلب قريب.

روي عن الشافعي ومحمد بن الحسن أنهما كانا بفناء الكعبة ورجل على باب المسجد فقال أحدهما: أراه نجاراً، وقال الآخر: بل حداداً، فتبادر من حضر إلى الرجل فسأله فقال: كنت نجاراً وأنا اليوم حداد.

وقال مالك عن يحيى بن سعيد أن عمر بن الخطاب ﷺ قال لرجل ما اسمك؟ قال: جمرة، قال: ابن من؟ قال ابن شهاب، قال: ممن، قال: من الحرقة، قال أين مسكنك؟ قال: بحرة النار، قال: أيها قال بذات لظى، فقال عمر: أدرك أهلك فقد احترقوا فكان كما قال.

هذا وصلوا - عباد الله -: - على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾[سورة الأحزاب: ٥٦]

اللهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين. . .

مع الخوف والخائفين

(١)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾[النساء: ١].

أما بعد عباد الله:

سنعيش وإياكم مع منزلة من منازل السير إلى الله، مع عبادةٍ من أجل العبادات، ومن أعظم القربات، مع عبادةٍ لو حلّت في قلب العبد حالت بينه وبين محارم الله عز وجل ومعاصيه، إنها منزلة الخوف من الله تعالى.

الخوف من الله - أصل كل فضيلة، وباعث كل قربة.

ما الذي أقض مضاجع الصالحين فكانوا: ﴿قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ١٧ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ١٨﴾[الذاريات:١٨]

إلا الخوف من الله ومن عقابه.

﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ١٦﴾[السجدة:١٦]

وما الذي أجرى من خشية الله عز وجل الدموع وأسكن في القلب الهيبة لله عز وجل والخشوع...إلا الخوف من الله ومن عقابه.

فكم أطلق الخوف من سجين في لذته كانت قد استحكمت عليه سكرته، وكم فك من أسير للهوى ضاعت فيه همته، وكم أيقظ من غافل التحف بلحاف شهوته، وكم عاقٍ لوالديه رده الخوف عن معصيته، وكم من فاجرٍ في لهوه قد أيقظه الخوف من رقدته، وكم من عابدٍ لله قد بكى من خشيته، وكم من منيبٍ إلى الله قطع الخوف مهجته، وكم من مسافرٍ إلى الله رافقه الخوف في رحلته ، فلله ما أعظم الخوف لمن عرف عظيم منزلته.

﴿ قُلۡ يَخَافُونَ يَوۡمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [النور:٣٧] .

﴿ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٣﴾ ﴾ [الزُّمَر:١٣]

هنيئاً لمن خاف مقام ربه، وترك الذنوب والعصيان، هنيئاً له بجنة الرضوان، ﴿ وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الرحمن:٤٦] ، مخافة الله إنها الخصلة التي ما تمكنت من قلب عبد إلا قادته إلى الله وعلقته بالله جل في علاه.

إنها الخصلة التي عمّر الله بها قلوب الأخيار فهذبت أخلاقهم وقومت أفعالهم وسلوكهم، فوالله ما هذّب المؤمن شيء أجل وأكرم من الخوف من الله، فلن تجد إنسانا يخاف الله إلا وجدته أعف الناس لسانا وأصدقهم كلاما وبيانا وأحفظهم لحدود الله عز وجل في قوله وفعله، ولن تجد إنسانا جريئا على محارم الله وحدود الله إلا وجدته ناقص الخوف من الله.

أيها الأحباب: إن الخوف من الله تعالى هو من أخص صفات عباد الله المتقين وأوليائه المحسنين، قال الله تعالى ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الأنفال:٢].

قال الإمام الطبري -رحمه الله-: "المؤمن هو الذي إذا ذكر الله وجِل قلبه، وانقاد لأمره، وخضع لذكره، خوفًا منه، وفَرَقًا من عذابه".

الخوف من الله: عبادةٌ قلبية عظيمة لا تصدر إلا من مؤمن صادق الإيمان. لأن الخوف من لوازم الإيمان، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران:١٧٥]، وقال تعالى ..﴿فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِي﴾ [البقرة:١٥٠] وقال تعالى:﴿فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٥١﴾﴾ [النحل:٥١]،ومدح أهله في كتابه وأثنى عليهم ، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [المؤمنون:٥٧] وعلى قدر العلم والمعرفة يكون الخوف والخشية ، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨]،وكلما كان العبد بالله أعرف كان له أخوف، وكلما كان العبد أقرب إلى ربه كان أشد له خشية، وقد وصف الله الملائكة بقوله: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل:٥٠].

ووصف الأنبياء وحملة الدين والدعوة بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾﴾ [الأحزاب:٣٩]

الخوف من الله وخشيته ومراقبته طريقٌ للأمن في الآخرة، وسببٌ للسعادة في الدارين، وكل قلب ليس فيه خوف من الله فهو قلبٌ خرب.

أعلى المؤمن: إذا سكن الخوف من الله في القلب أحرق مواضع الشهوات فيه وطرد حب الدنيا والتعلق بها .

الخوف من الله هو سوط الله يقوّم به الشاردين عن بابه، ويرد به الآبقين إلى رحابه.

الخوف سراج في القلب، به يُبصر ما فيه من الخير والشر، وكل أحد إذا خفته هربت منه، إلا الله عز وجل فإنك إذا خفته هربت إليه. فالخائف من ربه هارب إليه.

نعيش مع الخوف والخائفين لماذا؟ لأنَّ المعاصي زادت والذنوب كثرت، ومحارم الله انتهكت وامتلأت العقول بالشبهات والنفوس بالشهوات إلا من رحم الله.

نتكلم عن الخوف يوم أجدبت قلوبنا منه واسودت وأظلمت وقست وتحجرت فهي كالحجارة أو أشد قسوة لم تعد تهزها الموعظة أو تنفعها الذكرى إلا من رحم ربك، فالخوف من الله هو الوسيلة الأكيدة لاتعاظ الراقدين وتنبيه الغافلين.

الخوف من الله هو الذي منع ابن ادم أن يقتل أخاه، قال تعالى: ﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨ ﴾ [المائدة:٢٨].

الخوف من الله هو الذي منع البنت الصالحة أن تطيع أمها وتخلط اللبن بالماء، إذ قالت: يا أماه أما سمعت أمير المؤمنين قد نادى في الناس ألا يخلط اللبن بالماء، قالت المرأة وأين أمير المؤمنين، قالت إذا كان أمير المؤمنين لا يراك فإن الله يراك.

الخوف من الله: هو الذي، منع الراعي ان يبيع غنمة لابن عمر وقال له قل لصاحب الغنم أكلها الذئب قال فاين الله.

الخوف من الله: هو الذي منع المؤمن من اكل الحرام وان تيسرت أسبابه.

الخوف من الله: هو الذي يجعل المؤمن يتوقف عن الخوض في أعراض المسلمين وحرماتهم.

الخوف من الله: هو جعل الشاب الصالح يتوقف عن الانغماس في الحرام والشهوات والفتن ويقول كما قال يوسف العزيز لامرأة العزيز: معاذ الله.

تأملوا عباد الله كيف منع الخوف من الله تعالى ذلك الشاب من الانحراف ذكر ابن الجوزي في "المواعظ": أن شابًا فقيرًا، كان بائعًا يتجول في الطرقات، فمرّ ذات يوم ببيت، فأطلت امرأة وسألته عن بضاعته فأخبرها، فطلبت منه أن يدخل لترى البضاعة، فلما دخل أغلقت الباب، ثم دعته إلى الفاحشة، فصاح بها، فقالت: والله إن لم تفعل ما أريده منك صرخت، فيحضر الناس فأقول هذا الشاب، اقتحم عليَّ داري، فما ينتظرك بعدها إلا القتل أو السجن.

فخوّفها بالله فلم تنزجر، فلما رأى ذلك، قال لها: أريد الخلاء فلما دخل الخلاء: أقبل على الصندوق الذي يُجمع فيه الغائط، وجعل يأخذ منه ويلقي على ثيابه، ويديه وجسده، ثم خرج إليها، فلما رأته صاحت، وألقت عليه بضاعته، وطردته من البيت، فمضى- يمشي- في الطريق والصبيان يصيحون وراءه: مجنون، مجنون، حتى وصل بيته، فأزال عنه النجاسة، واغتسل.

فعوضه الله رائحة المسك أينما نزل، وفي أي مكان حل، حتى عُرف بالمسكي، و لم يزل يُشمُّ منه رائحة المسك، حتى مات - رحمه الله -.

أغلى الحبيب: عندما تتيسر- لك المعصية والحرام في الخلوة أو الجلوة، وبإمكانك فعلها والتلطخ بها، فتتركها مخافة الله، وتعظيما لله، وخوفا من عقابه!!! تعرف ما الجزاء؟ اسمع إلى قول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات:٤١]

صبرت عن الحرام لحظات خوفا من مقام رب الأرض والسماوات فعوضك الله جنة عرضها الأرض والسماوات.

الخوف من عذاب الله والخوف من سوء الخاتمة مزّق قلوب الصالحين، وأطار نوم العارفين، يقول حاتم الأصم: "لا تغتر بمكانٍ صالح، فلا مكان أصلح من الجنة ، ولقي فيها آدم ما لقي ، ولا تغتر بكثرة العبادة ، فإن إبليس بعد طول العبادة لقي ما لقي ، ولا تغتر بكثرة العلم ، فإن بلعام بن باعورا لقي ما لقي وكان يعرف الاسم الأعظم ، ولا تغتر بلقاء الصالحين ورؤيتهم ، فلا شخص أصلح من النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم ينتفع بلقائه أعداؤه والمنافقون".

الخلاصة: إنما العلم الخشية، واتق المحارم تكن أعبد الناس.

إن المؤمن دائما يحمل قلبا وجلا خائفا ...روى الإمام أحمد والترمذي رحمهما الله عن عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - قالت: قلت يا رسول الله: قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [المؤمنون:٦٠]، أهو الذي يزني ويشرب الخمر ويسرق وهو يخاف الله عزوجل ؟ قال: «**لا يا ابنة الصديق، ولكنه الذي يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف أن لا يتقبل الله منه**».

قال الحسن: «**عملوا والله بالطاعات، واجتهدوا فيها، وخافوا أن ترد عليهم، إن المؤمن جمع إحسانا وخشية، والمنافق جمع إساءة وأمنا** ».

فأين القلوب الممتلئة بخوف الله وخشيته.. أين القلوب التي ذلّت لعزت الجبروت وخشعت لصاحب الملكوت ..﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ [نوح:١٣] ، اللهم ارزقنا خشيتك في الغيب والشهادة يا رب العالمين.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني الله وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه واشهد أن لا اله إلا الله تعظيماً لشانه، واشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه وعلى آله وأصحابه وجميع إخوانه.

وبعد عباد الله:

إن الله – سبحانه وتعالى – يريد لعباده أن يعرفوه ويخشوه ويخافوه ولذلك نجد القران الكريم مليء بالآيات التي تصف لنا شدة عذاب الله، وقوة بطشه وسرعة أخذه وأليم عقابه وما أعد من العذاب والنكال للكفار، وذكر لنا النار وأحوالها وما فيها من الزقوم والضريع والحميم والسلاسل والأغلال وهذه المواعظ لا يتعظ بها إلا الخائفين من ربهم والمشفقين من عقابه.

قال تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [الأنعام:٥١]

وقال – سبحانه وتعالى: لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ [الزُّمَر:١٦]

ولا يتعظ بالقران، ولا ينزجر بآياته إلا من يخاف الوعيد والوقوف بين يدي العزيز الحميد قال الله تعالى:

﴿ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾ ﴾ [ق:٤٥]

وبين سبحانه أن ما يرسله من الآيات والأحداث والعبر إنما يرسله من أجل التخويف:

﴿ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [الإسراء:٥٩]

عباد الله:

الخوف شجرةٌ طيبة إذا نبت أصلها في القلب امتدت فروعها إلى الجوارح، فآتت أكلها بإذن ربها وأثمرت عملاً صالحاً وقولاً حسناً وسلوكاً قويماً وفعلاً كريماً، فتخشع الجوارح وينكسر الفؤاد ويرق القلب وتزكو النفس وتجود العين.

عباد الله: ما هي الأسباب التي تورث الخوف من الله؟

ما هي الأسباب التي تغرس في قلوبنا الخوف من الله؟ هذا ما سنعرفه في الجمعة القادمة ان شاء الله.

هذا وصلوا وسلموا على عبد الله ورسوله فقد أمركم الله بذلك فقال تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾ [سُورَةُ الأَحۡزَابِ :٥٦]

اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

وارض اللهم عن أصحابه أجمعين وعن التابعين.

مع الخوف والخائفين

(٢)

الحمد لله رب العالمين اللهم لك الحمد أنت رب السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت ملك السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت الحق، ووعدك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد صلى الله عليه وسلم حق... اللهم لك أسلمنا وبك آمنا، وعليك توكلنا وبك خاصمنا، وإليك حاكمنا، فاغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت...وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، كل شيءٍ قائم به وكل شيءٍ خاضع له ، غنى كل فقير ، وقوة كل ضعيف ، ومفزع كل ملهوف.

من تكلم سمع نطَقه ، ومن سكت علم سرَّه ، ومن عاش فعليه رزقه ،ومن مات فإليه منقلبه. نسأله تعالى الذي جمعنا بكم على طاعته أن يجمعنا بكم في دار كرامته ومستقر رحمته.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حتى أتاه اليقين، فصلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ومن سار على نهجه إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً...

وبعد.. عباد الله: فأوصيكم ـ أيها الناس ـ ونفسي بتقوى الله سبحانه.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٩ ﴾ [الأنفال: ٢٩].

أيها المؤمنون: إننا نعيش عصراً طغت فيه الماديات والشهوات، وكثر فيه القتل وانتهاك الحرمات، وانحرف فيه كثير من الناس عن منهج رب الأرض والسماوات، إننا نعيش في عصر قست فيه القلوب، وتراكمت فيه الذنوب على الذنوب، وقل فيه الخوف من علام الغيوب، ولهذا وقفنا وإياكم مع الخوف والخائفين لعل القلوب تخشع وتخضع وتعظم رب الأرباب ومسبب الأسباب.

لأنه من خاف الله دله الخوف على كل خير، أخي الكريم اسمع إلى وصية محب وهو الحسن البصري يقول: «والله إنك إن تخالط أقواماً يخوفونك في الدنيا حتى يدركَك الأمن في الآخرة، خير من أن تصحب أقواماً يؤمنونك في الدنيا حتى يدركَك الخوف في الآخرة».

والخوف الحقيقي هو الذي يحول بين العبد وبين معصية الله، ويدفع العبد دفعاً إلى طاعة سيده ومولاه، فليس الخائف من يبكي ويمسح عينيه ثم ينطلق ليرتكب المعاصي والذنوب، ولكن الخائف من يترك المعاصي والحرمات خوفا من علام الغيوب.

عباد الله:

ما هي الأسباب التي تورث الخوف من اللّه:

ما هي الأسباب التي لو فعلناها يغرس الله في قلوبنا الخوف منه

أولا: تذكر عظمة الله وكبريائه وجبروته ومعرفة حقارة ا لمنفس.، فمن عرف الله حق معرفته خاف منه حق خوفه، ولذلك كان السلف يقولون: من كان بالله أعرف فهو لله أخوف.

قال ابن قدامة[1] : «قوة المراقبة والمحاسبة والخشية بحسب قوة الخوف، وقوة الخوف بحسب قوة المعرفة بجلال الله تعالى، وصفاته، وبعيوب النفس، وما بين يديها من الأخطار والأهوال».

---

(١) ابن قُدَامَة (٥٩٧ - ٦٨٢ هـ = ١٢٠٠ - ١٢٨٣ م)
عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي الحنبلي، أبو الفرج، شمس الدين: فقيه، من أعيان الحنابلة. ولد وتوفي في دمشق. وهو أول من ولي قضاء الحنابلة بها، استمر فيه نحو ١٢ عاما ولم يتناول عليه (معلوما) ثم عزل نفسه. له تصانيف، منها (الشافي - ط) وهو الشرح الكبير للمقنع، في فقه الحنابلة.

من تأمل أسماء الله وصفاته ونظر فيها بعين الإيمان، ونظر لنفسه بالعجز، علم وأيقن أن الله لا يعجزُه شيء في الأرض ولا في السماء وأنه لو عذب أهل السماوات والأرض لعذبهم وهو غيرُ ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت رحمتُه خيراً لهم من أعمالهم. جاء في الصحيحين عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: (جاء حبر من أحبار اليهود إلى رسول الله فقال: يا محمد، إنا نجد عندنا أن الله عز وجل يجعل السماوات على إصبع، والأرضين على أصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، ثم يهزهن ويقول: أنا الملك. فضحك رسول الله تصديقًا لقول الحبر، ثم قرأ ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزُّمَر:٦٧]

هذه الآية قرأها النبي -ﷺ- فرجف به المنبر حتى قال الصحابة ليخرنّ به ، وجعل النبي ﷺ على المنبر يقول :« يأخذ الجبار سماواته وأرضه بيده ثم يقول أنا الجبار أين الجبارون أين المتكبرون». يا الله زدنا لك تعظيما وخشية وخوفا.

وعند مسلم من حديث أبي موسى- رضي الله عنه - قال قام فينا رسول الله ﷺ- بخمس كلمات فقال:« إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يَخفِضُ القسط ويرفعُه يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه». فلا اله إلا الله ما أعظمه ما قدرناه حق قدره.

فعلى قدر العلم بالله و بأسمائه وصفاته ونعوت جلاله، ومعرفة العبد بنفسه؛ يكون الخوف والخشية، كما قال النبي -ﷺ- :«أنا أعلمكم بالله وأشدكم له خشية».. بل إن الله عز وجل حصر خشيته في صنف واحد من الناس ألا وهم العلماء فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر:٢٨].

اذاً أول امر يغرس الخوف والخشية من الله التفكر في عظمة الله وجبروته وقدرته ورحمته.

ثانياً :تدبر القرآن:

قال ابن القيم-رحمه الله-: «ليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده من تدبر القرآن وجمع الفكر على معاني آياته»، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ [ص:٢٩].

يقول ابن الجوزي: «والله لو أن مؤمناً عاقلاً قرأ سورة الحديد وآخر سورة الحشر- وآية الكرسي وسورة الإخلاص بتفكر وتدبر لتصدّع قلبه من خشية الله وتحيّر من عظمة الله ».

ها هو رسول الله حبيب الله يقول لابن مسعود: «اقْرَأْ عَلَيَّ»، قال: يَا رَسُولَ اللهِّ، آقْرَأُ عَلَيْكَ، وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ، قَالَ: «نَعَمْ» قال فَقَرَأْتُ سُورَةَ النِّسَاءِ حَتَّى أَتَيْتُ إِلَى هَذِهِ الآيَةِ: ﴿فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ٤١﴾ [النساء:٤١]، قَالَ: «حَسْبُكَ الآنَ» فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ، فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ"

وسُئلت عائشة- رضي الله عنها - أخبرينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله ﷺ قال فسكتت ثم قالت لما كان ليلة من الليالي قال: « يا عائشة ذريني أتعبد الليلة لربي»، قالت فقام فتطهر ثم قام يصلي قالت فلم يزل يبكي حتى بل حجره ثم بكى حتى بل الأرض فجاء بلال يؤذنه بالصلاة فلما رآه يبكي قال يا رسول الله: تبكي وقد غُفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، قال: « أفلا أكون عبدا شكورا، لقد نزلت علي الليلة آية ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها.

﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾ [آل عمران:١٩١][رواه ابن حبان في صحيحه وغيره].

وها هو عمر بن الخطاب – رضي الله عنه -يقرأ سورة الطور حتى إذا بلغ قول الله عز وجل:

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ٧﴾ [الطور:٧] بكى واشتد بكاؤه، حتى مرض وعاده الناس.

فقراءة القرآن بتدبر، وتأمل وتفكر تغرس في القلب مخافة الله جل وعلا.

ثالثا: مما يزرع في القلوب الخوف من علام الغيوب التفكر في سوء الخاتمة.

نعم إن: السعيُ لحسن الخاتمة غايةُ الصالحين، وهمةُ العباد المتقين، ورجاء الأبرار الخائفين، قال الله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة:١٣٢] ، وقال تعالى في وصف أولي الألباب: ﴿رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ﴿١٩٣﴾﴾ [آل عمران:١٩٣].

وقال تعالى عن التائبين: ﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [الأعراف:١٢٦].

سُئلت أُم سلمة زوج النبي -ﷺ- : ما كان أكثر دعاء رسول الله ﷺ إذا كان عندك؟ قالت: كان أكثر دعائه:« **يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**»، قالت قلت: يا رسول الله ما أكثر ما تدعو بهذا الدعاء يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك؟ قال:« **يا أم سلمة إنه ليس آدمي إلا وقلبه بين إصبعين من أصابع الله فمن شاء أقام ومن شاء أزاغ**» فتلا معاذ ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران:٨][حديث حسن صححه الألباني]،

فمن وفَّقه الله لحُسن الخاتمة فقد سعِدَ سعادةً لا يشقى بعدها أبدًا، ولا كربَ عليه بعد ذلك التوفيق، ومن خُتِمَ له بسوء الخاتمة فقد خسِر في دنياه وأُخراه.

وكان سفيان الثوري يشتدُّ قلقه من الخواتيم فكان يبكي ويقول: " **أخافُ أن أكون في أمِّ الكتاب شقيًّا، ويبكي ويقول: أخافُ أن أُسلَبَ الإيمان عند الموت**".

وقام ليلة يبكي حتى أصبح فلما سألوه: أكل هذا خوفا من الذنوب؟ فقال وقد أمسك تبنة من الأرض: والله لذنوبي أحقر عندي من هذه، ولكن أخشى سوء الخاتمة!!وقد قيل: «إن قلوب الأبرار مُعلَّقةٌ بالخواتيم يقولون: ماذا يُختَم لنا؟!، فلماذا لا نخاف وقد قال النبي- ﷺ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُ النَّار**» اللهم أحسن ختامنا يا أكرم الأكرمين.

أيها المؤمنون: لا زال الحديث مستمرا مع الخوف والخائفين في الجمعة القادمة بإذن الله

هذا وصلوا – عباد الله: – على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال تَعَالَىٰ:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾

[سُورَةُ الأَحۡزَابِ: ٥٦]

اللهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين.

مع الخوف والخائفين

(٣)

الحمد لله ولي من اتقاه، ونصير من والاه، من توكل عليه كفاه، ومن دعاه أجابه، ومن سأله أعطاه، ومن خافه قلة خطاياه، أحمده سبحانه وأشكره، ومن مساوئ عملي استغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا معبود بحقٍ سواه، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله نبيه ومصطفاه صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن نصره وآواه واقتفى أثره واتبع هداه.

أخي المسلم:

عاشر بمعروفٍ فإنك راحلُ ... واترك قلوب الناس نحوك صافية

واذكر من الإحسان كل صغيرةٍ ... فاللهُ لا تخفى عليه الخافيةْ

لا منصبٌ يبقى ولا رُتبٍ هنا ... أحسِن فذكرك بالمحاسنِ كافيةْ

واكتب بخطك إن أردت عبارةً ... لا شيء في الدنيا يساوي العافيةْ

اللهم عافنا واعف عنا واختم لنا بالباقيات الصالحات أعمارنا يارب العالمين. اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك الصالحين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

اللهم اجعلنا من عبادك المتقين الأبرار، واجمعني وإخواني هؤلاء في جناتٍ تجري من تحتها الأنهار.

ما زلنا وإياكم مع الخوف والخائفين وهذا هو اللقاء، الثالث، وما زلنا نجيب على سؤال ما هي الأسباب التي تورث الخوف من الله:

وقفنا مع ثلاثة منها:

أولها تذكر عظمة الجبار سبحانه وقوته وجبروته ومعرفة ضعف النفس، فأخوف الناس من الله أعرفهم به، ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ [نوح:١٣].

ثانيها تدبر القرآن: فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده من تدبر القرآن وجمع الفكر على معاني آياته. ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الحشر:٢١]

ثالثها: مما يزرع في القلوب الخوف من علام الغيوب التفكر في سوء الخاتمة، فالأعمال بالخواتيم، ولا يدري الإنسان بماذا يختم له .فاللهم احسن ختامنا يارب العالمين.

رابعاً: مما يقرب العبد من ربه ويغرس الخوف منه تذكر سكرات الموت وقبض الروح: يقول الإمام أبو حامد الغزالي -رحمه الله-: « اعلمْ: أنَّه لو لمْ يكنْ بينَ يدي العبدِ المسكينِ كربٌ ولا هولٌ و لا عذابٌ سوىٰ سكراتِ الموتِ فقط.. لكانَ جديرًا بأن يتنغصَ عليهِ عيشُهُ، ويتكدَّرَ عليهِ سرورُهُ، ويفارقَهُ سهوُهُ وغفلتُهُ، فلا تسل عن بدن يُجذب من كل عرق من العروق، وعصبٍ من الأعصابِ،، ومفصلٍ مِنَ المفاصلِ، ومِنْ أصلِ كلِّ شعرةٍ وبشرةٍ مِنَ الفَرْقِ إلى القدمِ، فلا تسألْ عَنْ كربِهِ وألمِهِ، حتىٰ قالوا: إنَّ الموتَ لأشدُّ مِنْ ضربٍ بالسيوف ونشرٍ بالمناشيرِ وقرضٍ بالمقاريضِ ثم يموت كل عضو من أعضائه تدريجياً، فتبرد أولاً قدماه، ثم ساقاه، ثم فخذاه، ولكل عضو سكرة بعد سكرة، وكُربة بعد كُربة حتى يبلغ بها إلى الحلقوم، فعند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا وأهلها، ويُغلق دونه باب التوبة، وتُحيط به الحسرة والندامة«. [إحياء علوم الدين ٦١/٥، ٦٢].

﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [الواقعة:٨٥] ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾﴾ [القيامة:٢٧]

وقال عمر – رضي الله عنه – لكعب الأحبار: يا كعب، حدثنا عن الموت، فقال: « إن الموت كغصن كثير الشوك أدخل في جوف رجل وأخذت كل شوكة بعرق، ثم جذبه رجل شديد الجذب، فأخذ ما أخذ وأبقى ما أبقى».

وكان أحد الصالحين كثيرا ما يسأل المحتضرين: كيف تجدون الموت؟ فلما مرض قيل له: فأنت كيف تجده؟ فقال: كأن السماوات مطبقة على الأرض، وأنا بينهما وكأن أتنفس من ثقب إبرة». فيا الله يا الله هون علينا سكرات وما بعد الموت.

خامسا: مما يغرس الخوف من الله في القلوب تذكر القبر ومشاهد الآخرة:

يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١﴾ [الحج:١]

فالجميع سيُحشر بداية من أبى البشر حتى آخر إنسان تقوم عليه الساعة، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ ١٠٣﴾ [هود:١٠٣]

حتى إذا تكاملت عدة الموتى، وخلت من سكانها الأرض والسماء، فصاروا خامدين بعد حركاتهم، فلا حسٌ يُسمع، ولا شخصٌ يُرى، وقد بقي الجبار الأعلى يقول: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾ ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ﴾ فيجيب نفسه ﴿لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ١٦﴾، ثم لم يفجأ روحك إلا بنداء المنادي لكل الخلائق قوموا للعرض على الله عزوجل .

قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ٦٨﴾ [الزُّمَر:٦٨]، فبينما أنت فزع للصوت إذ سمعت بانفراج القبر والأرض عن رأسك وقمت مغبراً من قرنك إلى قدمك بغبار قبرك قائماً على قدميك شاخصاً ببصرك نحو النداء وثار الخلائق كلهم معك ثورة واحدة وهم مغبرون من غبار الأرض، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يَنسِلُونَ ٥١ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ٥٢﴾ [يس:٥٢]، فتوهم نفسك بعريك، ومذلتك، وانفرادك.

تخيل نفسك بخوفك، وأحزانك، وغمومك، في زحمة الخلائق، عُراة حفاة، صموت أجمعون فلا تسمع إلا همس أقدامهم والصوت المنادي، والخلائق مقبلون نحوه، وأنت فيهم مقبل نحو الصوت، ساع بالخشوع والذلة، ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ [طه:١٠٨]

حتى إذا وافيت الموقف ازدحمت الأمم كلها من الجن والإنس للعرض على الله.

عَبدُ الله بنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُما يُسأَلُ عن الخَائِفِينَ فَقَالَ: قُلُوبُهُم بالخَوْفِ قَرِحَةٌ، وَأَعْيُنُهُم بَاكِيَةٌ، يَقُولُونَ: كَيفَ نَفرَحُ والمَوْتُ من وَرَائِنَا، وَالقَبْرُ أَمَامَنَا، وَالقِيَامَةُ مَوْعِدُنَا، وَعَلَى جَهَنَّمَ طَرِيقُنَا، وَبَينَ يَدَيِ الله رَبُّنَا مَوْقِفُنَا.

وقال معاذ بن جبل: (إن المؤمن لا يسكن روعه حتى يترك جسر جهنم وراءه).

وكان عمر بن عبد العزيز إذا ذكر الموت انتفض انتفاض الطير، ويبكي حتى تجري دموعه على لحيته، وبكى ليلةً فبكى أهل الدار لبكائه، ولا يعلمون ما به، فقالت له زوجه: (ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟) قال: (ذكرت منصرف القوم من بين يدي الله تعالى فريق في الجنة وفريق في السعير).

أيُّها الإخوة الكرام: من خَافَ اللهَ تعالى شَمَّرَ عن سَاعِدِ الجِدِّ، وسَعَى في مَرْضَاةِ الله عزَّ وجلَّ، لأَنَّهُ يَعلَمُ بأَنَّ أَجَلَهُ مَحْدُودٌ، والوقوف بين يدي الله تعالى كَائِنٌ لا مَحَالَةَ، لهذا تَرَاهُ مُسْرِعًا في مَرْضَاةِ رَبِّهِ عزَّ وجلَّ، كَمَا قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ خَافَ أَدْلَجَ ـ سَارَ أَوَّلَ اللَّيلِ ـ وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ المَنْزِلَ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ الله غَالِيَةٌ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ الله الجَنَّةُ» [رواه الترمذي عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ].

فيا من تخاف الله عز وجل: تذكر قبل أن تعصي الله: يوم يقول المجرمون: ﴿ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ [الكهف:٤٩]، **تذكر قبل أن تعصي:** القبر وعذابه وظُلمته فهو إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار.

تذكر قبل أن تعصي الله: يوم تدنو الشمس من الرؤوس قدر ميل ويعرق الناس على قدر أعمالهم.

تذكر قبل أن تعصي الله: أنك سوف تعبر الصراط المنصوب على متن جهنم وعلى قدر عملك فإما أن تنجوا وإما أن تخطفك كلاليب جهنم والعياذ بالله. قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم:٧٢].

تذكر قبل أن تعصي الله: عندما يقول العاصي يوم القيامة: ﴿يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الزُّمَر:٥٦]

اللهم ارزقنا خشيتك في الغيب والشهادة، اللهم اجعلنا من عبادك الخائفين.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين والعاقبةُ للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

أما بعد: فيا أيها الإخوة الكرام:

خامسا: مما يزيد الخوف من الله في القلوب ـ النظر في سير الصالحين من أسلافنا: فمع صلاحهم وتقواهم لله عز وجل وبعدهم كل البعد عن محارم الله إلا أنهم كانوا على خوف ووجل شديد من الله تعالى.

إِذَا مَا اللَّيلُ أظلَمَ كَابَدُوه ... فيسفرُ عنهمُ وهمُ ركوعُ

أَطَارَ الخَوفُ نومَهُم فَقَامُوا ... وَأهلُ الأمنِ فِي الدُنَيا هُجُوعُ

لَهُم تَحتَ الظَّلامِ وَهُمْ سُجُودٌ ... أَنِينٌ مِنهُ تَنفَرجُ الضُّلُوعُ

وَخُرسٌ بالنَّهارِ لِطُولِ صمتٍ ... عليهِم مِنْ سكينتهمْ خشوعُ

وعلى رأس هؤلاء:

رسول الله -ﷺ- القائل: « والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ، ولبكيتم كثيراً، وما تلذذتم بالنساء على الفرش، ولخرجتم إلى الصَعُدات تجأرون إلى الله تعالى»، وكان - ﷺ - يصلي وفي صدره أزيز كأزيز الرحى من البكاء.

وهذا أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - يمسك بلسانه ويقول:« هذا الذي أوردني الموارد»، وكان يبكي كثيراً خوفاً من الله. وكان إذا صلى لم يفهم الناس ما يقرأ من شدة أسفه وبكائه.

وكان يقول: «وددت أني شعرة في جنب عبد مؤمن».

وهذا عمر بن الخطاب- رضي الله عنه -كان في وجهه - رضي الله عنه - خطان أسودان من البكاء، وكان يسأل حذيفة بن اليمان، أنشدك الله: هل سماني لك رسول الله ، يعني من المنافقين. **فيقول**: لا، ولا أزكي بعدك أحدا، وها هو ينقش على خاتمه: «كفى بالموت واعظاً يا عمر». ويقول: «يا ليتني لم أكن شيئاً مذكوراً » « يا ليت أمي لم تلدني » **ويقول**:« لو عثرت بغلة في العراق لخشيت أن يسألني الله عنها يوم القيامة». **ويقول**: « لو نادى منادٍ من السماء يا أيها الناس إنكم داخلون الجنة كلكم إلا واحداً لخفت أن أكون أنا هو»!!**وقال لابنه وهو يموت:**«ويحك ضع خدي على الأرض لعل الله يرحمني».

وهذا عثمان بن عفان - رضي الله عنه -، كان إذا وقف على قبر يبكي حتى يبل لحيته، وقال: «لو أنني بين الجنة والنار لا أدري إلى أيتهما يؤمر بي، لاخترت أن أكون رماداً قبل أن أعلم إلى أيتهما أصير».

ويقول : « وددت لو أنني لو مت لم أبعث» وهو الذي كان يقطع الليل تسبيحاً وقرآناً وتخرق مصحفه من كثرة ما قرأ به ، ومات ودمه على المصحف شهيداً..

وهذا الشافعي: لما نام على فراش الموت دخل عليه المزني فقال له المزني : كيف أصبحت يا إمام؟! فقال الشافعي: «أصبحت من الدنيا راحلاً، وللإخوان مفارقاً، ولكأس المنية شارباً، ولعملي ملاقياً، وعلى الله وارداً، فلا أدري أتصير روحي إلى الجنة فأهنيها، أم إلى النار فأعزيها؟ » ثم أنشد قائلاً:

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي جعلت الرجا مني لعفوك سلما

تعاظمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي كان عفوك أعظما

وكان مالك بن دينار يقوم الليل يبكي للعزيز الغفار، وهو قابض على لحيته ويقول: يا رب! يا رب! لقد علمت ساكن الجنة من ساكن النار، ففي أي الدارين منزل مالك بن دينار ؟!

فأين هذه القلوب؟ وأين هذه الأرواح التي تربت على القرآن؟ وما لنا حل ولا صلاح ولا فلاح ولا سعادة إلا أن نراجع حسابنا مع الله عز وجل وأن نعود بسير هؤلاء وبأمثالهم نستقرؤها ونكررها في المجالس والمنتديات والمحافل ونعيدها دائماً وأبداً؛ لأن الله يقول: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ ﴾ [يوسف:١١١]، وقال: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام:٩٠].

سادسا: مما يزيد نسبة الخوف من الله في القلوب سماع المواعظ المؤثرة والمحاضرات المرققة للقلب:

فالنفس إذا أطلقت في ملذات الدنيا وشهواتها جعلت القلب قاسيا؛ وفي هذه الحال يحتاج إلى مواعظ مؤثرة مرققة له؛ وهذا ما سلكه الرسول – ﷺ – مع صحابته الكرام؛ فعن العرباض بن سارية – رضي الله عنه – ـ قال: «**وَعَظَنَا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظةً بليغةً ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب**» [أبو داود وابن ماجة والترمذي وصححه]. **فكثرة المواعظ والدروس والخطب والمحاضرات الدينية تملأ القلب خشية وأخباتا إلى الله تعالى.**

عباد الله: هذه هي الوسائل والطرق الموصلة إلى خشية الله والخوف منه فلنلزمها ولنعمل بها قبل أن يفوتنا القطار وقبل أن نندم ولا ينفع الندم !!

أيها المسلمون: ما هي ثمار الخوف من الله؟

ماذا سنجني لو خفنا من الله وعظّمنا حرماته؟ هذا ما سنعرفه في الجمعة القادمة ان شاء الله، هذا وصلوا – **عباد الله** – على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال تَعَالَى:﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [سورة الأحزاب:٥٦]

اللهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين.

مع الخوف والخائفين

(٤)

الحمد لله الذي خلق الخلق فأبدعه، وسن الدين وشرعه، ونوَر النور وشعشعه، وقدّر الرزق ووزعه، وأجرى الماء وأنبعه، وجعل السماء سقفاً مرفوعاً رفعه، والأرض بساطاً وضعه، من الذي سأله شيئا فمنعه، ومن الذي طرق بابه فأرجعه، ناداه يونس وهو في ظلمات البحر فسمعه، واستجاب لأيوب حينما دعاه يشكو إليه وجعه سبحانه ما أعلى مكانه وأرفعه وأعز سلطانه وأمنعه، يؤتي ملكه من يشاء وممن يشاء نزعه، فلا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، ولا مبدل لكلماته ولا مبعثر لما جمعه .

أشهد أن لا اله إلا هو وحده لا شريك له ولا ند له ولا إله معه.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وأمينه على ما استودعه.

صلى الله عليه وعلى آله و جميع أصحابه، خصوصاً الخلفاء الأربعة، و من سار على هديه، وامتثل سنته وعلى جميع من اتبعه.

أوصيكم ونفسي بتقوى الله وطاعته القائل:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٨﴾ [الحديد:٢٨]

اللهم اجعلنا من عبادك المتقين الأبرار، واجمعني وإخواني هؤلاء في جنات تجري من تحتها الأنهار برحمتك يا الله يا الله يا عزيز الغفار.

هذا هو اللقاء الأخير مع الخوف والخائفين جعلنا الله وإياكم ممن يخافه ويخشاه في السر، والعلانية واليوم سنعيش مع ثمرات الخوف من الله، مع الثمار اليانعة وللفوائد العظيمة لمن يخاف الله ويخشى عذابه.

هناك فوائد وثمار في الدنيا وفي الآخرة.

أما في الدنيا فسبع فوائد عظيمة:

أولها: الخوف من الله من أسباب التمكين في الأرض، وزيادة الإيمان والطمأنينة، قال عز وجل: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ أَرۡضِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ رَبُّهُمۡ لَنُهۡلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٣ وَلَنُسۡكِنَنَّكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ١٤﴾ [إبراهيم:١٣-١٤]، فنصر الله للخائفين من مقامه وتمكين الله في الأرض للذين يخشون وعيده.

ثانيا: الخوف من الله يبعث على العمل الصالح والإخلاص فيه، وعدم طلب المقابل في الدنيا حتى لا ينقص الأجر في الآخرة: ﴿إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا ١٠﴾ [الإنسان:٩-١٠]، ما الذي يحرك الإنسان حين يسمع حيا على الصلاة حيا على الفلاح الصلاة إلا الخوف من الله ومن لقاءه ما الذي يجعل العبد ينتفض من فراشه الوثير حين يسمع الصلاة خير من النوم إلا الخوف من الله ومن عذابه، قال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ٣٦ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ٣٧﴾ [النور:٣٦-٣٧]،

ثالثا: من خاف الله أخاف الله منه كل شيء:

قال يحيي بن معاذ الرازي: على قدر حبك لله يحبك الخلق وعلى قدر خوفك من الله يهابك الخلق وعلى قدر شغلك بالله يشتغل في أمرك الخلق.

لذلك كان العدو يسمع بالنبي - ﷺ - من مسيرة شهر فيهابه وما ذلك إلا لصدق خوفه - ﷺ - من ربه عز وجل.

وهذا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يهابَه الأكاسرة والقياصرة وهم على عروشهم وترتعد فرائصهم منه، بل إن إبليس عليه لعنة الله كان يهابَ عمر حتى أنه كان لا يجرؤ أن يسلك الطريق الذي يسلكها عمر وما ذلك إلا لشدة خوفه - رضي الله عنه -.

وهكذا كانت الأمة جميعها في زمن العزة يهابَها عدوَها ويحسب لها ألف حساب لكن لما تخلت الأمة عن مصدر عزتها وكرامتها وتجرأ أبناؤها على حدود الله وانعدم الخوف في القلوب -إلا من رحم الله- ضاعت هيبة الأمة وتجرأ عليها أجبن وأخس أمم الأرض من أبناء القردة والخنازير بل أصبح البعض يهرول للتطبيع مع اليهود مع من حارب الله ورسوله والمؤمنين تطبيع مع من نهانا الله عن موالاتهم فكيف بالتطبيع معهم قال الله وإذا قال الله بطل كل قول وقائل: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ﴾ [المائدة:٥١] وقال تعالى: ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡ﴾ [البقرة:١٢٠] اسمع للصادق الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ :عَنْ ثَوْبَانَ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: «يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا»، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ»، فَقَالَ قَائِلٌ ما الوهن يا رسول الله ، قال: « حب الدنيا وكراهية الموت» .

رابعا: الخوف حماية للفرد والمجتمع من الفواحش، والآثام والحرام، فالذي يخاف من الله تعالى يضع نصب عينيه معية الله تعالى له، فإذا دعته نفسه الأمارة بالسوء إلى فعل ما يوجب سخط الله ذكّرته نفسه اللوامة نظر الله إليه.

قال ابن القيم: «من ثمرات الخوف أنه يقمع الشهوات ويكدّر اللذات فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة مكدرة».

الخوف من الله يصنع الضمير الحي الذي يصحب الإنسان في كل مكان، وأقوى من القوانين والعقوبات البشرية، هل أتاكم خبر من وجد تفاحة تحت شجرة فأكل نصفها، فذكر أنها ليست له، فبحث عن صاحب البستان حتى وجده فسأله وطلب منه أن يسامحه قبل أن يأتي يوم لا ينفع فيه دينا رولا درهم.

هل أتاكم خبر ذاك الرجل الذي استلم من أمين الصندوق راتبه، أو حواله من موظف الصرافة، فلما وصل إلى بيته وجد أن المبلغ زائدا على ما هو له، فأعاده إلى صاحبه، ما الذي أعاده إلا الخوف من الله، الخوف من أكل الحرام؛ لأن الحرام يهلك وأهله.

هل أتاكم خبر من اشترى أرضا فلما بدأ يحفر أرضه، وجد جرّة فيها ذهب، فذهب إلى البائع وقال له: وجدت ذهبا في أرضك التي اشتريته فالمال مالك، فقال البائع: لقد بعتك الأرض بما فيها فالمال مالك.

الله اكبر عندما تمتلا القلوب مخافة لله يعيش المجتمع بأمنٍ وسعادة ورخاء.، قال تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾ [الأنعام:٨٢]

خامسا: الخوف من الله يبعث في النفس الشجاعة، فلا يجد الإنسان مقابل الخوف من الله تعالى خوفًا آخر من غيره، حيث يستند المؤمن إلى قوة عظيمة وركن متين، وحينها يكفيه الله تعالى أذى الشياطين وأوليائهم، وهو ما أشار إليه الرسول ﷺ بقوله: «**من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكَّله الله إلى الناس**» [أخرجه الترمذي والحاكم وصححه الألباني].

أيها المؤمنون:

تاريخنا المجيد مليء بالعلماء والصالحين الأفذاذ الذين وقفوا أمام الظلمة الجبابرة وقالوا كلمة حق، وثبتوا ثبات الجبال الرواسي؛ فرفع الله مكانهم وأعلى شأنهم.

سادسا: الخوف من الله إنه يبعث في النفس الاعتبار والتذكر في آيات الله، وفيما يجري من أقدار الله، فتلين القلوب وتخشع لذكر الله: ﴿فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ ۝١٠﴾ [الأعلى:١٠]، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّمَنۡ خَافَ عَذَابَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ [هود:١٠٣]

سابعاً: الخوف من الله سبب للنجاة من كل سوء، قال رسول الله- ﷺ- «**ثلاث منجيات وذكر منها: خشية الله تعالى في السر والعلانية**» [صحيح الجامع ٣٠٣٩] فهذه الخشية هي التي تحفظ العبد وتنجيه من كل سوء.

اللهم أجعلنا من عبادك الخائفين، وارزقنا خشيتك في السر والعلانية يارب العالمين.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وإخوانه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد.. عباد الله :

أما ثمرات الخوف في الآخرة:

أولها: الخوف من الله ـ يجعل الإنسان في ظل العرش يوم القيامة، الناس في الحر، والعرق والأهوال يصيحون، يبكون، وأهل الخوف من الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، قال ﷺ في الصحيح سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله وذكر منهم: «ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله» [صحيح البخاري [٦٦٠]] «ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه» ، الخشية الموجبة لدمع العين تؤدي إلى أن النار لا تمس العين يوم القيامة، فعينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعينٌ باتت تحرس في سبيل الله .

ثانيا: الخوف من الله من أسباب المغفرة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿١٢﴾ [المُلك:١٢]، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة- رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: « كان رجل يسرف على نفسه ممن كان قبلكم -أي: يسرف على نفسه بالمعاصي والذنوب وفي بعض روايات الحديث أنه كان نباشا (يعني يسرق أكفان الموتى) فلما حضرته الوفاة قال لأولاده: أي أب كنت لكم؟ قالوا خير أب. فقال: فإذا مت فحرقوني، حتى إذا صرت فحماً فاسحقوني، فإذا كان يوم ريح عاصف فاذروني - وفي لفظ في الصحيح: فاذروا نصفي في البر ونصفي في البحر- ثم قال: فلأن قدر علي ربي ليعذبني عذاباً ما عذبه أحداً من العالمين، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: فأمر الله البحر فجمع ما فيه، وأمر الله البر فجمع ما فيه، ثم قال لهذا العبد: (كن) فكان، فإذا هو رجل قائم بين يديه، فقال الله له: ما حملك على أن صنعت ما صنعت؟ فقال العبد: مخافتك يا رب! أو خشيتك يا رب! فغفر الله له بذلك).

ثالثا: الخوف من الله يؤدي إلى الجنة :

لقوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن:٤٦]

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات:٤١]

ولأن النبي -ﷺ- قال: «**من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة**» [سنن الترمذي [٢٤٥٠] أي الذي يخاف من إغارة العدو وقت السحر يسير من أول الليل (أدلج) فبلغ المنزل والمأمن والمطلب، وهذا مثل ضربه الرسول صلى الله عليه وسلم لسالك الآخرة فإن الشيطان على طريقه والنفس الأمارة بالسوء والأماني الكاذبة وأعوان إبليس، فإن تيقظ في مسيره وأخلص النية في عمله أمن من الشيطان وكيده ومن قطع الطريق عليه، هذه سلعة الله التي من دخلها كان من الآمنين.

رابعا: يرفع الخوف عن الخائف يوم القيامة

وفي الحديث القدسي: قال الله تعالى: «**وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له أمنين فإن أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة، وإن خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة**» [(صحيح بن حبان [٦٤٠])].

خامسا: الثمرة الأخيرة للخوف من الله الرضا من الله:

قال تعالى: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ [البيِّنة:٨]

هذا وصلوا - عباد الله: - على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [سُورَةُ الأَحْزَابِ :٥٦]

اللهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين. . .

الذئب في الكتاب والسنة

الحمد لله الملك الجبار العزيز الغفار وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد القهار، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المختار، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه الطيبين الأخيار، ومن تبعه بإحسانٍ ما تعاقب الليل والنهار.

أما بعد.. فأوصيكم ونفسيَ الخاطئةَ بتقوى الله تعالى، فهي العاصم من القواصم، وهي المنجية من المهالك ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب، ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً.

عباد الله: ما زلنا وإياكم مع سلسلة الحيوان في القرآن والسنة.

واليوم وقفتنا مع الذئب.

الذئب حيوان اُتهم ظُلماً بقتل يوسف -عليه السلام- حتى أصبح مثلاً يُقال للبريء: بريءٌ من التهمة براءة الذئب من دم يوسف بن يعقوب -عليه السلام-.

الذئب مذكور في كتاب الله في سورة يوسف، لقد جاء أخوة يوسف إلى أبيهم متوسلين؛ يا أبانا، لماذا لا تستأمنا على أخينا يوسف؟ هل صدر منا شيء تجاهه؟ ألا تعرف أننا نحبه كثيرًا!! هل ضربناه؟ هل أسأنا إليه؟ هل حسدناه على شيء!! ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ﴿١١﴾﴾ [يوسف: ١١]، نحن نحبه والله، وننصح له، ولا نريد له إلا الخير، ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٢﴾﴾ [يوسف: ١٢].

دعه لنا غدًا يرعى معنا الغنم، وسوف نتركه يلعب، ويجري، ويمرح، إلا أن أعيننا سوف تكون عليه، ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٢﴾﴾ [يوسف: ١٢]. فأجابهم يعقوب - عليه السلام - بلسان الأب الحنون، وبقلب مطمئن بصير: ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ﴾ [يوسف: ١٣].

لقد شكَّكُوه في أنفسهم، فبيّن لهم أن ذهابهم بيوسف يُحزنه، وأنه يجد لفراقه وحشة، لأنه صغير، ولأنه يرى فيه النبوة والاصطفاء.

ثم أضاف يعقوب -عليه السلام- سببًا آخر فقال: ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾﴾ [يوسف: ١٣]، قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: لو لم يقل لهم: أخاف أن يأكله الذئب، ما كانوا قالوا في الأخير: لقد أكله الذئب، لأن هذا الأمر لم يكن في أذهانهم، ففتح لهم يعقوب -عليه السلام- طريقًا، وأوجد لهم عذرًا لم يدر بخلدهم، دون أن يدري، ولذلك ففي بعض الآثار أن الله عاقب يعقوب -عليه السلام-، بسبب هذه الكلمة، ففقد ابنه أربعين سنة، وأوحى إليه، قال: يا يعقوبُ خفتَ الذئبَ ولم تذكرْ حفظي!! قلت: "أخاف أن يأكله الذئب" وما قلتَ كما قلتَ في الأخير: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [يوسف: ٦٤]. ﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾﴾ [يوسف: ١٦].

رجعوا إلى أبيهم في العشاء، لماذا لم يأتوا في المغرب، أو في العصر؟

أولاً: ليُظهِرُوا أنهم تأخروا في مصارعة الذئب، وفي ملاحقته، حتى يخلّصوا أخاهم من بين أنيابه! ! ولذلك تأخروا إلى العشاء.

والأمر الثاني: حتى لا يرى أبوهم الدمَ في الثوب فيميّز بين دم يوسف ودم الشاة. والليل استر لوجه الكذاب وانظر إلى المكيدة.. أتوا يتباكون!! ﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾﴾ [يوسف: ١٦]. لقد تركوا كل شيء، وعمدوا إلى أبيهم يعقوب عليه السلام، وهم في حالة سيئة من البكاء والنحيب! ! ماذا حدث؟ يا لهذه الرحمة التي أبكتهم! ما هذه الدموع الساخنة الحارة على فرقة يوسف عليه السلام، فسألهم أبوهم: ما الخبر؟ قالوا: ﴿إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾ [يوسف: ١٧]. ﴿ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾ [يوسف: ١٧] تجارينا وتسابقنا ﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ﴾ [يوسف: ١٧] إشفاقً عليه ﴿عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾ [يوسف: ١٧]، لأنه أخبرهم قبل ذلك أنه يخاف أن يأكله الذئب، ثم قالوا: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [يوسف: ١٧]. أنت لا تصدقنا مع أننا صادقون، ﴿وَجَاءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ [يوسف: ١٨]. إن كنت لا تصدقنا، فهذا دليل صدقنا، هذا قميصه ملطخًا بالدماء، هذا ثوبه جئنا به؛ لتعلم أننا صادقون!!

أخذ يعقوب -عليه السلام- الثوب، وضمه إليه، وسالت عينه بالدموع، ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يوسف: ١٨]. لقد كدتم مكيدة، ودبّرتم مؤامرة، والله المستعان على ما تصفون.

قال ابن تيمية -رحمه الله-: «**الصبر الجميل؛ الذي لا شكوى فيه، والصبر الجميل أن لا تُظْهِر الفقر ولا المسكنة لغير الله، والصبر الجميل أن تتجمل أمام خلق الله**».

قيل لأحد العبَّاد: ما هو الصبر الجميل؟ قال: أن يتقطع جسمك قطعة قطعة، وأنت تتبسم! !

وقال آخر: «الصبر الجميل أن تُبتلى وقلبك يقول: الحمد لله».

الذئب. . . . من أشرس الحيوانات وأكثرها دهاءً واحكمها صيداً.

الذئب هو الحيوان الوحيد الذي يأكل الجن؟!

هل تعلم أن الذئب هو الحيوان الوحيد الذي تخشاه الجن؟ فلماذا لا يخاف من الكلاب مثلاً. أو إي حيوان آخر! !

في الذئب خاصيتان. .

أولا: أنه إذا وقع عينه على جني فإن الذئب لا يحول عنه بصره بل يثبت نظره عليه بشكلٍ تام. . ولو فصل بينهما وادٍ لدار الذئب حوله.

الذئب يشم رائحة دم البشر على بعد أميال بالصحراء وأن الإنسان إذا أُصيب وخرج منه دم في الصحراء يصبح هدفاً للذئب لا يستطيع الخلاص منه بسهولة.

الذئب إذا نام يجعل النوم نُوَباً بين عينيه، فينام بإحداهما حتى إذا نعست الأخرى نام بها، وفتح النائمة حتى قيل فيه: ينام بإحدى مقلتيه ويتقي بأخرى المنايا فهو يقظان نائم.

الذئب لا يأكل الجيفة مهما كان جوعه.

الذئب لا يحدث عنده زواج المحارم أي أنه لا يتزوج من أمه أو أخته كباقي الحيوانات.

الذئب حيوان لا يتهجن ولا يصبح أليفاً كباقي الحيوانات المفترسة كالنمور وغيرها.

الذئب عندما يهجم على قطيع من الغنم أو غيرها من المواشي يختار أفضل الموجود ويظل يبحث بينها حتى يجد الأفضل.

الذئب لديه من الذكاء ما يجعله يعرف إن كان راعي الماشية يحمل سلاحاً أو لا يحمل وعلى غرار ذلك يقرر الهجوم.

الذئب يُلقب بالأبن البار؛ لأنه الحيوان الوحيد الذي يبر والديه بعد وصولها لمرحلة الشيخوخة وعدم القدرة على مجاراة القطيع في الصيد، فيبقى الأبوان في الوكر ويصطاد لهما الأبناء ويطعموهما.

الذئبة الأُنثى أكثر شراسة من الذكر وبالذات عندما يوجد لديها صغار.

الذئب يُذكّرنا بزمن عمر بن عبد العزيز الخليفة الخامس زمن العدل زمن فاض بيت مال المسلمين زمن رأى الناس الذئب يرعى مع الغنم وفي ليلة من الليالي رأى الرُّعاة الذئب يعتو على الغنم فقال قائلهم مات الليلة الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز، ووقف العلماء وقفة تأمل كيف يرعى الذئب مع الغنم؟ فقالوا أصلح الخليفة أصلح الأمير أصلح عمر بن عبد العزيز ما بينه وبين الله فأصلح الله ما بين الغنم والذئب.

أعلاه الحبيب: يا من تريد أن يصلح الله ما بين وبين أولادك وبين الناس ومع زوجتك أصلح ما بينك وبين الله.

قال سفيان بن عيينة – عليه –رحمه الله–: «من أصلح سريرته أصلح الله علانيته، ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس، ومن عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه».

الذئب يذكّرنا بالمثل السائر عند العرب: «من استرعى الذئب ظلم» نعم من سلّم الذئب إلى الغنم فقد ظلم لأن الذئب سيقضي عليها. وفي هذا رسالة أن من أعان على تولية الذئاب على مقدرات وخيرات وثروات الأمة فقد ظلم، وعندما ترى المنصب وعليه ظالم لا يعرف الله ولا يعرف المسجد فلا تلوم الظالم فقط ولكن اللوم على من كان سبباً في توصيل هذا الظالم إلى هذا المنصب وصدق من قال: «كيفما تكونوا يولّ عليكم».

الذئب يذكّرنا بقوله -ﷺ- فعن ابن عمر رضي الله عنهما ؛ قال: قال رسول الله -ﷺ-: « **ما ذئبان ضاريان في حظيرة يأكلان ويفسدان بأضر فيها من حب الشرف وحب المال في دين المرء المسلم** » [رواه الترمذي (٩/٢٢٢، ٢٢٣) ورواه في المسند (٣/٤٥٦) والنسائي وابن حبان في صحيحه].

الحرص على المال ذئب والحرص على الشرف شبهه بذئبٍ آخر، إذا أُرسل الذئب في الغنم ماذا يفعل؟ فكذلك يفعل الحرص على الشرف والحرص على الجاه والحرص على الرئاسة كذلك تفعل في الدين، تفسد الدين إفساداً عظيماً، فمن الناس من ضيّع صلاته من أجل المال وضيّع دينه وعفته وأمانته من أجل الشرف والمال وصدق النبي -ﷺ- وهو يدعو على هؤلاء عُبّاد الدنيا فقال: «**تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة إن أُعطي رضي، وإن لم يُعط سخط، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش**» [صحيح البخاري ح (٢٨٨٧)]. وقال -ﷺ- « **بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا ويمسي مؤمناً ويُصبح كافراً يبيع دينه بعرَضٍ من الدنيا**» [أخرجه مسلم في الإيمان [١١٨] من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-]

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني الله وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه واشهد أن لا اله إلا الله تعظيماً لشانه، واشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه وعلى اله وأصحابه وجميع إخوانه.

وبعد عباد الله:

الذئب يذكّرنا بالحديث الذي، رواه الإمام أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: عدى ذئبٌ على شاة -في عهد النبي -ﷺ- - فتبعه الراعي، وانتزعها منه -طارده حتى أطلقها- ولما أخذها أقعا الذئب على ذنبه -أي جلس على فخذه وذنبه وارتكز على يديه هذا هو الإقعاء- وقال: ألا تتقي الله تنزع مني رزقاً ساقه الله إلي، فقال الراعي: عجباً! ذئبٌ مقعٍ على ذنَبه يكلمني كلام الإنس، قال الذئب: ألا أنبئك بأعجب من ذلك؟ - محمد -ﷺ- بـ يثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق، قال: فأقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة، فزواها إلى زاوية من زوايا المدينة ثم أتى رسول الله -ﷺ- فأخبره الخبر، فأمر رسول الله -ﷺ- فنودي بالصلاة جامعة، ثم خرج فقال للراعي أخبرهم، فأخبرهم، فقال -ﷺ-: **صدق! وهذه من علامات الساعة**، ثم قال: «**والذي نفسي بيده! لا تقوم الساعة حتى يكلم السباع الإنس، ويكلّمه عذبة سوطه، وشراك نعله، ويخبره فخذه بما أحدَث أهله بعده**» هذه من علامات الساعة.

الذئب يذكرنا بأعدى أعداء الإنسان الشيطان، كما قال عليه الصلاة والسلام: عن معاذٍ -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «**إنَّ الشيطانَ ذِئبُ الإنسان، كذئبِ الغنَم، يأخذُ الشاةَ القاصِية والناحية، فإيّاكم والشِّعاب، وعليكم بالجماعة والعامَّة والمسجد**» [مسند أحمد (٥/٢٣٢، ٢٤٣)، معجم الطبراني الكبير (٢٠/١٦٤)]

الذئب يذكرنا بقول الإمام الشافعي:

نعيب زماننا والعيب فينا ... وما لزماننا عيبٌ سوانا

ونهجو ذا الزمان بغير جُرمٍ ... ولو نطق الزمان بنا هجانا

وليس الذئب يأكل لحم ذئبٍ ... ويأكل بعضنا بعضاً عيانا

إنها إشارة إلى أن التغيير في الواقع يبدأ من الداخل من النفوس لا أن نعيب زماننا، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

الذئب يذكّرنا بالذئاب البشرية التي تخدع بنات المسلمين بالكلمات المعسولة ويصوّر لها أنه سوف يتزوجها، فتبني معه علاقة معينة وتظل في انتظاره، ويلعب بها ويعدها ويمنيها وما يعدها إلا غرورًا، وتظل هي تعيش على الأمل الكاذب الموهوم في انتظار هذا الرجل، حتى تتفاجأ بأنه قد تزوج وتخلى عنها، وكأنه لم يتحدث معها يوماً من الأيام بهذه الأماني والأحلام المعسولة.

فهذه أكذوبة يخدع بها الشيطان بعض الفتيات فتتعلق برجل تنتظره حتى يفوتها قطار الزواج أو يكاد.

يقول أحدهم: إن المعاكس ذئبٌ يُغري الفتاة بحيلة يقول:

هيا تعالي إلى الحياة الجميلة قالت ... أخاف العار والإغراق في درب الرذيلة
قال الخبيث بمكرٍ لا تقلقي يا كحيلة ... إنا إذا ما التقينا أمامنا ألفُ حيلة
متى يجيء خطيبٌ في ذي الحياة المليلة ... لكل بنتٍ صديق وللخليل خليله
للسوق والهاتف والمـ لهى حكاياتٌ جميلة ... ألا ترين فلانة ألا ترين الزميلة
وإن أردت سبيلاً فالعُرس خير وسيلة ... وانقادت الشاة للذئب على نفسٍ ذليلة
فيا لفحشٍ أتته ويا فعالٍ وبيلة ... حتى إذا الوغد أروى من الفتاة غليله
قال اللئيم وداعاً ففي البنات بديلة ... قالت ألّما وقعنا أين الوعود الطويلة
قال الخبيث وقد كشّر عن مكرٍ وحيلة ... كيف الوثوق بغرٍّ وكيف أرضى سبيله
من خانت العرض يوماً عهودها مستحيلة ... بكت عذاباً وقهراً على المخازي الوبيلة
عارٌ ونارٌ وخزيٌ كذا حياة ذليلة ... من طاوع الذئب يوماً أورده الموت غيلة

الذئاب تُذكرنا باللئام الذين لا يقطع فيهم معروف ولا يؤثر فيهم جميل.

ذُكر أن امرأةً رأت جرو ذئب فكانت ترضعه من شاة عندها، لما كبُر الذئب قام إلى الشاة فقتلها وأكلها وهرب، عادت العجوز تقول:

بقَرْت شويهتي وفجعت قلبي ... وكنت لها ابنٌ ربيبُ

غُذّيت بدرها وعشت معها ... فمن أدراك أن أباك ذيبُ

إذا كان الطباع طباع ذئبٍ ... فلا أدبٌ يفيد ولا أديبُ

الناس ليسوا سواء، فمن الناس الوفي ومنهم الغادر، ومنهم الطيب ومنهم الخبيث، ومنهم الصالح ومنهم الطالح، إن من النفوس نفوساً تبلغ في خسّتها أنها لا تنتقم إلا ممن يحسن إليها ويتفضل، يذكر لنا من سبَقنا علماً وفضلاً في حادثة جرت أن رجلاً ارتكب جُرماً، فأوى إلى بيت كرام فآووه، ورُب الدار يطعمه ويسقيه ويكرمه في بيته شهوراً طويلة حتى هدأت العيون وسكت الناس عن طلبه، بعد هذا يقوم الجاني فيقتل رب الدار، يقتل رب الدار الذي أحسن إليه، يسأله الناس بعد ذلك: لم فعلت هذا؟ ! فقد أحسن إليك كل الإحسان! فيقول لهم: إني كلما نظرت إليه تذكرت إحسانه علي، فيضيق صدري، فأردت أن أقتله حتى أستريح، نفوس كنفوس الوحش من الحيوان.

. . هذا وصلوا – عباد الله: – على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾

[سُورَةُ الأَحۡزَابِ: ٥٦]

اللهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين. . .

زيارة إلى بيت المصطفى (١)

الحمد لله الذي جمع قلوب المؤمنين على الإيمان، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الديان، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله إلى الإنس والجان، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أهل البر والإحسان، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين:

أخي:

كُنْ عن همومك معرِضا ❊❊❊ وكِلِ الأمورَ إلى القَضَا
أبشِرْ بخـــيرٍ عاجـــل ❊❊❊ تَنسى به ما قد مـضى
فلـــرُبَّ أمـــرٍ مسخـطٍ ❊❊❊ لك في عواقبِه رضـــا
ولربَّما اتَّسَـعَ المضـــيق ❊❊❊ وربما ضـاق الفضـــا
اللهُ يفعـــل ما يشـــاء ❊❊❊ فلا تكـــنْ متعرِّضًـــا
اللهُ عوَّدك الجميل فقسْ ❊❊❊ على مـا قـد مضـــى

اللهمَّ فرج همنا، ورضنا بما قسمت لنا، وحرم هذه الوجوه على النار يارب العالمين.

أيها الناس: اتقوا الله حق التقوى، فمن اتقى الله جعل له نوراً يُفرّق به بين الحق والباطل، بين الخير والشر .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ❊ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ [الأحزاب: ٧١]

عباد الله: سنقوم وإياكم اليوم بزيارة، فتجهزوا أعدوا العدة للانطلاق.

نحن اليوم على موعد مع أفضل زيارة، وأحب زيارة إلى قلوبنا، زيارة إلى أين؟ زيارة إلى بيت الطهر والشرف، إلى بيت الجود والكرم إلى بيت حبيب قلوبنا ونور أعيننا، نعم اليوم مع موعد مع زيارة بيت خير البرية محمد -ﷺ-؛ لنرى رسول الله مع أهله وفي بيته.

اللهم وفقنا للحج والعمرة وزيارة مسجد نبيك يا أكرم الأكرمين.

سنعود قرونًا خلت ونقلّب صفحات مضت، نقرأ فيها ونتأمل سطورها.

إنها رحلةٌ مباركة، إنها عظةٌ وعبرة، وسيرةٌ وقدوة، وإتباعٌ واقتداء.

ها نحن نطل على المدينة النبوية وهذا أكبر معالمها البارزة بدأ يظهر أمامنا، إنه جبل أحد الذي قال عنه الرسول -ﷺ-: «**هذا جبلٌ يُحِبُنا ونُحبه**» [متفق عليه].

وقبل أن نلج بيت الرسول -ﷺ- ونرى بناءه وهيكله، لا نتعجب إن رأينا المسكن الصغير والفُرش المتواضعة، فإن الرسول -ﷺ- أزهد الناس في الدنيا وقد قال -ﷺ- عن الدنيا: «**مالي وللدنيا؛ ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يومٍ صائف، فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار، ثم راح وتركها**» [أخرجه الترمذي (٤ / ٥٠٨) رقم (٢٣٧٧) وقال: حسن صحيح وابن ماجه (٢ / ١٣٧٦) رقم (٤١٠٩). وأحمد (١ / ٣٠١). وصححه الألباني كما في صحيح الجامع رقم (٥٦٦٨، ٥٦٦٩)].

وقد أقبلنا على بيت الرسول -ﷺ- ونحن، نستحث الخُطى سائرون في طرق المدينة، ها هي قد بدت حُجر أزواج رسول الله -ﷺ-، مبنية من جريد النخل عليه طين، بعضها من حجارة، وسقوفها كلها من جريد النخل. وكان الحسن -رحمه الله- يقول: «**كنت أدخل بيوت أزواج النبي -ﷺ- في خلافة عثمان فأتناول سُقفَها بيدي**». [الطبقات الكبرى لابن سعد: 1 / 499، 501، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ / ٢٧٤].

ونحن نقترب من بيت النبوة ونطرق بابه بأظافرنا استئذانًا، ونحن في شوق لرؤيته والسلام عليه.

لندع الخيال يسير مع من رأى النبي -ﷺ- يصفه لنا كأننا نراه، لكي نتعرف على طلعته الشريفة ومحياه الباسم.

عن البراء بن عازب -رضي الله عنه- قال: «**كان النبي -ﷺ- أحسن الناس وجهًا، وأحسنهم خلقًا، ليس بالطويل البائن، ولا بالقصير**».

«**وكان النبي -ﷺ- مربوعًا بعيد ما بين المنكبين، له شعر يبلغ شحمة أذنيه، رأيته في حلة حمراء لم أر شيئًا قط أحسن منه**» [رواه البخاري].

وسأله رجل: أكان وجه رسول الله -ﷺ- مثل السيف؟ قال: لا بل مثل القمر«. [رواه البخاري.]وقال أبو هريرة -رضي الله عنه-: «ما رأيت شيئًا أحسن من رسول الله -ﷺ-، كأن الشمس تجري في وجهه»، وعن جابر بن سمرة -رضي الله عنه- قال: «رأيت رسول الله -ﷺ- في ليلة (مقمرة)، وعليه حُلَّة حمراء، فجعلتُ أنظر إلى رسول الله -ﷺ- وإلى القمر، فإذا هو عندي أحسنُ من القمر».

وعن أنس -رضي الله عنه- قال: «ما مسست بيدي ديباجًا ولا حريرًا، ولا شيئًا ألين من كف رسول الله -ﷺ-، ولا شممت رائحة أطيب من ريح رسول الله -ﷺ-». [متفق عليه.]

أما وقد رأينا الرسول -ﷺ- وبعض صفاته أُذن لنا واستقر بنا المقام في وسط بيت نبي هذه الأمة عليه الصلاة والسلام

إنه بيتٌ متواضع وحُجَرٌ صغيرة، تسع حجرات لكل زوجة حجرة هي البيت بكاملة، وقد بلغت مساحةُ كل واحدةٍ مِن الحجرة والفناء ثمانيةَ أذرُع طُولًا وعرضًا، نصف الحجرة لأهله، والنصف الثاني مقسوم بسترة لمن أتاه من الناس، وكان -ﷺ- اذا أراد يسجد في صلاته النافلة وهو في بيته ترفع عائشة -رضي الله عنها- رجلها لضيق الغرفة، بيت ليس بالواسع كبيوتنا لكنه عامر بالإيمان والطاعة، وبالوحي والرسالة!

إنه بيتٌ أساسه التواضع ورأس ماله الإيمان، بيت نبوي مبارك، لا شرقي ولا غربي، في زمن طغت فيه الماديات وتباهى فيه الناس بأغلى المفروشات، تكاثر وتفاخر، بالدور والقصور، مُجَملة الظاهر، مزينة بالنمارق ولكنها خاوية الروح، وفاقدة الأنس بالله.

ها نحن نرى جدران بيت رسول الله تخلو من صور ذوات الأرواح التي يعلقها بعض ن الناس اليوم! ! فقد قال عليه الصلاة والسلام: «لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب ولا تصاوير» [صحيح البخاري في كتاب بدء الخلق (٣٣٢٢)، وصحيح مسلم في كتاب اللباس (٢١٠٦). من حديث أبي طلحة -رضي الله عنه-].

أما فراشه -ﷺ- فكان من الجلد المدبوغ، حشوه ليف و هو ليف النخل، وكذلك هي الوسادة.

فكان -ﷺ- ينام على الفراش تارة ، وعلى الحصير تارة، وعلى الأرض تارة، وعلى السرير تارة.

ويدخل -رضي الله عنه- بيت النبي -ﷺ- يوما، ويرمي ببصره إلى نواحي البيت فلا يكاد يقف على شيء من الأثاث سوى قِطَعٍ جلديّة رثّة، وجرّة بها ماؤه ووضوؤه، وصحافٍ قديمة ليس بينها مائدة طعام، ورفٍّ عليه شيء من الشعير الذي تصنع منه عائشة رضي الله عنها ما يأكلون.

وبينما كان عمر بن الخطّاب -رضي الله عنه- غارقاً في تأمّلاته إذ قام النبي -ﷺ- من حصيره وقد أثّر على جنبه الشريف، عندها تفجّرت مآقي الدمع من عيون عمر -رضي الله عنه-، ولم يستطع أن يحتمل أكثر من ذلك.

فسأله رسول الله عن سبب بكائه ودموعه فقال: "يا رسول الله، إن كسرى وقيصر فيما هما فيه، على النمارق والحرير والديباج وأنت رسول الله" على حصير فقال -ﷺ-: «**أو في شك أنت يا ابن الخطاب: «أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة؟) أولئك قوم عجلت لهم طيّباتهم في الحياة الدنيا**» متفق عليه.

رسول الله حبيب الله من تفتح له الجنة من يشفع للخلائق يوم العرض الأكبر كان أحياناً لا يجد ما يملأ بطنه -ﷺ- يمر عليه الهلال والهلال والهلال ثلاثة أهلّه في شهرين وما أوقد في بيته نار، أكلهم الأسودان التمر والماء، يظل أياما وليالي متتابعة بأبي وأمي طاويا هو وأهله لا يجدون ما يأكلون، وكان النبي -ﷺ- يظل اليوم يلتوي من الجوع وما يجد من – رديء التمر – ما يملأ بطنه.

وخرج ذات يوم فلقي أبا بكر وعمر فقال: « **ما أخرجكما من بيوتكما الساعة**» **قالوا: "الجوع يا رسول الله" قال: « وانا والذي نفسي بيده أخرجني الذي أخرجكما**».

ربط من شدة الجوع الحجر على بطنه، وناولته فاطمة كسرة خبز فقال: « هذا أول طعام أكله أبوك منذ ثلاث»، وخرج من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير بأبي وأمي -ﷺ- عُرضت له مفاتيح الخزائن فأباها، واختار لنفسه ولأهل بيته عيشة الكفاف لا تحريماً للطيبات، ولا عجزا عن مُتع الحياة، ولكنه استعلاءٌ عن الشهوات، شعاره لا عيش إلا عيش الآخرة.

لنتأمل في حال رسول هذه الأمة وقائدها ومعلمها -ﷺ-؛ وهديه في التعامل مع زوجاته وهو القائل: « خيركم خيركم لأهله».

كان بأبي وأمي جميل العشرة دائم البشر، يداعب أهله، ويتلطف بهم ويضاحك نساءه، كان لهن الزوج الحبيب، والجليس المؤانس، والموجه الناصح، لا يؤذيهن بلسانه أو بيده، وما ضرب بيده امرأةً ولا خادماً قط وكان يوصي أصحابه بزوجاتهم خيرا قائلا: « استوصوا بالنساء خيرا ».

وكان يُسرِّب إلى عائشة بنات الأنصار يلعبن معها، وكان إذا هوت شيئاً لا محذور فيه تابعها عليه، وكانت إذا شربت من الإناء أخذه فوضع فمه في موضع فمها وشرب، وكان يتكئ في حجرها ويقرأ القرآن ورأسه في حجرها، وربما كانت حائضاً.

إنه -ﷺ- زوجٌ مثالي، قدوة عظيمة، زوج لا كالأزواج وصدق الله القائل: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١]

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول هذا وأستغفر الله أستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك لـه تعظيماً لشأنه واشهد أن سيدنا محمد -ﷺ- الداعي إلى رضوانه وعلى آله وصحبه وجميع اخوانه.

وبعد: عباد الله:

لم تشغل نبينا محمد -ﷺ- الرسالة، والنبوة عن إصلاح منزله ورعاية أسرته، ولم يخلو بيته -ﷺ- من المشكلات الزوجية، ولم يسلم من صوت المنغصات والمكدرات مثَله مثل سائر البيوت.

عباد الله: تعالوا بنا نسائل زوجاته أمهات المؤمنين فنسمع منهن.

عباد الله: لو اكتشف أحدنا أن زوجته تشكّ في بعض تصرفاته، وربما تلصَّصَت على أقواله أو أفعاله أو تبعت خطواته هنا أو هناك، يدفعها إلى ذلك الرِّيبة وسوء الظن، ماذا سيصنع بها زوجها؟ وما موقفه من هذه الأنثى الضعيفة التي تجرح كبرياءه بشكّها وتهدّد قوامته برصدها ومتابعتها؟ أيلطمها ويسبّها، أم يتفوّه بطلاقها، أم يبادلها الشكّ والرِّيبة ويضع تصرّفاتها تحت مجهره وبين عينيه؟ ! ربما فعل أحدنا ذلك كله أو بعضه، ولكن دعونا نعرض ذلك على بيت محمد -ﷺ-، وهل وقع شيء من ذلك، وما الذي صنعه أفضل الخلق؟

تُحدثنا أمّنا أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- قائلة: ألا أحدثكم عن النبي -ﷺ- وعني، قالوا: بلى، قالت: «لما كانت ليلتي التي كان فيها النبي -ﷺ- عندي فجلس فوضع رداءه، وخلع نعليه فوضعهما عند رجليه، وبسط طرف إزاره على فراشه، فاضطجع، فلم يلبث إلا ريثما ظن أن قد رقدت فأخذ رداءه رويدًا، وانتعل رويدًا، وفتح الباب فخرج، ثم أجافه ـ أي: أغلقه ـ رويدًا، فجعلتُ دِرْعِي في رأسي، واختمرت وتقنّعت إزاري، ثم انطلقت على إثره حتى جاء البَقِيع، فقام فأطال القيام، ثم رفع يديه ثلاث مرات، ثم انحرف فانحرفت، فأسرع فأسرعت، فهرول فهرولت، فأحضر فأحضرت ـ والإحضار العدْو ـ فسبقتُه، فدخلتُ فليس إلا أن اضطجعت فدخل، فقال: «ما لك يا عائشُ حَشْيا رابيةً؟» ـ يعني أنّ نفَسَها مرتفع ـ قالت: لا شيء، قال: «لتخبريني أو ليخبرني اللطيف الخبير»، قالت: قلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي، فأخبرته .....

قال: «فأنتِ السّواد الذي رأيت أمامي؟ » قلت: نعم، فلَهَدَني في صدري لَهْدَة أوجعتني - ومعنى لَهَدَني: دفعني - ثم قال: « أظننتِ أن يحيف الله عليك ورسوله؟! » قالت: مهما يكتم الناس يعلمْه الله.

ثم انظروا - يا رعاكم الله - إلى أَرِيحيّته وسعة صدره وهو يبيّن لها في آخر الليل السبب الذي دعاه إلى ما صنع، قال: «فإن جبريل أتاني حين رأيتِ فناداني، فأخفاه منك، فأجبته فأخفيته منك، ولم يكن يدخل عليك وقد وضعتِ ثيابك، وظننتُ أن قد رقدتِ، فكرهت أن أوقظكِ، وخشيتُ أن تستوحشي، فقال: إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم» الحديث، [أخرجه أحمد ٦/٢٢١. و"مسلم" ٣/٦٤].

ومثال آخر، لو طلبت زوجة أحدنا منه أن يساعدها في تنظيف المنزل أو ترتيب أركانه فما عساه يقول في جوابها؟ أيوافق مستبشرًا، أم يُكشّر - غاضبًا وكأنّ رجولته قد انتقصت؟ ! أمّا محمد بن عبد الله فتقول عنه زوجه عائشة رضي الله عنها فيما أخرجه البخاري عن الأسود قال: سألت عائشة - رضي الله عنها -: ما كان النبي يصنع في بيته؟ قالت: «كان يكون في مهنة أهله - تعني خدمة أهله -، فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة».

نعم أيها المسلمون: تعامل الإنسان في بيته هو محكه الحقيقي الذي يبين حُسن خلقه وكمال أدبه هكذا كان رسول هذه الأمة وقائدها ومعلمها في بيته.

عباد الله: زيارتنا لبيت المصطفى لم تنته بعد ولنا وقفة أخرى في جمعة قادمة أن شاء الله.

هذا وصلوا - عباد الله: - على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال تَعَالَى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾ [سُورَةُ الأَحۡزَابِ: ٥٦]

اللهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين.

زيارة إلى بيت المصطفى

(٢)

الحمدُ لله بارئ النَّسم وخالق الخلق من عدم نجي نوحاً في السفينةِ من الغرقِ الذي عم وسلَّم موسي من طغيان فرعونَ ونجاه من اليم لا يخيبُ من قصد بابه وأمّ ولا يندمُ من رجا ثوابه ولا يهتم إلهٌ لهُ الفضل إذا أنعم تم وأشهد أن لا اله إلا الله وحدهُ لا شريكَ له شهادة من آمن به وأسلم وانقاد واستسلم وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ونبيه وخليله، وأمينه على وحيه، قرن الله ذكره بذكره علي لسان كل ذاكر وشَرُفت برسالته المنائر والمنابر اللهم صلّ وسلم علي محمدٍ وعلي آله الأطهار الأبرار وصحبه المصطفين الأخيار.

يـــاربِّ صـــلِّ عـــلى النبـــيِّ المصـــطفى ... مـــا غـــردتْ في الأيـــكِ ســـاجعةُ الربـــا
يـــاربِّ صـــلِّ عـــلى النبـــي وآلـــهِ ... مـــا أمـــتْ الـــزوارُ مســـجد يثربـــا
صـــلوا عـــلى المختـــارِ فهـــوَ شـــفيعكمْ ... في يـــومِ يبعـــثُ كـــلَّ طفـــلٍ أشـــيبا
صـــلوا عـــلى مـــنْ ظللتـــه غمامـــةٌ ... و الجـــذعُ حـــنَّ لـــهُ وأفصـــحتِ الظبـــا
صـــلوا عـــلي مـــنْ تـــدخلونَ بجاهـــهِ ... دارَ الســـلامِ وتبلغـــونَ المطلبـــا

يارب احشرنا في زمرته، واعنا على اتباع سنته، وأوردنا حوضه.

قـال تعـالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١ ﴾ سُورَةُ النِّسَاءِ

هذا هو اللقاء الثاني مع تلك الرحلة الماتعة، والزيارة المباركة التي عشنا جزءًا منها في الجمعة الماضية بين جَنَبات بيت النبي المصطفى، ذلك البيت الرائع الجميل الذي عاش بين جدرانه أفضل وأكمل وأعظم زوج وطئت قدمه الأرض عليه الصلاة والسلام، عاش فيه مع تسع نسوة هن زوجاته أمهات المؤمنين رضي الله عنهن. بيت الطهر والنقاء بيت الإيمان والصفاء، بيت ينزل إليه وحي السماء.

أيها المؤمنون:

كان نبينا محمد -ﷺ- • يحب المرأة. . إنساناً . . وأُمّاً . . وزوجة. . وبنتاً. . وشريكة في الحياة، ها هو عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- يحدثنا عما علمه وسمعه وشاهده فيقول: كنا ـ معشر ـ قريش ـ نغلب النساء، فلما قدمنا على الأنصار إذا قوم تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يأخذن من أدب نساء الأنصار، فصخِبتُ على امرأتي فراجعتني ـ أي: ردت علي القول وناظرتني فيه ـ فأنكرت أن تراجعني، قالت: ولِمَ تنكر أن أراجعك؟ ! فوالله، إن أزواج النبي ليراجعنه، وإن إحداهن لتهجره اليوم إلى الليل، فأفزعني ذلك، وقلت لها: قد خاب من فعل ذلك منهن، ثم جمعتُ عليّ ثيابي فنزلت فدخلتُ على حفصة ابنتي ـ زوج النبي -ﷺ- ـ فقلتُ لها: أي حفصة، أتغاضب إحداكن النبي اليوم حتى الليل؟ ! قالت: نعم، قلت: قد خبت وخسرت، أفتأمنين أن يغضب الله لغضب رسوله فتهلِكي؟ ! الحديث، [أخرجه البخاري].

أيها الأحباب: لقد كان رسول الله -ﷺ- الحاكم السياسي، والقائد العسكري والمفتي الشرعي، والزوج المثالي، والأب القدوة في بيته -ﷺ- نعم فالإسلام دين ودولة وخلق وعلم، ودنيا وآخرة.

ولم يحول النبي -ﷺ- بين أهله وبين ما أباح الله تعالى فمن ذلك ما ترويه عائشة -رضي الله عنها- أنها قَالَتْ: خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- وَأنا خَفِيفَةُ اللَّحْمِ فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: تَقَدَّمُوا ثُمَّ قَالَ لِي: تَعَالَيْ حَتَّى أُسَابِقَكِ فَسَابَقَنِي فَسَبَقْتُهُ ثُمَّ خَرَجْتُ مَعَهُ فِي سَفَرٍ آخَرَ، وَقَدْ حَمَلْتُ اللَّحْمَ فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: تَقَدَّمُوا ثُمَّ قَالَ لِي: تَعَالَيْ أُسَابِقُكِ فَسَابَقَنِي فَسَبَقَنِي فَضَرَبَ بِيَدِهِ كَتِفِي وَقَالَ: هَذِهِ بِتِلْكَ» [أخرجه أحمد [٦/ ٣٩]، وأبو داود [٣/ ٢٩- ٣٠]، كتاب الجهاد: باب في السبق على الرجل، حديث [٢٥٧٨]، والنسائي في "الكبرى" [٥/ ٣٠٣- ٣٠٥]، كتاب عشرة النساء].

أخلاقٌ عالية، ومعاملةٌ مثالية راقية، رسول الله رئيس الدولة يتسابق مع زوجته؛ ليدخل عليها السرور والفرحة، ليسمو بالحياة الزوجية لتكون أقدس علاقة وأقوى رباط، لا تزيدها العواصف والمشاكل الزوجية إلا قوة إلى قوتها.

إن بيت النبي -ﷺ- لم يكن يخلو مما يكون بين الضرائر من النزاع والشقاق والتنافس، ومع هذا كان مثالاً للزوج الحكيم الحليم الذي لا تأخذه العزة بالإثم أو يعجل في العقاب، أخرج البخاري عن عائشة -رضي الله عنها- أن نساء رسول الله كُنّ حزبين، فحزب فيه عائشة وحفصة وصفية وسَوْدة، والحزب الآخر أم سلمة وسائر نساء رسول الله -ﷺ-، وكان المسلمون قد علموا حب رسول الله عائشة -رضي الله عنها-، فإذا كانت عند أحدهم هدية يريد أن يهديها إلى رسول الله أخّرها، حتى إذا كان رسول الله في بيت عائشة بعث صاحب الهدية إلى رسول الله في بيت عائشة، فكلّم حزبُ أم سلمة فقلن لها: كلمي رسول الله -ﷺ- يكلم الناس فيقول: «**من أراد أن يهدي إلى رسول الله هدية فليهدها حيث كان من بيوت نسائه**»، فكلمته أم سلمة بما قلن فلم يقل لها شيئًا، فسألنها فقالت: ما قال لي شيئًا، فقلن لها: فكلّميه، حتى تكرر ذلك ثلاثًا فما زاد أن قال لها: «**لا تؤذيني في عائشة؛ فإن الوحي لم يأتني وأنا في ثوب امرأة إلا عائشة**»، فقالت: أتوب إلى الله من ذاك يا رسول الله، ثم إنهن دعون فاطمة بنت رسول الله فأرسلت إليه تقول: إن نساءك يُنشدنك العدل في بنت أبي بكر، فقال: «**يا بُنيّة، ألا تحبّين ما أحب؟ !**» قالت: بلى، فرجعت إليهن فأخبرتهن، فقلن لها: ارجعي إليه فأبت، فأرسلن زينب بنت جحش فأتته فأغلظت وقالت: إن نساءك يُنشدنك الله العدل في بنت ابن أبي قُحَافة، فرفعت صوتها حتى تناولت عائشة -رضي الله عنها- وهي قاعدة فسبّتها، حتى إن رسول الله -ﷺ- لينظر إلى عائشة -رضي الله عنها- هل تكلّم، فتكلمت عائشة ترد على زينب حتى أسكتتها، قالت: فنظر النبي -ﷺ- إلى عائشة وقال: «**إنها بنت أبي بكر**»[أخرجه البخاري ٣/٢٠٤].

انظروا ـ يا رعاكم الله ـ كيف عرف رسول الله طبيعة المرأة وضعفها في المواقف وسرعة ثورتها، حتى إنها لم تدرك وصفها لرسول الله بترك العدل، بل وأسرعت إلى عائشة وسبّتها ورسول الله جالس، بل وأغلظت القول للنبي -ﷺ- بأكثر من ذلك، وعلى الرغم من هذا كله لم يؤاخذها ولم يعاتبها، بل ترك المجال لعائشة أن تدافع عن نفسها، وعفا هو عن حقّه-ﷺ-.

وأخرج البخاري عن أنس -رضي الله عنه- قال: كان النبي -صلى الله عليه وسلم- عند بعض نسائه، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصَحْفَة فيها طعام، فضربت التي النبيُ في بيتها يدَ الخادم، فسقطت الصَّحْفَة فانْفَلَقت، لو كنت أنت أخي الحبيب قل لي ماذا ستفعل؟

ثم جمع النبي فِلَقَ الصَّحْفَة، وجعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصَّحْفَة، ويقول: «**غارت أُمُّكم**». ثم حبس الخادم حتى أُتِي بصَحْفَة من عند التي هو في بيتها، فدفع الصَّحْفَة الصحيحة إلى التي كُسِرت صَحْفَتها، وأمسك المكسورة في بيت التي كَسَرت.

فلله درّه من مُربّ، عدلٌ في التعامل، ورفقٌ بالجاهل، لا صراخ ولا تهديد ولا وعيد، فسبحان من أدّب نبيه فأحسن تأديبه.

بيت كريم فيه تُغرس الأخلاق، ويُعلم فيه تعاليم الدين، والقيم النبيلة.

فعن أنس -رضي الله عنه- قال: « بلغ صفية أن حفصة قالت: بنت يهودي، فبكت، فدخل عليها النبي -صلى الله عليه وسلم- وهي تبكي، فقال: ما يبكيك؟ فقالت: قالت لي حفصة إني بنت يهودي، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: « **إنك لابنة نبي، وإن عمك نبي، وإنك لتحت نبي ففيم تفخر عليك؟ ثم قال: اتقي الله يا حفصة** » [أخرجه أحمد ٣/١٣٥ (١٢٤١٩). وعبد بن حميد (١٢٤٨). والترمذي (٣٨٩٤)].

وسمع عائشة تغار من حفصة وتقول حسبك من صفية كذا وكذا تعني أنها قصيرة فقال: «**لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته**» [صحيح الجامع ٥١٤٠.].

وروى الإمام أحمد وصححه الألباني عن النعمان بن بشير -رضي الله عنه- قال: جاء أبو بكر يستأذن على النبي -صلى الله عليه وسلم-فسمع عائشة و هي رافعة صوتها على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فأذن له فدخل فقال لها وهو غاضب: يا عائشة أترفعين صوتك على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؟! وأراد ضربها : فحال النبي بينه و بينها. قال: فلما خرج أبو بكر جعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول لها - يترضاها -«**ألا ترين اني قد حلت بينك وبين أبيك**» .

كان -ﷺ- إذا غضبت زوجته وضع يده على كتفها وقال :« **اللهم اغفر لها ذنبها وأذهب غيظ قلبها، وأعذها من الفتن.** »أرئيتم مثل هذا الحب والعاطفة؛ إنه المصطفى الذي رفع شعار لأمته: «**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**»[صحيح، أخرجه الترمذي: كتاب النكاح - باب حسن المعاشرة (١٩٧٧)، وابن حبان: كتاب النكاح - باب معاشرة الزوجين - ذكر استحباب الاقتداء بالمصطفى. . . حديث (٤١٧٧). قال البوصيري في زوائد ابن ماجه: هذا إسناد ضعيف. . . ولكنه ذكر شواهد له (١١٧/٢، ١١٨)، وصححه الألباني بشواهده. في السلسلة الصحيحة (٢٨٥)].

عباد الله: بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما سمعتم واستغفر الله لي ولكم ولسائر المؤمنين فاستغفروه انه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وإخوانه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

عباد الله لقد ضرب رسول الله -ﷺ- أمثلة رائعة من خلال حياته اليومية في التعامل مع المرأة كزوجة . . فنجده:

أولاً: يمتدحها فمن أعظم ما يكسب قلب المرأة أماً وأُختاً وزوجة المدح يقول: « -ﷺ- **إن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**». [صحيح البخاري: كتاب المناقب (٣٧٦٩، ٣٧٧٠)، صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة (٢٤٣١، ٢٤٤٦) عن أبي موسى الأشعري وعن أنس بن مالك]

ثانياً: ينظر إلى محاسنها ويتغافل عن مساوئها: لقوله -ﷺ-: «**لا يفرك مؤمنٌ مؤمنة إن كره منها خُلقاً رضي منها آخر**» . [صحيح مسلم ح (١٤٦٩)]

ثالثاً: لا ينشر خصوصياتها: قال -ﷺ-: «**إن من أشر الناس عند الله منزله يوم القيامة الرجل يفضى إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها.** »[أخرجه أحمد (٦٩/٣)، ومسلم (١٤٣٧) بمعناه، وفي إسناده: عمر بن حمزة العمري. قال ابن حجر في التقريب (٤٩١٨): ضعيف. وضعف هذا الحديث الذهبي في ميزان الاعتدال (١٩٢/٣). وانظر آداب الزفاف للألباني ص (١٤٢).]

رابعاً: يعرف مشاعرها عن رسول الله -ﷺ- قال لعائشة - رضي الله عنها -: «**انى لأعلم إذا كنت عنى راضية وإذا كنت عنى غضبى. . أما إذا كنت عنى راضية فانك تقولين لا ورب محمد وإذا كنت عنى غضبى قلت: لا ورب إبراهيم**» [(مسلم ٢٤٣٩).]

خامساً لا يضربها، ولا يهنها، قالت عائشة - رضي الله عنها -: « **ما ضرب رسول الله -ﷺ- امرأة له قط**» [صحيح مسلم: كتاب الفضائل (٢٣٢٨)].

لقد عاشت زوجاته معه عليه الصلاة والسلام عيشةً كريمة ملؤها الحب والوئام فلا صخب بينهم ولا صراخ ولا عنف ولا إهانة.

إليكم بعض الإحصائيات مما تعانيه المرأة في بلاد الغرب الذين يدّعون حقوق المرأة، فمثلا بريطانيا تستقبل شرطة لندن وحدها مائة الف مكالمة سنويا من نساء يضربهن أزواجهن على مدار السنين الخمس عشرة الماضية، و(٧٩) من الأمريكيين يضربون زوجاتهم، و(٨٣) دخلن المستشفى مرة واحدة على الأقل للعلاج من أثر الضرب ومليوني فرنسية يضربهن أزواجهن سنويا فأين حقوق المرأة المزعومة.

عباد الله: إن العلاقة بين الزوجين لا تنقطع بالموت، بل يبقى حبل الود بإكرام أهل ود الزوج أو الزوجة حتى بعد موته، ولنا في نبينا الأسوة الحسنة في مثل هذا.

تقول عائشة -رضي الله عنها- كما عند مسلم: ما غِرْتُ للنبي -ﷺ- على امرأةٍ من نسائه ما غِرْتُ على خديجة؛ لكثرة ذكره إياها، وما رأيتها قط.

وكان رسول اللهّ إذا ذبح الشّاة يقول: «**أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة**»، قالت: فأغضبته يومًا فقلت: خديجة -رضي الله عنها-! فقال رسول اللهّ: «**إنّي قد رُزِقت حُبّها**»[صحيح مسلم: ج٤/ص١٨٨٨ ح٢٤٣٥]

واستأذنت هالة بنت خويلدٍ أخت خديجة على رسول اللهّ، فعرف استئذان خديجة فارتاح لذلك فقال: «**اللّهمّ هالة بنت خويلدٍ**»، فغِرْت فقلت: وما تذكر من عجوزٍ من عجائز قريشٍ، حمراء الشّدقين، هلكت في الدّهر، فأبدلك اللهّ خيرًا منها؟ ! زاد الإمام أحمد أن النبي -ﷺ- قال: «**ما أبدلني الله خيرًا منها؟ ! قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله أولادها وحرمني أولاد النساء**»[أخرجه أحمد (٦/١١٧، رقم ٢٤٩٠٨) قال الهيثمي (٩/٢٢٤): إسناده حسن] .

الله أكبر انظروا إلى الوفاء المحمدي.

عباد الله: نحن بحاجة إلى أن نعود ونلتصق بسيرة وحياة النبي -ﷺ- لنحيا حياة طيبة مباركة

زيارتنا لبيت النبي -ﷺ- لم تنتهي بعد وللحديث بقية

هذا وصلوا - **عباد الله**: - على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال تَعَالَىٰ:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾ [سُورَةُ الأَحۡزَابِ: ٥٦] .

اللهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين.

زيارة إلى بيت المصطفى

(٣)

زيارة إلى بيت المصطفى (٣)

الحمد لله الحي الذي لا يموت ولا يزول، سبحانه قدّر لكل مخلوق رزقه؛ فالكل على جناح النعمة محمول، له في كل أمرٍ حكمة، وان ذهلت عنها العقول، يسمع ويرى وستره على العصاة بالليل والنهار مسدول.

فيارب مُن علينا جميعا بالرحمة والمغفرة والرضوان والقبول، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له لا يشغله شأن عن شأن وغيره عن شأنه مشغول، لا يُسأل عما يفعل وكل من في السماوات والأرض لديه مسؤول، وأشهد أنّ نبينا محمداً عبده ورسوله، دعوة الخليل، وقُرّة عين إسماعيل، وبشرى ابن البتول، طوبى لمن صلى عليه؛ فبالصلاة عليه كل الهموم تزول.

اللهم صلّ وسلم على سيد الأولين والآخرين، وخاتم الأنبياء والمرسلين صلاةً وسلاماً دائمين متلازمين طاعة لله وحُبا للرسول.

أيها الأحباب: أوصيكم ونفسي بتقوى الله وطاعته فهي الحصن الحصين والحرز المتين من كل الشرور والآفات في الدنيا والآخرة.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الحديد: ٢٨]

أيها الناس، إن الله تعالى قد أنعم علينا فجعلنا من أمة محمد -ﷺ- ، سيدِ ولد آدم وأفضلِهم، وأزكاهُم وأتقاهُم، جعله الله تعالى لنا قدوة نقتدي به في سلوك الصراط المستقيم، فقال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١]. فمن كان يريد نيل رضوان الله سبحانه والسعادة في الدنيا والآخرة فليسلك الطريق الذي سلكه رسول الله ودعا إليه، ومن هنا كانت زيارتنا وإياكم - إلى بيت النبي -ﷺ- لنرى كيف يعيش، كيف يتعامل مع أهله وأولاده، كيف يقضي يومه بأبي وأمي -ﷺ- وهذا هو اللقاء الثالث .

أيها المسلمون، كان رسول الله -ﷺ- يهتم كثيرا بأولاده، وأحفاده يعتني بهم ويحسن تربيتهم، وكان له من الأبناء ثلاثة: القاسم، وإبراهيم، وعبد الله الذي كان يلقب بالطيب الطاهر، ومن البنات أربع: رقية وأم كلثوم وزينب وفاطمة، وماتوا كلهم جميعًا في حياته، ما عدا فاطمة -رضي الله عنها-، فقد تأخرت وفاتها إلى ستة أشهر بعد وفاته عليه الصلاة والسلام.

ومما يدل على عنايته بأولاده، وحسن تعامله معهم: ما جاء في حديث عائشة -رضي الله عنها- قالت: كن أزواج النبي -ﷺ- عنده، فأقبلت فاطمة تمشي ما تخطئ مشيتها من مشية رسول الله -ﷺ- شيئًا، فلما رآها رحب بها فقال: «مرحباً بابنتي»، ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله" [رواه البخاري].

وعن عائشة -رضي الله عنها- أيضًا قالت: «كانت فاطمة إذا دخلت على النبي ﷺ قام إليها فقبلها وأجلسها في مجلسه، وكان إذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبلته وأجلسته في مجلسها». [متفق عليه].

وكان -ﷺ- يرق لوجع أولاده وبناته ويبكي عليهم إن فارقوا الحياة بالموت، فعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: دخلنا مع رسول الله -ﷺ- فأخذ إبراهيم فقبّله وشمّه ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول الله -ﷺ- تذرفان، وقال: «إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزنون» [متفق عليه].

أيها المسلمون، لقد كان بيت رسول الله -ﷺ- قدوة، و أُسوة في حسن التعامل مع الناس؛ مع خَدَمه ونسائه وأولاده وضيوفه ومن يأتيه من أصحاب الحاجات، فعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: خدمت رسول الله -ﷺ- عشر سنين، والله ما قال لي: أفاً قط، ولا قال لي لشيء: لمَ فعلت كذا؟ وهلا فعلت كذا". [متفق عليه].

فيا أيها المسلمون، لتكن بيوتنا كبيتِ رسول الله -ﷺ- نقاءً وطهارة، وصلاحًا وعبادة، وزهداً وكرمًا، ومعاملة وحسن عشرة، أيها الكرام: دعونا نعيش وإياكم وقتًا يسيراً ننظر فيه ماذا كان رسول الله يعمل في يومه وليلته داخل ذلك البيت الطاهر، وكيف كان حاله فيه؛ فبعض الناس قد تختلف أحوالهم داخل البيت وخارجه، فقد يكون الإنسان خارج البيت حملٌ وديع ذو أخلاقٍ عالية، وداخل البيت أسدٌ هصور.

أيها الأحباب الكرام، لقد كان رسول الله -ﷺ- يستعد لصلاة الفجر، فإذا أذن المؤذن، صلى سنة الفجر في البيت، فيركع ركعتين خفيفتين، يقرأ فيهما بالكافرون والإخلاص، وهي أخف صلاةٍ يصليها، ولكنها خيرٌ رمن الدنيا وما فيها كما قال عنها عليه الصلاة والسلام، وقد يضطجع على شقه الأيمن منتظراً مجيء بلال بن رباح -رضي الله عنه- ليُعلِمه بإقامة الصلاة، ثم ينطلق رسول الله -ﷺ- إلى المسجد ذاكرا لله و داعيا: « بسم الله توكلت، ولا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم اجعل في قلبي نورا، وفي سمعي نورا. . . . الخ الدعاء المأثور، ويدخل المسجد ويقول ما ورد، ثم يأمر بتسوية الصفوف ويُكبّر وكان يطيل في الفجر ويقرأ ما بين الستين إلى المائة آية، وكانت قراءته مترسلة مُفَصَّلة، وكان في فجر الجمعة يقرأ فيها بالسجدة والإنسان، وربما قنت بعد الركوع الثاني أحيانا إذا نزلت نازلة بالمسلمين، فإذا انتهى من صلاته استغفر وأتى بأذكار الصلاة ثم يأتي بأذكار الصباح ويبقى في المسجد يذكر الله حتى تطلع الشمس بيضاء نقية قبل أن يرجع إلى أهله. فعن جابر بن سمرة -رضي الله عنه- قال: «كان النبي-ﷺ- إذا صلى الفجر تربّع في مجلسه حتى تطلع الشمس حسناء»[رواه أبو داود، وهو صحيح. .]وهو الذي حثنا على ذلك وقال: «**من صلى الصبح في جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كتب له أجر حجة وعمرة تامة تامة**» [أخرجه الترمذي وهو في صحيح الترغيب والترهيب (٤٦١)].

وبعد ذلك يعود-ﷺ- إلى بيته وقد يجد بعض زوجاته جالسة في المكان الذي صلت فيه صلاة الفجر تذكر الله تعالى، فعن جويرية بنت الحارث -رضي الله عنها- أن النبي-ﷺ- خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها-يعني: في المكان الذي تصلي فيه من البيت-، ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة فقال: «**ما زلتِ على الحال التي فارقتك عليها؟** قالت: نعم، قال النبي-ﷺ-: «**لقد قلتُ بعدك أربع كلمات ثلاث مرات، لو وُزنتْ بما قلتِ منذ اليوم لوزنتْهُن: سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته**» [رواه مسلم].

وكان -ﷺ- عند دخوله المنزل يبدأ بالسواك، كما كان يفعل ذلك أيضًا أولَ ما يقوم من نومه لقيام الليل، فعن شريح بن هانئ قال: (قلتُ لعائشة- رضي الله عنها -: بأي شيء كان يبدأ النبي -ﷺ- إذا دخل بيته؟ قالت: "**بالسواك**"[رواه مسلم.].

فإذا رجع عليه الصلاة والسلام إلى البيت طلب طعام الإفطار، فإن وجد عندهم طعامًا أكل وإلا عقد الصيام، وهذا يدل على قلة ما كان لديه من الدنيا، ويدل أيضًا على حسن عشرته لأهله عليه الصلاة والسلام، فعن عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها -قالت: دخل عليّ النبي -صلى الله عليه وسلم- ذات يوم فقال: «**هل عندكم شيء؟** فقلنا: لا، قال: «**فإني إذن صائم**»، ثم أتانا يومًا آخر فقلنا: "يا رسول الله، أُهدي لنا حيس-أي طعام". [والحيس: تمر ولبن جامد وسمن تخلط وتعجن وتسوى كالثريد. المعجم الوسيط (١/ ٢١١].

فقال: «**أرينيه، فلقد أصبحت صائمًا**»، فأكل [متفق عليه].

ويخبر أزواج النبي -صلى الله عليه وسلم- عن هديه في الصيام، فيذكرن أن بيته كان معموراً بالصيام؛ فقد كان عليه الصلاة والسلام يُكثر من الصيام، وربما تحرى أيامًا خاصة من أيام الأسبوع، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «**كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يصوم حتى نقول: لا يفطر، ويفطر حتى نقول لا يصوم، وما رأيت رسول الله-صلى الله عليه وسلم-استكمل صيام شهر قط إلا شهر رمضان، وما رأيته في شهر أكثر صيامًا منه في شعبان** » [متفق عليه].

أيها المسلمون، وكان من هدي رسول الله-صلى الله عليه وسلم- أنه كان يجعل المسجد لصلاة الفريضة، ويجعل البيت لصلاة النافلة القبلية والبعدية للصلوات الخمس فينطلق إلى المسجد بعد صلاة، ويرجع إلى البيت إلى صلاة، كما كان أيضًا يصلي في البيت النوافل الأخرى كصلاة الضحى وصلاة الليل. نعم فأجرها في البيت مضاعف؛ قال-صلى الله عليه وسلم- «**صلاة الرجل تطوعا حيث لا يراه الناس تعدل صلاته على أعين الناس خمسا و عشرين**» [(صحيح) انظر حديث رقم: ٣٨٢١ في صحيح الجامع].

وعن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما-: «**أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- كان يصلي قبل الظهر ركعتين وبعدها ركعتين، وبعد المغرب ركعتين في بيته، وبعد العشاء ركعتين، وكان لا يصلي بعد الجمعة حتى ينصرف فيصلي ركعتين**» [رواه البخاري].

وعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: «**لما بدن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وثقل كان أكثر صلاته جالسًا** » [رواه مسلم].

وكان يذهب رسول الله -ﷺ- إذا تعالى الضحى إلى بيت زوجه التي هو عندها وفي يومها، ، وكان يذهب ضحى كل سبت راكبا وماشيا إلى قُباء فيُصلِّي في المسجد، وكان ينام القيلولة إلى قريب صلاة الظهر. فإذا زالت الشمس أذّن بلال للظهر فيستيقظ الرسول إن كان لا يزال نائما فيصلي أربع ركعات الراتبة في بيته، ثم ينتظر الصلاة، وربما كان عنده بعض بنيه كالحسن والحسين أو أُمامة بنت ابنته فيلاعبهم حتى يؤذنه بلال بالصلاة، ، فيخرج للصلاة، وربما فجئهم منظره خارج إليهم حاملا الحسن أو الحسين أو حاملا أمامة وربما وضع الصبي وصلى وهو بجانبه وربما صلى والطفلة على عاتقه إذا ركع وضعها وإذا قام رفعها، وكان يصلي الظهر في أوّل وقتها، وكان يُطيل في الأولى ويُقصّر في الثانية، وكان يسر القراءة فيها، ثم يعود -ﷺ- لبيته فيصلي راتبة الظهر البعدية، ثم يخرج إلى أصحابه وربما جلس لهم إلى العصر، وربما ذهب في هذا الوقت لقضاء بعض حاجات المسلمين، وكان إذا أُذِّن للعصر انتظر حتى يجتمع الناس لها، فإذا اجتمعوا خرج فصلى العصر، وكان يُصلّيها في أوّل وقتها، فإذا فرغ من صلاته أقبل على أصحابه، فإن كان ثَمّ حديثٌ يريد أن يحدثهم به حدّثهم فإذا انصرف من صلاة العصر دخل على نساءه فيطوف عليهن جميعا حتى ينتهي إلى التي هو يومها فيبيت عندها، وربما اجتمعن في البيت التي هو عندها، وكان يقضي فترة بعد العصر غالبا في بيته ومع نساءه، فإذا أُذِّن للمغرب لم يلبث رسول الله-ﷺ- إلا قليلا ثم يخرج إلى الصلاة، فإذا خرج أُقيمت الصلاة فصلى المغرب وكان يصليها في أول وقتها، ولم يكن يتحدّث بعدها كما يتحدث في أعقاب الصلوات وذلك لحاجة الناس لإنصرافهم لعشائهم وراحتهم، فإذا عاد إلى بيته صلى ركعتين الراتبة البعدية، ثم تعشّى وهذا هو وقت العشاء غالبا وربما قدّموه قبل صلاة المغرب إذا كانوا صياما، وكان يأمر أصحابه أن يأخذوا معهم إلى عشائهم فقراء المسلمين، وربما أخذ -ﷺ- عشرةً فذهب بهم إلى بيته ليتعشى معهم إذا كان عنده وفرة طعام، ويبقى رسول الله في بيته إلى أذان العشاء، ولم يكن يعجّل العشاء، وإنما ينتظر فإن رآهم اجتمعوا عجّل وإن رآهم تأخّروا أخّر، وكان يحب تأخيرها لولا المشقة على الناس، فإذا قضى صلاة العشاء تحدّث إلى أصحابه إن كان ثمّة عارض يريد أن يحدثهم به، وكان حديثه بعد العشاء نادرا وقصيرا لتعب الناس وحاجتهم للنوم، ولهذا كان يكره الحديث بعدها، وكان إذا سلّم مكث في مكانه حتى ينصرف النساء، فإذا قام رسول الله قام الرجال.

عباد الله: بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما سمعتم واستغفر الله لي ولكم ولسائر المؤمنين فاستغفروه انه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وإخوانه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

عباد الله : ما زلنا نعيش وإياكم مع يوم النبي -ﷺ- ، وبعد صلاة العشاء يرجع -ﷺ- إلى بيته فيصلي ركعتين راتبة العشاء، ثم يجلس سويعةً يتحدّث مع أهله قبل أن ينام، وربما ذهب يسمر عند بعض أصحابه، ، وكان إذا أراد أن ينام يضع عند رأسه السواك ليستاك به إذا استيقظ، وكان إذا أوى إلى فراشه يأتي بالأذكار، وكان يضطجع على شقّه الأيمن ويضع يده اليمنى تحت خدّه الأيمن قائلا: «**بسمك ربي وضعت جنبي وباسمك أرفعه، فإن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين**»، وكان إذا أخذ مضجعه نفث في يديه، وقرأ بالمعوذات ومسح بهما جسده» [رواه البخاري].

فينام، فإذا انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل استيقظ رسول الله -ﷺ- ، قائلا: «**الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور، الحمد لله الذي رد علي روحي وعافاني في جسدي وأذن لي بذكره**»، ثُمَّ جلس يمسح النوم عن وجهه بيده ويستاك، ويرفع بصره إلى السماء ويقرأ آخر عشر آيات من سورة آل عمران في هدوء هذا الليل وسكونه، ثم يصلي قيام الليل.

وكان لا يمر بآية رحمة إلا سأل ولا آية عذاب إلا استعاذ ولا آية تسبيح إلا سَبَّح، ولا يزال النبي -ﷺ- يقطع آناء الليل بين قراءة خاشعة ومسألة ضارعة وتسبيح قدسي إلى أن يبقى سدس الليل الآخر، فإذا أتمّ قيامه فأراد أن يوتر أيقظ زوجته لتوتر، وكان إذا فرغ من وتره يقول: «**سبحان الملك القدوس**» ثلاثا يطيل الثالثة ويمد بها صوته.

وعن عبيد بن عمير قال: قلت لعائشة -رضي الله عنها-: أخبرينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: فسكتت ثم قالت: لما كان ليلة من الليالي قال: « يا عائشة، ذريني أتعبد الليلة لربي» قلت: والله إني لأحب قربك وأحب ما سرك، قالت: فقام فتطهر ثم قام يصلي فلم يزل يبكي حتى بل حجره قالت: ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بل لحيته قالت: ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بل الأرض، فجاء بلال يؤذنه بالصلاة، فلما رآه يبكي قال: يا رسول الله، لِمَ تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم وما تأخر؟ قال: « أفلا أكون عبداً شكوراً، لقد نزلت علي الليلة آية ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها» ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ [البقرة: ١٦٤] الآية كلها [رواه ابن حبان، وهو صحيح].

وعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: فقدتُ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ليلة من الفراش، فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه - وهما منصوبتان وهو يصلي ساجدا ويقول: «اللهم أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك» [رواه مسلم].

عباد الله المتأمل في اليوم النبوي يجده يتميز بأمور منها:

١. الصلاة منتشرة في مساحة يومه.

٢. عنايته -ﷺ- بالاستغفار.

٣. لهجه بالذكر صبحا ومساء.

٤. التوازن في أداء الحقوق والتوازن في استيعاب الحياة.

٥. حياته مزدحمة وحافلة ولكنها ليست متوترة ولا مربكة، وهي مرتبة وليست رتيبة.

٦. تجد في حياته عفوية الحياة وبساطتها.

٧. الأنس والبهجة حاضرة في بيته وفي مجلسه.

٨. قوة العلاقة العاطفية الزوجية.

٩. تفهمه لفطر الناس ومشاغلهم.

١٠. فترات النشاط في يوم: في قيام الليل والصباح والظهر.

١٣. حضوره العميق في حياة أصحابه وتفاعله معهم.

هذا وصلوا - عباد الله - على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال تَعَالَىٰ:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾

[سُورَةُ الأَحۡزَابِ: ٥٦]

اللهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين.

النظافة

النظافة

الحمد لله المحمود بكل لسان، واسع الفضل والإحسان، أحمده سبحانه وأشكره، حمداً وشكراً ينال بهما الخير و الرضوان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الواحد المنان، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبد الله ورسوله المبعوث للثقلين؛ الإنس والجان، بلغ الرسالة وأوضح المحجة، حث على منار الحق وأبان، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ذوي التقى والإيمان، والتابعين ومن تبعهم بإحسان.

أما بعد: فأوصيكم -أيها الناس ونفسي- بتقوى الله، فالسعيد من اتقى ربه، وتدبر أمره، وأخذ حذره، واستعد ليومٍ لا تُقال فيه عثرة، ولا تنفع فيه عبرة.

عباد الله! يا من شرّفكم الله بالإسلام! اشكروا الله على هذه النعمة الكبرى، فإن دينكم دين الكمال والشمول، لم يترك خيراً للعباد وصلاحاً لهم في المعاش أو المعاد إلا أمر به وحثَّ عليه، ولا شراً أو ضرراً يعود عليهم في دنياهم وفي عقولهم وأجسادهم إلا حذَّر منه ونهى عنه.

أيها المسلمون: ديننا دين النظام والنظافة والصفاء والنقاء ولا يدخل الجنة إلا نظيف الظاهر والباطن قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾[الشعراء: ٨٩].

قال تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾﴾[المائدة: ٦]. يكفي أهل الطهارة والنظافة شرف إنهم من أهل محبة الله قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢٢].

وقد جعل الإسلام الطهارة جزءاً من حياة المسلم، ومن ذلك الوضوء الذي جعله النبي -ﷺ- سلاح المؤمن، بل جعله النبي -ﷺ- سبباً لمحو الخطايا ورفعة الدرجات، كما في صحيح مسلم وغيره من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-، وعن عثمان -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: « **من توضأ فأحسن الوضوء، خرجت خطاياه من جسده، حتى تخرج من تحت أظفاره** » [أخرج مسلم جزءه الأول في الطهارة (٢٤٥)، وأخرج جزءه الأخير في الطهارة أيضا (٢٢٩)].

بل قد جعل المصطفى -ﷺ- « **الطهور شطر الإيمان**»، كما في صحيح مسلم من حديث أبي مالك الأشعري -رضي الله عنه-.

الله أكبر! يا لِسعة فضل الله، وكرمه! ولكن أين المحتسبون المتبعون الذين يقومون بهذا العمل إخلاصاً لله، ورغبةً فيما عنده، واتباعاً لسنة المصطفى -ﷺ- في ذلك؟!

ومن عناية الإسلام بالوضوء: أنه جعله مرتبطاً بأهم أركان الإسلام بعد الشهادتين، وهي الصلاة، فهو شرطٌ لصحتها، ومفتاحها، ومقدمتها.

وروى عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- عن النبي -ﷺ- أنه قال: «**ما منكم من أحد يتوضأ فيسبغ الوضوء، ثم يقول: أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية، يدخل من أيّها شاء** » [رواه أحمد ومسلم]. وفي رواية يقول زيادة على ذلك: «**اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين** ».

ومن مظاهر عناية الإسلام بطهارة الظاهر: إيجابه الاغتسال عند حدوث موجباته، كالجنابة، والحيض والنفاس بالنسبة للمرأة، كما شرع الإسلام الاغتسال في حالاتٍ: كالجُمع والأعياد، والإحرام، وحضور الاجتماعات العامة، ومن ذلك حثه على التطيب، والسواك والختان، وأخذ الزينة عند حضور المساجد والصلاة.

روي عن أوس بن أوس الثقفي قال: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: «**من غسَّل يوم الجمعة واغتسل، وبكَّر وابتكر، ومشى ولم يركب، ودنا من الإمام فاستمع ولم يلغ؛ كان له بكل خطوة عمل سَنة أجر صيامها وقيامها** ». [رواه أحمد وأبو داود والترمذي وقال: حديث حسن والنسائي وابن ماجة وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما].

عنْ أَبِي ذَرٍّ -رضي الله عنه-، عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ-، قَالَ: «**مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَأَحْسَنَ غُسْلَهُ، وَتَطَهَّرَ فَأَحْسَنَ طُهُورَهُ، وَلَبِسَ مِنْ أَحْسَنِ ثِيَابِهِ، وَمَسَّ مَا كَتَبَ اللهُ لَهُ مِنْ طِيبِ أَهْلِهِ، ثُمَّ أَتَى الْجُمُعَةَ، وَلَمْ يَلْغُ، وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَ اثْنَيْنِ، غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى**». [صحيح، صحيح مسلم: كتاب الجمعة - باب فضل من استمع وأنصت. . . حديث (٨٥٧)].

ومن الطهارة والنظافة في الإسلام خصال الفطرة التي أفصح عنها حديث المصطفى -ﷺ-، كما في حديث عائشة -رضي الله عنها- عند مسلم وغيره: أن النبي -ﷺ- قال: «**عشر من الفطرة: قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظفار، وغسل البراجم، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء -يعني: الاستنجاء**».

إخوة الإسلام! ومن حرص الإسلام على الطهارة نهي الإسلام عن التبول في المياه الراكدة، والبراز في الطرق والظل وموارد الناس، كما أمر الإسلام بنظافة البيوت والطرق والطعام والشراب، واللباس والمرافق العامة، وجعل إماطة الأذى عن الطريق شُعبةً من شُعب الإيمان، كما قال -ﷺ-: «**الإيمان بضعٌ وسبعون شُعبة أعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**» [أخرجه البخاري في الإيمان (٩)، ومسلم في الإيمان (٣٥) من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-].

وأخبر المصطفى -ﷺ-: « **أن الله جميلٌ يحب الجمال** » وقد أمر الله نبيه -ﷺ- بالتطهر، فقال: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾ [المدّثر: ٤]. كما مدح سبحانه أصحاب رسوله -ﷺ-، فقال ﷻ: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ۝١٠٨﴾ [التوبة: ١٠٨].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

أما بعد: فتأملوا عباد الله:

أولا: اعتناء الإسلام بنظافة الأسنان: من المعروف أن معظم أمراض المعدة والجهاز الهضمي أساسها جراثيم وبقايا طعام في الفم لذا الإسلام يأمر بالمضمضة والسواك وتخليل الأسنان لإزالة بقايا الطعام وعدم بلعها بل رميها، وفي السواك يقول الرسول الكريم -ﷺ-: «**السواك مطهرة للفم، ومرضاة للرب**»[رواه أحمد (١٠/١)، والنسائي في الطهارة، باب: الترغيب في السواك (١٠/١)]. ويقول الرسول - ﷺ-: «**لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة**».

ثانياً عناية الإسلام بالهيئة والمظهر: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، أَنَّ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- قَالَ: « **مَنْ كَانَ لَهُ شَعْرٌ فَلْيُكْرِمْهُ.** »[أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢٢٤/٥، رقم ٦٤٥٦). وأخرجه أيضًا: الديلمي (٢٥٨/١، رقم ١٠٠٥)] . وعَنْ جَابِرٍ -رضي الله عنه- قَالَ: أَتَانَا رَسُولُ اللهِ -ﷺ-، فَرَأَى رَجُلاً شَعِثًا، قَدْ تَفَرَّقَ شَعْرُهُ، فَقَالَ: «**أَمَا كَانَ يَجِدُ هَذَا مَا يُسَكِّنُ بِهِ شَعْرَهُ؟ وَرَأَى رَجُلاً آخَرَ وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ وَسِخَةٌ، فَقَالَ: أَمَا كَانَ هَذَا يَجِدُ مَاءً يَغْسِلُ بِهِ ثَوْبَهُ**».

ثالثاً نهى الإسلام عن إيذاء الآخرين ولو بالرائحة:

وأمر المسلم أن لا يؤذي إخوانه برائحة الثوم والبصل وأن عليه اعتزال أماكن اجتماع الناس وبخاصة المساجد عَنْ عَطَاءٍ، أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ زَعَمَ، أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- قَالَ: «**مَنْ أَكَلَ ثُومًا، أَوْ بَصَلاً، فَلْيَعْتَزِلْنَا، أَوْ قَالَ: فَلْيَعْتَزِلْ مَسْجِدَنَا، وَلْيَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ** »[أخرجه البخاري في: ١٠ كتاب الأذان: ١٦٠ باب ما جاء في الثوم النِّيِّ والبصل والكراث].

هذا وتلك الأطعمة مما أحله الله تعالى فما بالكم عافانا الله وإياكم ممن يؤذي الناس برائحة التدخين وبرائحة ثيابه.

رابعاً: أمر الإسلام أصحابه بالتطيب وطهارة الثوب: وقد أمرنا الله تعالى بأخذ الزينة والاعتناء بطهارة الثوب والتطيب وبخاصة في أماكن العبادة قال تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ وعن أبي الدَّرْدَاءِ - رضي الله عنه - قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ: «إِنَّكُمْ قَادِمُونَ عَلَى إِخْوَانِكُمْ فَأَصْلِحُوا رِحَالَكُمْ وَأَصْلِحُوا لِبَاسَكُمْ حتى تكون كأنكم شامة في الناس فَإِنَّ الله لاَ يُحِبُّ الْفُحْشَ وَلاَ التَّفَحُّشَ». [أخرجه أحمد ٤/ ١٧٩ (١٧٧٦٧)] .

خامساً الإسلام حارب انتشار العدوى في الأماكن العامة: وأمر بالاعتناء بطهارة ونظافة المكان وبخاصة أماكن العبادة التي هي مكان اجتماع الناس ومصدر انتقال العدوى وانتشارها فقد قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾[البقرة: ١٢٥]. عَنْ صَالِحِ بْنِ أَبِي حَسَّانَ قَالَ: سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ يَقُولُ: « إِنَّ اللهَّ طَيِّبٌ يُحِبُّ الطَّيِّبَ نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ جَوَادٌ يُحِبُّ الْجُودَ فَنَظِّفُوا أَفْنِيَتَكُمْ وَلاَ تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ». [أخرجه الترمذي وضعفه الألباني في ضعيف الجامع رقم: ١٦١٦]

أيها المسلمون: لا نريد أن تكون النظافة يوما فقط في العام بل نريد أن تكون ثقافة عند الرجل والمرأة والصغير والكبير في بيوتنا في شوارعنا في مدارسنا ومؤسساتنا.

سادساً: المسلم يُعرف يوم القيامة بأماكن النظافة والطهارة: فيكون شامة وعلامة بين جميع الأمم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ: « إن أُمتي يُدعون يوم القيامة ـ أي: يُنادون للحساب ـ غُرًا محجّلين من آثار الوضوء، فمن استطاع منكم أن يطيل غُرته فليفعل» [متفق عليه]

سابعاً من قصر في النظافة والطهارة سوف يحاسب عليها في القبر قبل الآخرة، وذلك لقول رسول الله-ﷺ-: « تنزّهوا من البول فإن عامة عذاب القبر من البول » [الدار قطني وصححه الألباني في صحيح الجامع: ٣٠٠٢]، ولما مر رسول الله -ﷺ- بحائط من حيطان مكة، أو المدينة سمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما، فقال رسول الله-ﷺ- : «**إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير، ثم قال: بلى كان أحدهما لا يستبرئ من بوله وكان الآخر يمشي بالنميمة**»، ثم دعا بجريدة فكسرها كسرتين فوضع على كل قبر منهما كسرة، فقيل له: يا رسول الله! لم فعلتَ هذا؟ قال: «**لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا، أو إلى أن ييبسا**».

[أخرجه البخاري في الوضوء (٢١٦)، ومسلم في الطهارة (٢٩٢)].

موقف عِزة بسبب النظافة: يُحكى أن طالباً مسلماً كان يدرس في الجامعة الأمريكية في بيروت. كان هذا الطالب السوداني المسلم محافظاً على أداء فرائضه الدينية وفي أحد الأيام لاحظه أحد مدرسيه في هذه الجامعة يتوضأ للصلاة فصاح فيه غاضباً كيف تغسل قدميك في حوض نغسل فيه وجوهنا؟ فقال له: الطالب السوداني: كم مرة تغسل وجهك في اليوم؟ قال الأستاذ الأمريكي: مرة واحدة في كل صباح طبعاً، الطالب السوداني: أمَّا أنا فأغسل رجلي على الأقل خمس مرات في اليوم، ولك أن تحكم بعد ذلك أيهما أكثر نظافة رجلي أم وجهك؟ !!.

عباد الله: لقد حرص الإسلام على نظافة البيئة التي ستنعكس حتماً على صحة الفرد والمجتمع والتي تتمثل في: نظافة المساكن والأفنية ونظافة الطرقات وأماكن التجمع.

ما أروعك من دين: عَنْ أَبِي ذَرٍّ -رضي الله عنه- عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ- ، قَالَ: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي، حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا، فَوَجَدْتُ فِي مَحَاسِنِ أَعْمَالِهَا، الأَذَى يُمَاطُ عَنِ الطَّرِيقِ، وَوَجَدْتُ فِي مَسَاوِئِ أَعْمَالِهَا، النُّخَاعَةَ تَكُونُ فِي الْمَسْجِدِ لاَ تُدْفَنُ**». [أخرجه أحمد و"البُخاري" في "الأدب المفرد"].

وقال -ﷺ- أيضاً: «**البصاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها**» [أخرجه البخاري في: ٨ كتاب الصلاة: ٣٧ باب كفارة البزاق في المسجد].

الإسلام يحفظ الطعام والهواء والماء من التلوث: عَنْ عَائِشَةَ -رضي الله عنها- أَنَّهَا قالت: «كَانَتْ يَدُ رَسُولِ الله -ﷺ- اليمنى لِطُهُورِهِ وَلِطَعَامِهِ، وَكَانَتِ الْيُسْرَى لِخَلاَئه وَمَا كَانَ مِنْ أَذًى». [أخرجه أبو داود "٥٥/١": كتاب الطهارة: باب كراهية مس الذكر باليمين في الاستبراء، حديث "٣٢"، وأحمد "٢٨٧/٦، ٢٨٨"، وابن حبان في "صحيحه" "٣١/١٢- الإحسان"، حديث "٥٢٢٧"، والحاكم في "المستدرك" "١٠٩/٤": كتاب الأطعمة، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد.] .

وفي حفظ الطعام: عنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله الأَنْصَارِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله -ﷺ- يَقُولُ: «غَطُّوا الإِنَاءَ، وَأَوْكِئُوا السِّقَاءَ، فَإِنَّ فِي السَّنَةِ لَيْلَةً يَنْزِلُ فِيهَا وَبَاءٌ، لاَ يَمُرُّ بِإِنَاءٍ لَمْ يُغَطَّ، وَلاَ سِقَاءٍ لَمْ يُوكَ، إِلاَّ وَقَعَ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ الْوَبَاءِ. وفي رواية: خَمِّرُوا الإِنَاءَ، وَأَوْكُوا السِّقَاءَ، فَإِنَّ لله، ﷻ ، دَاءٌ يَنْزِلُ فِي السَّنَةِ لَيْلَةً، لاَ يَمُرُّ بِإِنَاءٍ، لَمْ يُخَمَّرْ، أَوْ سِقَاءٍ، لَمْ يُوكَأْ، إِلاَّ وَقَعَ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ الدَّاءِ». [أخرجه أحمد و مسلم].

وفي حفظ الهواء من التلوث: روي عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- قال: «نهى رسول الله -ﷺ- أن يتنفس في الإناء أو ينفخ فيه» [أخرجه البخاري ٢٢٦/١١، كتاب الأشربة: باب الشرب بنفسين أو ثلاثة، حديث ٥٦٣١.].

وفي حفظ الماء من التلوث: عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: «لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري ثم يغتسل فيه»[متفق عليه].

ولوقاية الماء من التلوث أيضاً نهى النبي -ﷺ- عن إدخال المستيقظ من نوم يده في الإناء قبل أن يغسلها ويطهرها فلعله مس أو حك بها سوءته أو عضواً مريضاً متقرحاً من جسمه وهو نائم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -ﷺ-: «إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ فَلاَ يَضَعْ يَدَهُ فِي الْوَضُوءِ حَتَّى يَغْسِلَهَا، إِنَّهُ لاَ يَدْرِي أَحَدُكُمْ أَيْنَ بَاتَتْ يَدُهُ». [خرجه مسلم "٢٣٤/١" كتاب الطهارة: باب كراهة غمس المتوضئ وغيره يده].

أيها المسلمون كما نطالب بنظافة البيوت والأبدان نطالب قبل ذلك بنظافة وطهارة القلوب من الغل والحسد والكبر والغرور.

كما نطالب بنظافة البيوت والأبدان نطالب بطهارة اللسان من الكذب والزور والبهتان والغيبة والنميمة.

كما نطالب بنظافة البيوت والأبدان نطالب بنظافة المعاملات من الحيل المحرمة والغش والرشوة والتزوير. هذا وصلوا - عباد الله: - على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال تَعَالَىٰ:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾

[سُورَةُ الأَحْزَابِ: ٥٦]

اللهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين. . .

رمضان شهر المسابقة والمنافسة

الحمد لله العزيز الوهاب، الغفور التواب، غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب، ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير ، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، لا اله إلا الله أحسن الأسماء وأجمل العبارات وأحلى الكلمات، الله هل تعلم له سميا.

الله أسمٌ مَا ذُكِرَ فِي قَلِيْل إِلَا كَثْرَه. . وَ لَا عِنْد كَرْب إِلَا كَشَفَه. . وَلَا عِنْد هُم إِلَا فَرَجَه.

اسْمٌ تَكْشِف بِه الْكُرُبَات وَتُسْتَنْزَل بِه الْبَرَكَات. . وَتُقَال بِه الْعَثَرَات وَتُسْتَدْفَع بِه السَّيِّئَات. .

يا رب إليك توجهنا وعليك توكلنا واليك أنبنا فاغفر لنا ما قدما وما أخرنا وما أسررنا وما أعلنا اللهم كما بلغتنا شهر الصيام فأعنا على الصيام والقيام.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ما تلاحمت الغيوم، و عدد ما في السماء من نجوم.

أيها الناس: اتقوا ربكم حق التقوى واعلموا أن الحكمة من الصيام هي تحقيق التقوى قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ ﴾[البقرة: ١٨٣].

فاتقوا الله حق التقوى وراقبوه في السر والعلن.

أيها الصائمون يقول الله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، ويقول تعالى﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ﴾ [الحديد: ٢١]

عباد الله: رمضان شهر المسابقة والمسارعة والمنافسة في الطاعات والخيرات.

فيا سعادة من جعل من رمضان وقت تغير وتحول في حياته من المعاصي إلى الطاعات، ومن الإصرار على الذنوب إلى التوبة النصوح والمسارعة في فعل الخيرات. ويا شقاوة من هتك حُرمة هذا الشهر، ودنسه بالمعاصي والسيئات! فنهاره نومٌ وخمول، وليله سهر على ما حرم الله!

أيها الصائمون الموحدون: حذّر رسول الله -ﷺ- من التنافس على الدنيا وأنه سبب للهلاك فقد قَدِم أبو عبيدة بمال من البحرين فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة فوافت صلاة الصبح مع النبي -ﷺ- فلما صلى بهم الفجر انصرف فتعرضوا له فتبسم رسول الله -ﷺ- حين رآهم وقال: «**أظنكم قد سمعتم أن أبا عبيدة قد جاء بشيء؟ قالوا: أجل يا رسول الله، قال: فأبشروا وأملوا ما يسركم فو الله لا الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم**». [البخاري (٣١٥٨]. . وكان الحسن البصري -رحمه الله- يقول: «**إذا رأيت الرجل ينافسك في الدنيا فنافسه في الآخرة**».

وقال عمر بن عبد العزيز: في حجة حجها عندما نزل الناس من عرفة: «**ليس السابق اليوم من سبق بعيره إنما السابق من غفر الله له**». . . اللهم اغفر لنا يا غفار.

وكان أبو مسلم الخولاني وهو من التابعين إذا قام الليل يصلي وتعبت قدماه ضربها بيديه وقال: «**أيحسب أصحاب محمد أن يسبقونا برسول الله والله لنزاحمنهم عليه في الحوض**» الله أكبر ما هذه الهمم والعزائم في فعل الخيرات والمسابقة في الخيرات.

أخوين من الصالحين كانا يتنافسان في فعل الخير في القيام والصيام وتلاوة القران والدعوة إلى الله، احدهم رأى في المنام رؤيا أن القيامة قامت وأن صاحبه قد دخل الجنة وحلّ في الفردوس الأعلى، أما هو ففي منزلة أقل، فقال يارب نتنافس في كل شيء كفرسي رهان لماذا هو في الفردوس الأعلى؟ فسمع من يقول: « **صاحبك فلان سألني الفردوس الأعلى أنت سألتني الجنة فقط ما سألتني الفردوس**» يا الله كم نحن بخلاء حتى في الدعاء، أخي الصائم: لك دعوة لا ترد عند إفطارك فلا تفرط فيها، وسل الله ما شئت فخزائنه ملأنه لا تنفد أبدا. قال -ﷺ- رافعاً من همنا: «**إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس الأعلى؛ فإنه وسط الجنة، وأعلى الجنة، وسقفه عرش الرحمن**» [أخرجه البخاري في الجهاد (٢٧٩٠) من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- بنحوه].

عباد الله: التنافس على الخيرات في الدنيا سبب لتفاوت الأجر في الآخرة كلٌ حسب عمله وعلو همته ومسارعته إلى الخيرات، فالجنة درجات قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝١٢ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ۝١٤﴾ [الواقعة: ١٠-١٤].

عباد الله: بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما سمعتم واستغفر الله لي ولكم ولسائر المؤمنين فاستغفروه انه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وإخوانه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أيها المؤمنون عباد الله: يأتي الفقراء من الصحابة إلى رسول الله يشتكون الأغنياء؛ هل لأنهم لم يعطوهم مما أعطاهم الله؟ أو أنهم لم يتفقدوا جائعهم ومحتاجهم؟ أو لأنهم يأكلون أفضل منهم ويلبسون أحسن منهم؟ كلا لم يكن ذلك هو السبب؛ بل قالوا: يا رسول الله! ذهب أهل الدثور بالأجور، يُصلون كما نُصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم. قال -ﷺ-: « أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون؟ إن بكل تسبيحةٍ صدقة. وكل تكبيرةٍ صدقة، وكل تحميدةٍ صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمرٍ بالمعروف صدقة، ونهيٍ عن منكرٍ صدقة». [مسلم/ ١٠٠٦]،

فرح الفقراء بذلك، فلما قُضيت الصلاة فإذا لهم زجَل بالتسبيح والتكبير والتحميد، التفت الأغنياء فإذا الفقراء يُسبّحون، سألوهم عن ذلك، فأخبروهم بما علّمهم النبي -عليه السلام-، فما كادت الكلمات تلامس أسماع الأغنياء، حتى تسابقوا إليها.. نعم.. إذا أبو بكر يُسبّح.. وإذا ابن عوف يُسبّح.. وإذا الزبير يُسبّح.. فرجع الفقراء إلى النبي -عليه السلام- فقالوا: يا رسول الله سمع إخواننا الأغنياء بما علمتنا.. ففعلوا مثلنا.. فعلّمنا شيئاً آخر.. فقال -ﷺ-: «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء».

ويوم أن دعا رسول الله -ﷺ- للإنفاق والاستعداد للجهاد في سبيل الله فإذا بالصحابة يسارعون بأموالهم وأنفسهم كلٌ حسب طاقته وقدرته بل ينادي -ﷺ- من يجهّز جيش العسرة وله الجنة فيقوم عثمان بن عفان -رضي الله عنه- ويجهّز الجيش بماله فيقول -ﷺ-: «ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم»، ويأتي الفقراء يريدون المشاركة والمنافسة على هذا الباب من أبواب الخير لكنهم لا يملكون زاداً ولا راحلة فيأتون إلى رسول الله -ﷺ- يطلبون منه ما يحملهم عليه للغزو فقال لهم: «والله لا أجد ما أحملكم عليه»، فهل عادوا فرحين مستبشرين لأن الجهاد سقط عنهم، أو لأنهم لا يجدوا ما ينفقوا فبرئت ذمتهم؛ بل تولوا وهم يبكون وعز عليهم أن يجلسوا عن الجهاد ولا يجدون نفقة ولا محملا ولا ينافسوا في هذا الخير فأنزل الله عذرهم في كتابه فقال: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [التوبة:٩٠]..في يوم من الأيام يسمع الصحابة قول الله تعالى ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [التوبة: ٤١]،

وكان بينهم أبو طلحة الأنصاري -رضي الله عنه- وكان قد بلغ من العمر ثمانون عاماً فقال: لبنيه وكانوا أربعة يا بني جهزوني أريد الخروج في سبيل الله. قالوا: لقد عذرك الله فأنت رجل كبير وقد قاتلت وجاهدت مع رسول الله وأصحابه ونحن نكفيك قال: إن الله لم يعذر أحد فقال: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [التوبة: ٤١]، فخرج في جيش المسلمين لفتح القسطنطينية ومات في السفينة وظل سبعة أيام لم يجدوا جزيرة يدفنوه بها حتى دُفن تحت أسوار القسطنطينية طلباً لرضوان الله وطاعته ورغبةً في الفوز بجنته.

استهم يوم بدر خيثمة بن الحارث وابنه سعد -رضي الله عنه-، فخرج سهم سعد، فقال له أبوه: « يا بُني آثرني اليوم » فقال له سعد: « يا أبت لو كان غير الجنة فعلت »، فخرج سعد إلى بدر فقُتل شهيداً فيها، ومازال أبوه خيثمة يتطلع إلى الجنة حتى كان يوم أحد، فقتل شهيداً يوم أحد.

عبـــاد الله: لقد كان رسول الله -ﷺ- في تربيته لأصحابه يركز على إذكاء روح التنافس في الأعمال التي يعود نفعها على المرء في الدنيا والآخرة، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي -ﷺ-: «من أصبح منكم اليوم صائماً؟ » قال أبو بكر: أنا، قال: «فمن تبع منكم اليوم جنازة؟ » قال أبو بكر: أنا، قال: «فمن أطعم اليوم مسكيناً؟ » قال أبو بكر: أنا، قال: «فمن عاد منكم مريضاً؟ » قال أبو بكر: أنا، قال النبي -ﷺ-: «ما اجتمعت في امرئ إلا دخل الجنة» [مسلم ٢/٧١٣ برقم (١٠٢٨)].

وكان -ﷺ- يوجه إلى التنافس على فضائل العبادات والطاعات فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-: أَنَّ رَسُولَ الله -ﷺ- قال: « لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ ما في النِّداءِ والصَّفِ الأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إلا أَنْ يَسْتَهِمُوا عليه لاسْتَهَمُوا. وَلَوْ يَعْلَمُونَ ما في التَّهْجِيرِ لاسْتَبَقُوا إليه. ولَوْ يعلمون ما في العَتَمَةِ والصُّبْحِ لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوا » [متفق عليه]. .

وقال -ﷺ-: « من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له نزلا من الجنة كلما غدا أو راح». [البخاري، الفتح (٢/١٧٣) برقم ٦٦٢].

وكان -ﷺ- يحذّر من انحراف النفوس عن هذا الطريق فتتحول المنافسة على الدنيا وشهواتها وأموالها ومتاعها فتضعف القيم، ويندثر الدين، وتسوء الأخلاق، وتزيد الهموم؛ وهذا ما يعيشه كثير من الناس اليوم، فعَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِّ -ﷺ-: « يَا شَدَّادُ بْنَ أَوْسٍ! إِذَا رَأَيْتَ النَّاسَ قَدِ اكْتَنَزُوا الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ، فَاكْنِزْ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الأَمْرِ وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ، وَأَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا وَلِسَانًا صَادِقًا، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلَامُ الْغُيُوبِ ». [رواه الطبراني في المعجم الكبير (٦٩٩٢)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة وقال: " إسناده صحيح" (٣٢٢٨)].

عبـــاد الله: - إن التنافس المحمود في أمر الدنيا هو ذلك التنافس الذي يهدف إلى خدمة الفرد والمجتمع والأمة، و به تتطور الأمة وتتقدم في جميع نواحي الحياة سياسياً واقتصادياً وعلمياً وتربوياً و به ينتشر بسببه الحب والتسامح والألفة بين أفراد المجتمع.

أين من يتنافسون في كفالة اليتامى وإطعام المساكين.

أين من يتنافسون في دعم الجهاد والمجاهدين في فلسطين وغيرها من بقاع الأرض.

أين من يتنافسون في بر الوالدين وإرضاءهما.

أين من يتنافسون في طلب العلم والمزاحمة في. حلقات العلم.

أين من يتنافسون في الصيام والقيام وتلاوة القران والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فلنتنافس في العبادات والطاعات ولنتسابق إلى الخيرات ولنسارع إلى ما يحبه الله ويرضاه.

هذا وصلوا على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال تَعَالَىٰ:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾

[سُورَةُ الأَحۡزَابِ: ٥٦]

اللهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين. . .

غـــزوة بـــدر
دروس وعبر

غزوة بدر دروس وعبر

الحمد لله الحميد في وصفه وفعله، الحكيم في خلقه وأمره، الرحيم في عطائه ومنعه، المحمود في خفضه ورفعه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في كماله وعظمته ومجده، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أفضل مرسل من عنده، اللهم صلّ وسلم على محمد وعلى آله وصحبه وجنده.

أما بعد:

عباد الله أوصيكم ونفسي بتقوى الله وطاعته، فاتقوا الله في السر والعلن، فبالتقوى تُستنزل البركات وتجلب الرحمات وتفرج الكربات وتُستجلى العقبات وتستدفع العقوبات، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف: ٩٦]، ويقول سبحانه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق: ٣ - ٢].

فاتقوا الله عباد الله، اجتنبوا ما نهى عنه الله ورسوله، واعتنوا بما أوجب عليكم الله ورسوله؛ تستحقوا ما وعدتم وتفوزوا بمطلبكم.

أيها المؤمنون: في ثنايا هذا الشهر المبارك وفي مثل هذا اليوم كانت ملحمة من ملاحم الإسلام ويوم من أيامه الجليلة العظام، إنه يوم الفرقان يوم التقى الجمعان، يومٌ أعز الله فيه جنده ونصر فيه عبده وأذل فيه من عاداه ورفع المنار لمن والاه.

إنها غزوة بدر الكبرى: ليست كتابًا يُقرأ ولا محاضرة تُقال، غزوة بدر ينبغي على المسلم أن يعيشها وهي حُجة على كل مسلم على ظهر الأرض، أنَّ النصرَ منه قريب لو آمن بالله حقًا، حين أقبل أهل بدر على المولى- تبارك وتعالى- وصدقوا وتجرَّدوا وأخلصوا وطرحوا الدنيا وراءهم، ووضعوا في أنفسهم أمرًا واحدًا؛ أن تكون كلمة الله هي العليا وما عداها السفلى عندها قال الله لهم: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧].

غزوة بدر الكبرى التي كانت بعد أن استقر رسول الله وأصحابه في المدينة ونعموا بطيب العيش فيها وارتاحت نفوسهم واطمأنت أرواحهم بعد العناء والآلام التي كانوا يلاقونها في مكة وما جاورها زاد غيظ الكفرة الملحدين وأذنابهم من المنافقين، غاظهم أن للإسلام دولة ووطن وقائد.

وهكذا.. هي سُنَّة الحياة يغيظ الكفار وأذنابهم أن ترتفع راية الإسلام أو يهنئ أهله بطيب العيش أو رغد الحياة بل يغيظ الكفار وأذنابهم أن يوجد حاكم مسلم يُطبق شرع الله ويرفع راية القران، فالصراع بين الحق والباطل قائم إلى قيام الساعة فكفار اليوم هم أبناء الآباء بالأمس ومنافقو اليوم ورثوا النفاق صاغرًا عن صاغر.

غزوة بدر الكبرى: إنها يومٌ خاضه رسول الله بالثبات واليقين والإيمان، خاضه مع الصحب الكرام - رضي الله عنهم - وأرضاهم وبوأهم دار السلام، ثلاث مئة وأربعة عشر رجلاً ما على وجه الأرض يومها أحب إلى الله منهم، ثلاثة مئة وأربعة عشر رجلاً كُتبت لهم السعادة وهم في بطون أمهاتهم، ثلاث مئة وأربعة عشر رجلاً نادى عليهم منادي الله: يا أهل بدر اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، ثلاث مئة وأربعة عشر رجلاً أقدامهم حافية وثيابهم مرقعة بالية، وأحشاؤهم ظامئة خاوية، ولكن قلوبهم نقية زاكية، وهممهم شريفة سامية عالية، الصحب الكرام عليهم من الله الرضوان والسلام.

تعلمنا من هذه الغزوة المباركة والنصر العظيم، أن الإسلام كلمة الله الباقية ورسالته الخالدة منصورة بعز عزيز وذل ذليل، هذا الإسلام الذي كتب الله العزة لمن والاه، وكتب الذِّلة والصغار على من عاداه، كلمة باقية ورسالة خالدة زاكية.

تعلمنا من غزوة بدر أن مع العُسر يسرًا، وأن عاقبة الصبر خير واصبر وما صبرك إلا بالله.

صبر حبيب الله ورسول الله فأقر الله عينه ونصر الله حزبه: ﴿بَلَىٰٓ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ١٢٥﴾ [آل عمران: ١٢٥].

فإن وجدت عبدًا من عباد الله قد صُبّت عليه المحن والبلايا من الله ونصب وجهه صابرًا لله، فبشره بحسن العاقبة ولقد صدق رسول الهدى -ﷺ- إذ يقول: «**ما أُعطي عبد عطاء أفضل من الصبر**» [رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب الصبر عن محارم الله (٣٠٩/١١) فتح، ومسلم في كتاب الزكاة، باب فضل التعفف والصبر (١٤٤/٧) بشرح النووي، عن ابن مسعود].

بالصبر يتوسّع ضيق الدنيا، وبالصبر تتبدد همومها وغمومها وأحزانها، يطيب العيش وترتاح النفوس وتطمئن القلوب، وصدق عمر وأرضاه إذ قال: «**وجدنا ألذ عيشنا بالصبر**» [ذكره البخاري معلقًا في صحيحه، كتاب الرقاق، باب الصبر].

تعلّمنا من غزوة بدر أن التقوى سبيل النصر للمؤمنين وطريق الفلاح للمفلحين بالصبر والتقوى تنزلت ملائكة الرحمن؛ نصرة لجند الإيمان، فمن صبر واتقى جعلَ له ربه من كل همٍّ فرجًا ومن كل ضيق مخرجًا.. اسمع إلى يوسف الكريم بن الكريم حين جاءه إخوته متعجبين مستغربين كيف أعزه الله ورفعه ﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِي قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٠﴾ [يوسف: ٩٠].

صبراً يا أهل الإسلام.

صبراً يا أهل الإسلام لئن ضاقت الأرض عليكم فلم تضيق بالصبر والتقوى، إن وراء الليل فجرًا، إن تحت الرماد نارًا، صبرٌ جميل لعل الله أن يأتي بالفرج الجليل.

تعلّمنا من غزوة بدر الكبرى، أن من أسباب النصر العظيمة تآلف القلوب وتراحمها، كان أصحاب النبي -ﷺ- في قلة من العدد والعدة، ولكن كانت بينهم المحبة والصفاء والمودة والإخاء، كانوا متراحمين متعاطفين متآلفين متكاتفين متناصرين متآزرين، شعارهم: لا إله إلا الله، فسبحان من أعزهم وهم أذلاء، سبحان من أغناهم وهم فقراء، سبحان من رفعهم وهم وضعاء.

انظر وتأمل إن وجدت أهل الإسلام متعاطفين متراحمين فاعلم أن النصر حليفهم، وإن وجدتهم متقاطعين متباعدين متناحرين، مزقتهم الجماعات والحزبيات والرايات والشعارات فادمع على الإسلام بين أهله.

عباد الله: دعونا نعيش غزوة بدر وها هو رسول -ﷺ- يسوّي الصفوف بقدَحٍ في يده فضرب بطن سواد بن غزية وقال: «استو يا سواد» فقال سواد: يا رسول الله أوجعتني فأقدني ما تريد يا سواد؟ القصاص مِن مَن؟ مِن رسول الله.

وافق رسول الله لأنه لا يريد أن يلقى الله بمظلمة، لكن سواد قال يا رسول الله كان بطني مكشوفاً فكشف رسول الله عن بطنه وقال: «استقد» فاعتنقه سواد وقبّل بطنه فقال: «ما حملك على هذا يا سواد؟» قال: يا رسول الله قد حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد بك، أن يمس جلدي جلدك فدعا له رسول الله بخير. إنه الحب العظيم للحبيب محمد -ﷺ- اللهم أحينا على سنته واحشرنا في زمرته.

تعالوا بنا إلى مشهد آخر يقصه علينا عبد الرحمن بن عوف فيقول: «إني لفي الصف يوم بدر إذ التفت فإذا عن يميني وعن يساري فتيان حديثا السن إذ قال لي أحدهما سرًا عن صاحبه: يا عم أرني أبا جهل فقلت: يا ابن أخي فما تصنع به؟ قال أُخبرت أنه يسب رسول الله والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا فتعجبت لذلك قال: وغمزني الآخر فقال لي مثلها فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يجول في الناس فقلت: ألا تريان؟ هذا صاحبكما الذي تسألاني عنه.

قال: فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه ثم انصرفا إلى رسول الله فقال: «أيكما قتله؟» فقال كل واحد منهما: أنا قتلته قال: «هل مسحتما سيفيكما؟» فقالا: لا فنظر رسول الله إلى السيفين فقال: «كلاكما قتله» [رواه البخاري ح(٣١٤١)، ومسلم ح(١٧٥٢).] وهما معاذ بن عمرو بن الجموح ومعوذ بن عفراء. وكان النصر بعد ذلك.

الله أكبر. . . ألا فليُصرخ بمثل هذه المواقف في المجالس والدور ولتُسقى هذه البطولة وتلك الغيرة مع ألبان الأمهات وليُعلّم الصغار والكبار كيف تكون العزة والدفاع عن الدين ونصرة الحق والغيرة على الإسلام من أبنائنا الصغار.

تعلمنا من دروس هذه الغزوة أن قوة الإيمان هي السلاح البتار:

إنه الإيمان بالله الذي يضع أمر الله ورسوله في جانب، والدنيا كلها في جانب آخر، وعدونا لا يخشى في ميدان المعركة الأسلحة التي بأيدينا، ولكنه يخشى من سلاح الإيمان الذي يستمد قوته من الله؛ لأنه السلاح الذي لا يقهر واليقين الذي لا يغلب، ولا أدلَّ على ذلك في عصرنا الحاضر من تسخير الأعداء كل قواهم لاغتيال الشيخ أحمد ياسين، وهو القعيد الذي لا يحمل طلقةً، ومن قبله يتآمر العالم على اغتيال الإمام البنا- رحمهما الله- الأعزل من أي سلاح، وليس لذلك من سبب إلا الخوف من مخازن أسلحة الإيمان، فالمصلحون المخلصون والدعاة الصادقون يحملون بين جنباتهم مصانع إيمان تبث إنتاجها في قلوب من حولهم، ويمدون به كل جبان رعديد، فإذا به في الميدان أسدٌ هصورٌ، كما يبعث الإيمان بالأمل في قلوب اليائسين القانطين، فيتوجهون لملاقاة العدو، وكلهم يقين أن نصر الله آتٍ، وأن التمكين لهم قريب: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [آل عمران: ١٦٠].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

أما بعد: أيها المسلمون:

تعلمنا من غزوة بدر أهمية الدعاء والاستغاثة بالمغيث ومقاطعة العدو:

قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾ [الأنفال: ٩]، لما نظم -ﷺ- صفوف جيشه، وأصدر أوامره لهم وحرّضهم على القتال، رجع إلى العريش الذي بُني له ومعه صاحبه أبو بكر -رضي الله عنه- وسعد بن معاذ على باب العريش لحراسته وهو شاهرٌ سيفه، واتجه رسول الله -ﷺ- إلى ربه يدعوه ويناشده النصر الذي وعده ويقول في دعائه: «**اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلا تُعبد في الأرض أبدًا**»، وما زال -ﷺ- يدعو ويستغيث حتى سقط رداؤه، فأخذه أبو بكر ورده على منكبيه وهو يقول: يا رسول الله كفاك مناشدتك ربك فإنه منجز لك ما وعدك فأنزل الله عز وجل: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ وفي رواية ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال النبي -ﷺ- يوم بدر: «**اللهم أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد**» فأخذ أبو بكر بيده فقال: حسبك الله، فخرج -ﷺ- وهو يقول: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾ [القمر: ٤٥]

وهذا درسٌ رباني مهم لكل قائد أو حاكم أو زعيم أو فرد في أهمية اللجوء إلى الله، والسجود والجثي بين يدي الله عند التجرد من النفس وحظها، والخلوص واللجوء لله وحده، والسجود والجثي بين يدي الله سبحانه عند الملمات والشدائد فهو وحده الناصر والمعين والمؤيد ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

عباد الله: وها هي أيام الشهر قد تتابعت ولياليه الغُر قد تلاحقت، هذه أيام رمضان قد أوشكت بالرحيل، وها نحن بعد أيام سنستقبل العشر الأواخر، ختام شهر رمضان ووداعه.

أيها الإخوة، إن كان في النفوس زاجر، وإن كان في القلوب واعظ، فقد بقيت من أيامه بقيةٌ، بقية وأي بقية، إنها عشره الأخيرة.

بقية كان يحتفي بها نبيكم محمد -ﷺ- أيما احتفاء.

في العشرين قبلها كان يخلطها بصلاة ونوم، فإذا دخلت العشر شمر وجد وشد المئزر هجر فراشه، أيقظ أهله، يطرق الباب على فاطمة وعلي -رضي الله عنهما- قائلاً: «ألا تقومان فتصليان» يطرق الباب وهو يتلو: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [طه: ١٣٢]، ويتجه إلى حجرات نسائه آمرا: «أيقظوا صواحب الحجر فرب كاسية في الدنيا عارية يوم القيامة» [رواه البخاري.].

إنها عشْر مباركات إذا دخلت على الأخيار والصالحين فروا إلى بيوت الله معتكفين ركعًا سجدًا يبتغون فضلاً من الله ورضوانًا، سيماهم في وجوههم من أثر السجود قد فارقوا النوم والكرى والهجود، يرجون رحمة الله الحليم الودود ويسألونه مقامًا مع الركع السجود في نعيم الجنات جنات الخلود مع المقربين الشهود، قد سمت أرواحهم إلى الخيرات وتنافست أجسادهم في فعل الباقيات الصالحات.

يا عباد الله، أنتم مقبلون على عشر هي أعظم أيام شهركم فضلاً وأرفعها قدرًا وأكثرها أجرًا، تصفو الأوقات للذيذ المناجاة، وتسكب العبرات بكاءً على السيئات، فكم لربّ العزة من عتيق من النار، وكم من أسير للذنوب وصله الله بعد القطع، وكتب له السعادة من بعد طول شقاء، إنها الفرصة إذا أفلتت فلن تنفع بعدها الحسرات، والأعمار بيد الله، قال الله تعالى:

﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان: ٣٤].

فلا ينبغي للمؤمن العاقل أن يفوّت هذه الفرصة الثمينة على نفسه وأهله، فما هي إلا ليالٍ معدودة ربما يدرك الإنسان فيها نفحة من نفحات المولى، فتكون سعادة له في الدنيا والآخرة.

هذا وصلوا – عباد الله: – على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال تَعَالَى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾

[سُورَةُ الأَحۡزَابِ: ٥٦]

اللهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين. . .

غضب الله ورضاه

غضب الله ورضاه

الحمد لله الذي علا وقهر، وعز واقتدر، وفطَر الكائنات بقدرته فظهرت فيها أدلة وحدانية من فطر، فسبحانه من إلهٍ عظيم لا يُماثل ولا يُضاهى ولا يُدركه بصر، وتعالى من قادرٍ محيط لا تُنجي منه قوةٌ ولا مفر.

وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له على رغْم أنف من جحَد به وكفر، شهادةً نرجو بها النجاة من نارٍ لا تُبقي ولا تذر.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله سيد البشر، وعلى آله وصحبه السادة الغُرر، الذين جاهدوا في الله حقّ جهاده فما وهَى عزم أحدهم ولا فتَر.

عباد الله:

اتقوا الله حق التقوى وراقبوه في السر والعلن وتمسكوا بما شرع الله لكم من الدين القويم وأعلموا أن طاعة الله فيها السلامة والنجاة وفيها الرفعة والعزة وإياكم والمعاصي فإنها توجب اليم العقاب ووبيل العذاب.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[آل عمران: ١٠٢].

عباد الله: ربنا تعالى حليمٌ كريمٌ عليمٌ رحيمٌ ودودٌ رحمته وسعت كل شيء، لكنه سبحانه إذا غضب على شيء فإن غضبه يكون شديداً يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ١٢﴾[البروج: ١٢] وعذابه يكون أليمًا، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ٥٠﴾[الحجر: ٥٠].

و إذا غضب الله على عبدٍ فسيغضب عليه كل شيء، لاحظ في سورة الفاتحة لما ذكر الله تعالى الغضب قال سبحانه: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾، لأن الله تعالى إذا غضب على عبدٍ فكُل شيء سيغضب عليه لذا قال: ﴿ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ الملائكة ستغضب عليه السماوات ستغضب عليه الجمادات النباتات، كل شيء سيغضب عليه حتى الحيوانات.

يقول أحد الصالحين: «والله إني لأعرف أثر معصيتي إذا تغيرت أخلاق دابتي و زوجتي».

من أعظم أسباب غضب الله على العباد الذنوب والمعاصي، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم: ٤١]

من الناس من يُغضب الخالق والرازق ويُرضي فُلان وعلاّن.

من الناس من يفعل شيئاً ممنوعاً أو محرماً لكي يرضي مسؤوله في العمل، أو يُرضي زوجته.

من الناس من يعصي أُمه ويُرضي زوجته، ومنهم من يُرضي أُمه ويظلم زوجته.

وها هو أحد الشعراء وهو ابن هانئ الأندلسي، حيث يقول في مدح المعز لدين الله الفاطمي:

ما شئت لا ما شاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار

ويقول:

ولك الجواري المنشآت مواخراً تجري بأمرك والرياح رخاءُ

فهذا من وسوسة الشيطان للشعراء الذين يرتزقون ويتكسبون بشعرهم، ويضعون القوافي على أبواب وأعتاب ذوي النفوذ والمال والجاه، لعلهم يحظون منهم بنظرة عطف أو مال أو منصب أو غير ذلك.

هذا الشاعر قالوا عنه أنه خرج من القصر فأُصيب بمرض، وكان يعوي كالكلب على فراشه ويقول: أنت الواحد القهار، وأخذ يبكي ويقول:

أبعين مفتقر إليك نظرتِ فأهنتني وقذفتني من حالق
لست الملوم أنا الملوم لأنني علّقت آمالي بغير الخالق

يعصون الله يُعظّمون المخلوق يرفعونه إلى منزلة الخالق من أجل منصبٍ أو جال أو مال.

هؤلاء الناس الذين يحاول أن يرضيهم هم أنفسهم سيغضبون عليه، هذا ليس كلامي هذا كلام المصطفى -ﷺ-، قال: « و **من التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه و أسخط عليه الناس**»[أخرجه ابن المبارك في الزهد (١٩٩)، ومن طريقه الترمذي في الزهد (٢٤١٤)].

ليس للإنسان أن يتوجه إلا لله، فلا يخاف إلا إياه، ولا يرجو سواه، ولا ينطلق في حياته إلا طلبًا لرضاه في كل حركاته وسكناته في كل معاشراته ومعاملاته، فينفذ ما أمر الله تعالى به لا يلتفت في ذلك لمدح مادح أو ذم ذام، ولا يضع في نفسه وهو يرضي الله ﷻ أدنى حساب لسخَط أحد من الخلق أو رضاه مهما كلّفه ذلك من مشاق.

مما يُغضب الله تعالى:

عباد الله: مما يُغضب الله أولاً: مدح الفاسق، فعن أنس بن مالك -رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله -ﷺ-: « إذا مُدح الفاسق غضب الله واهتز لذلك العرش »[ضعفه الألباني]،

مما يُغضب الله ثانيًا: الحلف الكاذب لسرقة أموال الناس، عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: قال النبي -ﷺ-: «من حلف على يمينٍ و هو فيها فاجر ليقتطع بها مالاً، لقي الله وهو غضبان» ونزل تصديق ذلك في كتاب الله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٧٧﴾ [آل عمران: ٧٧].

ثالثًا: مما يُغضب الله هذا اللسان حين يتكلم بالحرام من غيبة ونميمة وهتك أعراض الناس، ففي مسند الإمام أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجة بسندٍ صحيح عن بلال بن الحارث المزني قال: قال رسول الله -ﷺ-: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى، ما يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله ﷻ له من رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله تعالى عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه».

رابعًا: مما يُغضب الله سخط الوالدين وعصيان الوالدين، فرضا الله في رضا الوالدين، وسخط الله في سخط الوالدين.

خامسًا: مما يُغضب الله الأكل الحرام، فإذا غضب الله على عبد رزقه من حرام، وإذا اشتد غضبه بارك له فيه.

عباد الله: إذا غضب الله على شيء فلن يفلح أبداً و لو فعل ما فعل، إلا إذا ارتفع عنه هذا الغضب، و إذا زاد الإنسان من إصراره على المعصية كان غضب الله تعالى أقرب و أشد

قد يسأل سائل، كيف أرفع غضب الله عني؟ كيف أتعامل مع الله إذا غضب؟

ربنا سبحانه مع أنه غاضب على العبد إلا أنه يمهله يحلم عليه، مع أن حقه سبحانه يقتص ممن عصاه فوراً الآن هذا حقه إلا أنه يعطيه فرصة هذه الفرصة تسمى مرحلة الإمهال لعله يرجع لعله يعود.

قال يوسف بن الحسين: كنت مع ذي النون المصري على شاطئ غدير فنظرت إلى عقرب أعظم ما يكون على شط الغدير واقفة فإذا بضفدع قد خرجت من الغدير فركبتها العقرب فجعلت الضفدع تسبح حتى عبرت فقال ذو النون إن لهذه العقرب لشأنا فامض بنا فجعلنا نقفوا أثرها فإذا رجل نائم سكران وإذا حية قد جاءت فصعدت من ناحية سرته إلى صدره وهي تطلب أذنه فاستحكمت العقرب من الحية فضربتها فانقلبت وانفسخت ورجعت العقرب إلى الغدير فجاءت الضفدع فركبتها فعبرت، فحرّك ذو النون الرجل النائم ففتح عينيه فقال يا فتى انظر مما نجاك الله هذه العقرب جاءت فقتلت هذه الحية التي أرادتك ثم أنشأ ذو النون يقول:

يا غافلاً والجليل يحرسه ... من كل سوءٍ يدب في الظلم

كيف تنام العيون عن ملكٍ ... تأتيه منه فوائد النعم

فنهض الشاب وقال: «إلهي هذا فعلك بمن عصاك فكيف رفقك بمن يطيعك» ثم ولى إلى الله تائباً نادما، فإن قال قائل: كيف أعرف هل الله غضبان علي أم لا؟

الجواب بسيط: إذا كان العبد مصراً على المعصية مصراً على ظلمه ونفاقه فيُخشى عليه أن يكون ربنا فعلاً غضبان عليه.

عباد الله: بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما سمعتم واستغفر الله لي ولكم ولسائر المؤمنين فاستغفروه انه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وإخوانه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أخلاق الحبيب: إذا أحسست أن الله غاضبٌ عليك توجد طريقة تُذهب هذا الغضب عنك، بحيث يعود الرضا إليك بعد أن فقدته.

الحل: أن تبحث عن أحد يخلّصك من هذه الورطة، و لن تجد أحدا يخلّصك إلا هو سبحانه، فهو الذي سيخلّصك من هذا الغضب كل شيء تفر منه عنه إلا الله فإنك تفر إليه قال تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الذاريات: ٥٠].

سيخلّصك من غضبه إذا لجأت إليه هو وحده، و لهذا كان النبي -ﷺ- يقول: «**لا ملجأ و لا منجى منك إلا إليك**» و كان النبي -ﷺ- أذكى الخلق و أعرف الناس بالله، جاء في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: فقدت رسول الله ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد (أي في السجود) وهما منصوبتان وهو يقول: «**اللهم أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك**» [أخرجه مسلم في كتاب الصلاة (٤٨٦) من حديث عائشة رضي الله عنها].

علّمنا النبي -ﷺ- أن طلب الرضا قبل الجنة فكان من دعائه -ﷺ- «**اللهم إني أسالك رضاك والجنة**»، ورضا الله أعظم من نعيم الجنة قال تعالى: ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧٢].

أخرج البخاري ومسلم عن أبي سعد الجدري -رضي الله عنه- أن النبي -ﷺ- قال: «**إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك؟ ! فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ ! فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدًا**».

رجع عليه الصلاة والسلام من الطائف حزيناً كئيباً، ولجأ إلى الله ﷻ الذي لا ملجأ غيره داعيا ومتوجها بقلبه ومشاعره وأحاسيسه إليه قائلاً: «**اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين**، إلى أن قال: **إن لم يكن بك عليَّ غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك أوسع لي**» [أخرج هذه القصة ابن إسحاق (سيرة ابن هشام ٢/ ٤١٩) بسند صحيح عن محمد بن كعب القرطبي مرسلاً، أما الدعاء فقد ذكره بدون سند، (المصدر السابق ٢/ ٤٢٠). وانظر: فقه السيرة للغزالي بتعليق الألباني (ص١٢٥-١٢٦)].

لسان حاله -ﷺ- يارب: أُرجم أُسجن أُقتل كل هذا يهون أهم أمر رضاك عني« **إن لم يكن بك عليَّ غضبٌ فلا أُبالي** ».

ولله در رابعة حين قالت:

فليتك تَحلو والحْياة مريرةٌ ... وليتك ترضى والأنام غضاب

وليت الذي بينِي وبينك عامرٌ ... وبيني وبين العالَمين خراب

إذا صحّ منك الود فالكل هيّن ... وكلّ الذي فوق التراب تراب

يأتي عبد الله بن عمرو الأنصاري يوم أحد فيعلم أنه لا إله إلا الله، ويفيض حباً لله، ويرفع طرفه قبل المعركة ويقول: «**اللهم خُذ من دمي هذا اليوم حتى ترضى**».

أحمد ياسين -رحمه الله- كان يقال له ما أُمنيتك في الحياة؟ فيقول: «**أملي أن يرضى الله عني**».

فيا أخي الحبيب: ادع ربك كلّمه بكل مشاعرك وأحاسيسك، كلّمه من كل قلبك قل له: يا ربي لا تغضب علي.. يا رب ارض عني، يا ربي ليس لي سواك قل له: "يا رب إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي.. **اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني و أنا عبدك و أنا على عهدك و وعدك ما استطعت** " كلّمه قل له: " **لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين** ".

صدّقني سيرضى عنك، يقول ﷻ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[البقرة: ١٨٦].

أخي الحبيب: حاول أن تُرضي ربك بما يحب جل وعلا، واعلم أن رضا الله من رضا الوالدين. واعلم أن من رضي عن قضاء الله وقدره فله الرضا ومن سخط فعليه السخط. انتبه أن تُغضب ربك بمعصية، بعقوق، بنصرة ظالم، بقطيعة رحم، بأكل حرام، بيمينٍ فاجرة.

وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- أنه سأل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ما يباعدني من غضب الله عز وجل؟ قال: « **لا تغضب** » [رواه أحمد وابن حبان في صحيحه إلا أنه قال ما يمنعني وحسنه الألباني].

روي أن أمير بلدة حاتم الأصم اجتاز على باب حاتم فاستسقى ماء فلما شرب رمى إليهم شيئا من المال، فوافقه أصحابه، ففرح أهل الدار سوى بنية صغيرة فإنها بكت. فقيل لها: ما يبكيك؟ قالت: مخلوق نظر إلينا فاستغنينا فكيف لو نظر إلينا الخالق.

هذا وصلوا - عباد الله: - على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال تَعَالَى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾

[سُورَةُ الأَحۡزَابِ: ٥٦]

اللهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين.

مواقف
بكى فيها
النبي ﷺ

مواقف بكى فيها النبي

الحمد لله الرؤوف الرحيم، البر الجواد الكريم، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك العظيم، له الأسماء الحسنى، والصفات العليا، والإحسان العميم، وله الرحمة الواسعة، والحكمة الشاملة، وهو العليم الحكيم، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الذي قال الله فيه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم: ٤].

اللهم صل وسلم وبارك على محمد وعلى آله وأصحابه، الذين هُدُوا إلى الحق وإلى طريق مستقيم.

أمّا بعد: أيّها الناس، اتّقوا الله تعالى حقَّ التقوى، والزَموا التَّقوى حتى يأتيكم الموت.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

اتّقوا ربَّكم، فتقوى الله سببٌ لمحبَّةِ الله لكم والله يحبّ المتقين.

عباد الله: كلما هل هلال ربيع الأول تذكرنا النبي -ﷺ- لأنه ولد فيه ومات فيه.

ويوم المولد يُذكّرنا باتباع الحبيب -ﷺ- القائل: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ**» [أخرجه أحمد (٤/ ١٢٦)، وأبو داود في السنة، باب: لزوم السنة (٤٦٠٧)، والترمذي في العلم، باب: ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع (٢٦٧٦)، والألباني في صحيح أبي داود (٣٨٥١)].

يوم المولد يذكّرنا يقوله -ﷺ- : «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى**» [أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام (٧٢٨٠) من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-].

يوم المولد يذكرنا بقوله -ﷺ-: فيما روى البخاري ومسلم، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: «**لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده، لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا، ما بلغ مُدّ أحدهم ولا نصيفه**».

كذب من ادعى حب النبي -ﷺ- وهو يعصيه وهو ينكر سنته ويسب أصحابه.

لـو كـان حُبـك صـادقًا لأطعتـه إن المحـب لمـن يحـبّ مطيـع

اليوم سنعيش وإياكم مع النبي المصطفى والرسول المجتبى صاحب الحوض المرود واللواء المعقود والمقام المحمود.

أيها المؤمنون: أحسن حياة وأحلى حياة يعيشها المسلم حين يتأسى بالنبي -ﷺ-وحياة النبي -ﷺ- كلها عجب ودروس وعبر وعظات كيف لا والله جل وعلا جعله نبراساً وهدى وقدوةً للعالمين قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب: ٢١]

اليوم سنقف مع جزء من حياة النبي -ﷺ- مع مواقف من حياته بكى فيها -ﷺ-، وبكاء النبي -ﷺ- غالٍ، ودموعه سامية لا يبكي إلا لأمر لجلل.

يظن البعض بأن البكاء لا يصدر إلا من ضعيف، وأن البكاء من خصال وصفات النساء، وأن الرجل القوي الشجاع لا يبكي، وكل هذا غير صحيح.

وكانت أكثر مواقف بكى فيها رسول الله -ﷺ- ثلاثة مراحل المرحلة الأولى عند فراق الأحباب والمرحلة الثانية عند هجر الأوطان والمرحلة الثالثة وهي أهم مرحلة وهي عند عبادة الديان.

ولد -ﷺ- يتيماً وماتت أمه بالأبواء وهو صغيراً وعمره ست سنوات وكانت معه أم أيمن رضي الله عنها وقال لام أيمن: أنت أمي بعد أمي -ﷺ- وصدق الله القائل ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ ﴾[الضحى: ٦].

ومرت الأيام والشهور والسنين وتزوج النبي -ﷺ- خديجة بنت خويلد التي كانت نعم الزوجة والسكن والمعين ضحّت بمالها وبكل ما تملك.

وكانت آخر المواقف يوم حوصر النبي -ﷺ- وبني هاشم في شعب أبي طالب لتعاني من شدة الجوع والعطش والألم والمرض والاضطهاد ثلاث سنوات وكانت قد بلغت من العمر اثنين وستين عاما وتحملت كل ذلك فداءً للنبي -ﷺ- واستحقت أن ينزل جبريل يخترق السبع الطباق إلى النبي -ﷺ- يقول له: «**السلام يقرئك السلام ويقول لك أقرئ خديجة من ربها السلام وبشرها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب**»[أخرجه البخاري في: ٦٣ كتاب مناقب الأنصار: ٢٠ باب تزويج النبي -ﷺ- خديجة وفضلها].

ثم ماتت خديجة -رضي الله عنها- وبعدها أبى طالب الذي كان يدافع عن النبي -ﷺ- ضد أذى المشركين وكان الرسول -ﷺ- يرافقه حتى في آخر لحظات حياته.

وتزوج الرسول -ﷺ- مارية القبطية ورزقه الله منها إبراهيم ويموت وهو صغير فأخذه النبي -ﷺ- يُقبّله ويشمّه وهو يبكي قال له ابن عوف -رضي الله عنه-: وأنت يا رسول الله؟! فقال عليه الصلاة والسلام: « **يا ابن عوف، إنها رحمة** »، ثم أتبعها بأخرى وقال: « **إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون** » [أخرجه البخاري في الجنائز (١٣٠٣)، ومسلم في الفضائل (٢٣١٥) من حديث أنس -رضي الله عنه- بنحوه].

ومن مواقف بكاؤه بعد غزوة احد حين عاد -ﷺ- إلى المدينة حزينًا أسيفًا كَسِيفًا، بعد ما وقع في غزوة أُحد وبعد أن رأى عمه حمزة ممثلاً به مجدوع الأذنين مجدوع الأنف مشقوق البطن مستخرج الكبد حالته لا يطاق النظر إليها فيرى نساءَ الأنصار يبكون قتلاهم في أحد، فتتقاطر الدموعُ على وجْنَتيه الشريفتين بأبي هو وأمي، ويقول: «**ولكنّ حمزة لا بواكي له، ولكنّ حمزة لا بواكي له**»، فطَفِقْن نساءُ الأنصار يقلن: نحن نبكيه وننديه يا رسول الله، نحن نبكيه وننديه يا رسول الله، فنهاهن عن ذلك وأبى النياحة.

وبعد غزوة مؤته تلك المعركة التي حدّد -ﷺ- ثلاثة من الصحابة قادة ثم قال: «**إن أصيب زيدٌ فجعفر بن أبي طالب على الناس، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحه على الناس**». نقل الرسول -ﷺ- المعركة على الهواء و نعاهم لأصحابه بالمدينة في نفس اللحظة، فقال: «**أخذ الراية زيد فأُصيب، ثم أخذ جعفر فأُصيب، ثم أخذ عبد الله بن رواحة فأُصيب ـ وعيناه تذرفان ـ، حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم**».

رجع النبي -ﷺ- ودخل على زوجة جعفر أسماء بنت عميس فقال لها ائتني ببني جعفر فلما جاءت بهم أخذهم النبي -ﷺ- يقبلهم وهو يبكي ويقول: «**أتخافين عليهم وأنا وليهم في الدنيا والآخرة؟!** » [أحمد في المسند، ح (١٧٥٠)، وأبو داود مختصراً، ح (٤١٩٢)، وصححه الألباني، تلخيص الجنائز، ص ٧٣. وفي الحكمة من حلق رؤوسهم قال العظيم آبادي: " لما رأى من اشتغال أمهم أسماء بنت عميس عن ترجيل شعورهم بما أصابها من قتل زوجها في سبيل الله فأشفق عليهم من الوسخ والقمل " عون المعبود ١١/ ١٦٤].

كيف لا يفعل ذلك وهو الذي أوصانا بصلة الرحم وأوصانا بكفالة الأيتام وقال: «**أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين**» وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى.[رواه البخاري في صحيحه (٦٠٠٥) كتاب الأدب].

ومن مواقف بكاؤه -ﷺ- يوم صعد بلال واستوى على الكعبة يوم فتح مكة ليخاطب الدنيا بشهادة الحق إلى يوم الدين، فلما أذّن بكى الناس، ومن الذي يرى هذا المشهد، ويرى هذه الصورة، ويسمع هذا الصوت، ويعيش هذه التفاصيل، ثم لا يبكي، شيء عجيب يوم الفتح الأكبر، الفاتح رسول الله عليه الصلاة والسلام، الدين الإسلام، المؤذن بلال، من بلال؟ المولى الأسود، وأين يؤذن؟ على سطح الكعبة المشرفة، وكان صوته جميلاً نادياً، يشجي القلوب، وتطرب له الآذان.

وبكى رسول الله عليه الصلاة والسلام، سالت دموعه، لأنه تذكر المعاناة، تذكر الأيام العصيبة التي عاشتها هذه الطائفة المؤمنة، وتذكر فضل الله عليه وإنعامه بهذا النصر المبين، لقد انتصر محمد -ﷺ-، وها هو مولاه وحبيبه الذي كان مطارداً معذباً مهاناً، أصبح المؤذن الأول في التاريخ، وها هو صوت بلال يجلجل في هضبات مكة وأوديتها، يزلزل الدنيا بلا إله إلا الله.

أما البكاء عند فراق الأوطان فيوم خرج النبي -ﷺ- يبحث عن من يحمي هذا الدين، ويبلغ هذا الدين فخرج إلى الطائف على قدميه الشريفتين أكثر من (٩٠) كيلو متر لا يركب دابة، ولما وصل إلى الطائف كان الجواب كما تعرفون الاستهزاء الضرب بالحجارة حتى أدموا قدمه الشريفتين -ﷺ- وهو من هو سيد الأولين والآخرين.

فينصرف حزيناً، باكياً فيأتي ظلّ شجرة، فيجلس، ثم يقول: «**اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت أرحم الراحمين، إلى من تكلني؟ إلى عدو يتجهمني، أم إلى قريب ملّكته أمري؟ إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، غير أن عافيتك أوسع لي. أعوذ بوجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلُح عليه أمر الدنيا والآخرة؛ أن ينزل بي غضبك، أو يحلّ بي سخطك، لك العُتبى حتى ترضى ولا قوة إلا بالله**»

[قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٣٨) رواه الطبراني وفيه ابن إسحاق وهو مدلس ثقة، وبقية رجاله ثقات].

وعندما جاء الإذن بالهجرة إلى المدينة، فالرسول -ﷺ- سيترك الوطن ومسقط الرأس يترك المكان الذي تعبد الله فيه يترك المكان الذي تربى فيه والأهل والديار ويخرج وهو ينظر إلى مكة وهو يبكي ويقول: «**والله، إنّكِ لأحَبّ البقاعِ إلى الله وأحبّ البقاع إليَّ، ولولا أني أُخرِجتُ منك ما خَرَجتُ**» [مسند أحمد (٤/ ٣٠٥)، سنن الترمذي: كتاب المناقب (٣٩٢٥)، سنن النسائي الكبرى (٤٢٥٢، ٤٢٥٣،) وهو في صحيح سنن الترمذي (٣٠٨٢).

عباد الله: بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما سمعتم واستغفر الله لي ولكم ولسائر المؤمنين فاستغفروه انه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وإخوانه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

عباد الله: أما بكاؤه -ﷺ- عند عبودية الديان فالنبي -ﷺ- هو اتقى الناس وأخشى الناس لله عزوجل.

فهو القائل -ﷺ-: «**إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أَطَّتِ السَّمَاءُ وحُقَّ لها أن تَئِطَّ، ما فيها موضع أربع أصابعَ إلا وفيها ملك واضع جَبْهَتَهُ ساجدًا لله**»[سنن الترمذي كتاب الزهد (٢٣١٢)، ومسند الإمام أحمد (٥/ ١٧٣)، وأخرجه أيضا ابن ماجه في الزهد، باب: الحزن والبكاء (٤١٩٠). من حديث أبي ذر -رضي الله عنه-].

كيف لا يبكي -ﷺ- بين يدي ربه وهو القائل: «**سبعةٌ يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: منهم رجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه**» [متفق عليه]. كيف لا يبكي هو القائل: «**عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله**»[رواه مسلم رقم (٢٥٦٦) في البر والصلة، باب في فضل الحب في الله، والموطأ (٢/ ٩٥٢) في الشعر، باب ما جاء في المتحابين في الله].

كيف لا يبكي -ﷺ- وهو القائل: « **لا يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللهِ حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ** »[رواه الترمذي ح (١٦٣٣)، والنسائي ح (٣١٠٨)، وأحمد (١٠١٨٢)].

أخي الحبيب: متى آخر مرة بكيت من خشية الله؟

متى نبكي على تفريطنا وتقصيرنا في حق الله قبل أن نبكي الدم يوم القيامة؟

عن ابن مسعود -رضي الله عنه- أنه قال له رسول الله -ﷺ-: «**اقرأ سورة الفرائض**» فقرأ النساء حتى إذا بلغ ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾ [النساء: ٤١]، فقال له بيده أمسك أمسك، قال فبكى النبي -ﷺ- فأكثر البكاء وامسك ثم قال: « **أعد**» فقرأها من أولها حتى إذا بلغ هذه الآية بكى أيضاً وامسك عبدالله حتى فعل ثلاث مرات.

وعن عبيد بن عمير -رحمه الله-: أنه قال لعائشة -رضي الله عنها-: أخبرينا بأعجب شيء رأيتيه من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؟ قال: فسكتت ثم قالت: لما كانت ليلة من الليالي.

قال: « يا عائشة ذريني أتعبد الليلة لربي»

قلت: والله إني أحب قُربك، وأحب ما يسرك.

قالت: فقام فتطهر -صلى الله عليه وسلم-، ثم قام يصلي، فلم يزل يبكي، حتى بل حِجرهُ.

قالت: وكان جالساً فلم يزل يبكي -صلى الله عليه وسلم- حتى بل لحيته!

قالت: ثم بكى حتى بل الأرض! فجاء بلال يؤذنه بالصلاة، فلما رآه يبكي، قال: يا رسول الله تبكي، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ ! قال: « أفلا أكون عبداً شكورا؟ ! لقد أنزلت علي الليلة آية، ويل لم قرأها ولم يتفكر فيها! ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ الآيات [رواه ابن حبان (٢ / ٣٨٦) وغيره، وصححه الشيخ الألباني]

وفي الحديث: أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قرأ قول الله عز وجل عن إبراهيم: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ [إبراهيم: ٣٦]، ثم تلا قوله تعالى عن عيسى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة: ١١٨]، ثم بكى -صلى الله عليه وسلم-، فأرسل الله إليه جبريل، وقال له: سله ما يبكيك؟ والله أعلم بما يبكيه، فقال -صلى الله عليه وسلم-: «أمتي أمتي» -يبكي على أمته- فقال الله عز وجل: يا جبريل! اذهب إلى محمد، وربك أعلم، فسله ما يبكيك؟ فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فسأله. فأخبره رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بما قال، وهو أعلم. فقال الله: « يا جبريل! اذهب إلى محمد فقل: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك»[رواه مسلم (٣/ ٧٨) الإيمان: باب بشارة الأمة].

عن البراء بن عازب -رضي الله عنه- قال: بينما نحن مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذ بَصُرَ بجماعة، فقال: «**على ما اجتمع هؤلاء؟**» قيل: على قبر يحفرونه، ففزع رسول الله، فبدر بين يدي أصحابه مسرعًا حتى انتهى إلى القبر، فجثا عليه، قال: فاستقبلته من بين يديه لأنظر ما يصنع، فبكى حتى بل الثرى من دموعه، ثم أقبل علينا فقال: «**أي إخواني، لمثل هذا اليوم فأعدوا**»

[رواه أحمد وابن ماجه عن البراء وهو حديث حسن].

. . هذا وصلوا - عباد الله: - على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال تَعَالَىٰ:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾

[سُورَةُ الأَحۡزَابِ: ٥٦]

اللهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين. . .

ميلاد الحبيب محمد ﷺ

ميلاد الحبيب محمد

الحمد لله الذي علا وقهر، وعز واقتدر، وفطر الكائنات بقدرته فظهرت فيها أدلة وحدانية من فطر، فسبحانه من إلهٍ عظيم لا يُماثل ولا يُضاهى ولا يُدركه بصر، وتعالى من قادرٍ محيط لا تُنجي منه قوةٌ ولا مفر.

وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له على رغم أنف من جحد به وكفر، شهادة نرجو بها النجاة من نار لا تبقي ولا تذر.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله سيد البشر، وعلى آله وصحبه السادة الغرر، الذين جاهدوا في الله حقّ جهاده فما وهى عزم أحدهم ولا فتر.

عباد الله: اتقوا الله حق التقوى وراقبوه في السر والعلن وتمسكوا بما شرع الله لكم من الدين القويم، وأعلموا أن طاعة الله فيها السلامة والنجاة وفيها الرفعة والعزة وإياكم والمعاصي فإنها توجب اليم العقاب ووبيل العذاب.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

عباد الله: حل بساحتنا شهر ربيع الأول الذي يذكرنا بثلاث أشياء مهمة في تاريخ أُمتنا، ميلاد الحبيب محمد -ﷺ- وهجرته ووفاته عليه الصلاة السلام.

واحتراماً وحُباً و اتباعاً لنبي الهدى صاحب اللواء المعقود والمقام المحمود والحوض المورود سنقف وإياكم مع ميلاده -ﷺ-.

عباد الله: كما يعود فصل الربيع بعد مخاض الفصول، لينشر خيراته على الأكوان فتهتز له أعطاف الكائنات وتتنفس الصعداء، تعود ذكرى مولد الرسول لتهز أعماق أمة الإسلام وتذكي في قلبها الأمل وتجدد صلتها بهذا الرسول العظيم الذي عرفها ربها وخالقها وقادها إلى رحاب الإيمان.

أيها الناس: كان مولده -ﷺ- ثورة ضد الظلم والظالمين والفساد والمفسدين.

كان ميلاد النبي -ﷺ- ثورة زعزعت كيان الوثنية وهزت أركان الجاهلية.

ثورة حوّلت رعاة الغنم إلى قادة للأمم.

ثورة لم تستخدم العنف ولا القتل بل كانت سلمية شعارها: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥﴾[النحل: ١٢٥].

كانت حياته -ﷺ- حياة حافلة ما بين قول الله له: {اقرأ}، إلى قوله تعالى: {اليوم أكملت لكم دينكم}، عاش النبي صلى الله عليه وسلم حياة النبوة والرسالة.

كانت حياته عالم من العبادة: الصلاة، الصيام، الذكر، الجهاد.

كانت عالم من الزهد: في مسكنه.. في مطعمه.. في ملبسه.. وفي ميراثه.

وكانت حياته: عالم من المعجزات: حنين الجذع، الاستسقاء وخروج الماء من بين أصابعه، انشقاق القمر، الطعام يكلمه ويحذره وغيرها كثير.

وكانت حياته ﷺ: عالم من الأخلاق: في صبره، وتواضعه، وشجاعته، وكرمه.

تـراه إذا مـا جئـته متهلـــــلا ... كأنـك تعطيـه الـذي أنـت سائلـه

تعـود بسـط الكـف حتى لـو انـــه ... أراد انقباضـــا لم تطعـــه أنامـلـــه

ولـو لم يكـن في كفـه غـير روحـه ... لجـــاد بهـــا فليتـــق الله سائـلـــه

عباد الله: ذكرى المولد النبوي ليست مجرد مناسبة لمولد (إنسان عظيم) فحسب، بل إنها ذكرى (**مولد أمة**) فبولادته عليه الصلاة والسلام ولدت أمة العرب من جديد.. لتقود العالم وتنشر الفضيلة والعدل والسلام.. وتحارب الظلم والطغيان.. وترفع شعار الفاروق الخالد: «مَتَى أَسْتَعْبَدْتُمْ النَاسَ وَقَدْ وَلَدَتْهُمْ أُمَّهَاتُهُمْ أَحْرَاراً؟».

محمد -ﷺ- هو منة الله الكبرى على المؤمنين، ورحمته العظمى التي أرسلها للعالمين ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران:١٦٤].

هو دعوة أبيه إبراهيم حين قال: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ [البقرة:١٢٩].

وبشارة أخيه عيسى في قوله: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف:٦].

اصطفاه الله واختاره خيار، من خيار، كيف لا وهو القائل بأبي وأمي ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا فَخْرَ، وَبِيَدِي لِوَاءُ الْحَمْدِ وَلا فَخْرَ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ يَوْمَئِذٍ، آدَمُ فَمَنْ سِوَاهُ، إِلا تَحْتَ لِوَائِي، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ وَلا فَخْرَ» [رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح].

تعود الذكرى العطرة لتهز النفوس النائمة وتحرك الأجسام الخاملة، لتنتظم من جديد في صف العمل لنصرة هذا الدين، وبعث أمجاد المسلمين، ورفع راية التحدي بكل قوة وشموخ، ضد أعداء الإنسانية الذين ابتذلوها ومرّغوها في الأوحال.

عباد الله: اعلموا أن أعظم نعمة أنعم الله بها على أهل الأرض بعثة محمد -ﷺ-، بعثه على حين فترة من الرسل، فهدى به إلى أقوم الطرق وأوضح السبل وافترض على أهل الأرض طاعته، و جعله الله نوراً وسراجاً منيراً أنار الله به الأرض بعد ظلمتها وهدى الله به البشرية بعد حيرتها. . فكان النعمة العظمى والمنحة الكبرى التي تفضل الله بها على أهل الأرض.

لقد ولد -ﷺ- بمكة المشرفة عام الفيل في شهر ربيع الأول، وبعثه الله برسالته على رأس الأربعين من عمره، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده حتى أنزل الله عليه قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

محمد -ﷺ-: هذا الاسم الجميل الذي حمله ذاك اليتيم، يولد بعد إذ مات أبوه عبد الله، فيسميه جدّه بهذا الاسم، الذي لم تكن العرب من قبل تُسمّي به.

محمد -ﷺ-: هذا الاسم الذي يتردد صداه مع كل نداء أذان في صحراء جزيرة العرب، وفي أدغال إفريقيا، وفي ثلوج سيبيريا، وفي هضاب الصين، وبين ناطحات سحاب باريس ولندن، وعند شواطئ اندونيسيا، لهجاتهم كلهم تختلف، ولكنها تلتقي وتتقارب عند ذكر اسم محمد.

محمد -ﷺ-: هو الذي هدانا من ضلالة وعلّمنا من جهالة، وهذّبنا من سفالة.

محمد -ﷺ-: هو الذي وضع أمة العرب على خارطة الكون، وجعلهم قادة للبشر، بعد إذ كانوا رعاة للشاة وللبقر، وهو الذي وحّدهم من شتات وجمّعهم من فُرقة، ورفعهم من سقوط، وأعزّهم من ذلة.

محمد -ﷺ-: به وبه فقط دخل العرب التاريخ، وليس بأبي جهل ولا أبي لهب، وبالقرآن الذي أنزل عليه وليس بمعلقات طرفة بن العبد ولا عنترة بن شداد، وبمعارك المجد التي خاضها أصحابه لتحرير الإنسان بدر واليرموك، والقادسية وحطين وعين جالوت، وليس بيوم داحس والغبراء، وبراية التوحيد التي رفعها لا إله إلا الله وليس باللات ولا بالعُزّى.

محمد -ﷺ-: حمل اسمه الفضلاء والعلماء والقادة والصالحون، فهذا محمد بن مسلمة - فاتح الهند، وذلك محمد بن إدريس الشافعي - شيخ العلماء والفقهاء، وذاك محمد الفاتح - فاتح القسطنطينية وأوروبا الوسطى، بل إن من سيعيد للدنيا حلاوتها ويملأها عدلاً بعد إذ مُلئت جورًا في آخر الزمان - ولا أظنه بعيدًا - هو محمد بن عبد الله المهدي من ذرية محمد -ﷺ-.

محمد -ﷺ-: حرّر العرب من عبودية اللات والعزّى وعبودية البشر إلى عبودية رب البشر، وجعلهم لا يركعون ولا يحنون رؤوسهم إلا لله الواحد القهّار، كانوا أميين وعلى ضلالة، فعلمهم محمد ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة: ٢]، وكانوا في جاهلية مظلمة فأنار لهم محمد الطريق: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ [المائدة: ١٥].

عباد الله: بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما سمعتم واستغفر الله لي ولكم ولسائر المؤمنين فاستغفروه انه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وإخوانه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

عباد الله:

أيها المسلمون: ما كان ولن يكون يوم مولد محمد -ﷺ- يوم احتفالات وبهرج وإنما مولد محمد -ﷺ- هو يوم تجديد العهد والبيعة مع صاحب الذكرى، بالعمل والالتزام والسير الصادق على هديه ورسالته، حتى تعود للأمة أمجادها ومكارمها وهيبتها، وحتى تعود الإنسانية تسعد بتعاليم السماء التي نزل بها موسى وعيسى، وختمها محمد -ﷺ-.

فلا سعادة للفرد ولا حياة للمجتمع ولا عزة لهذه الأمة إلا بالتسليم لشرعه والاقتداء به .

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾ [النساء:٦٩]

وقال تعالى: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٦٣﴾ [النور:٦٣]

وقال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٥٤﴾ [النور:٥٤]

عباد الله، إن واجبنا تجاه هذه النعمة أن نشكر الله عليها، والشكر له أركان ثلاثة لا يتم إلا بها، وهي الاعتراف بها باطناً والتحدث بها ظاهراً والاستعانة بها على طاعة الله.

إن واجبنا تجاه هذه النعمة أن نشكر الله ﷻ ليس باللسان فقط، بل بالتمسك بها والجهاد في سبيلها والمحافظة عليها، وذلك باتباع رسول الله الكريم والاقتداء به وفعل ما أمر به وتقديم أوامره على كل أمر من أمورنا وأن نترك ما نهانا عنه امتثالاً لأمره.. وأن نحبه أكثر من أنفسنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا، لأن كل الخير في طاعته واتباع أمره ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء:٨٠].

رسولنا وحبيبنا علمنا أنَّ طريقة محبَّتنا لله لا تكون إلا بموافقةِ شريعة محمّد -ﷺ-: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]. علّمنا أنَّ أصل محبّته أصل الإيمان، وأنّ كمالها كمالُ الإيمان، يقول: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من نفسه وولده ووالده والنّاس أجمعين**» [صحيح البخاري ح (١٥)، صحيح مسلم ح (٤٤)].

علمَنا أنّ محبَّته تقتضي طاعةَ أمرِه، بأن نطيعه فيما أمرَنا به ونجتنب ما نهى عنه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٧﴾ [الحشر: ٧].

علّمنا أنَّ مِن كمال الإيمان به أن نقتدي به ونتأسَّى به، ونستنَّ بسنّته على وفق ما شرع، لا بأهوائنا ولا باستحساننا، بل نوافق شرعَه ونتَّبع سنته: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

عباد الله: إن من أحبَّ النبي محمد -ﷺ- واجبه أن يعمل بسنته المطهرة وأن ينشرها بين الناس.

إن واجب المسلمين اليوم حكومات وشعوباً بمناسبة ذكرى مولد النبي -ﷺ- أن يجددوا تأملهم في شخصية رسولهم وقدوتهم ويدرسوا سيرته ويتدبروا كلامه والقرآن الذي نزل عليه، وأن يتابعوا الطريقة التي بنى بها الأمة المسلمة، وأن يروا كيف ربى هذا النبي الكريم على تعاليم الإسلام جماعةً عاشت دهراً طويلا في أعماق الصحراء كانت منبوذة من بين الأمم، فإذا هي بالإسلام أرقى أمم الدنيا. وما ذاك إلا لأن سلف هذه الأمة جعلوا النبي قدوتهم في كلّ شيء ونبراساً لهم في كل طريق، فنصرهم الله على شياطينهم وعلى أهوائهم، فانتصروا بعد ذلك على أعدائهم.

إن الإيمان برسول الله وحبّه ليس مجرّد كلمات نردّدها ونتغنّى بها وننسج حوله القصائد والمدائح والأشعار ثم لا تتحوّل مقتضيات هذا الإيمان في حياتنا إلى واقع وسلوك.

أيها الإخوة في الله، لقد أخبرنا الله ﷻ في كتابه الكريم أنّ من رفع صوته فوق صوت النبي سيحبط عمله فقال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢﴾ [الحُجرات: ٢]

إن مجرّد رفع الصوت على رسول الله يحبط العمل، فكيف بالذين يخالفون أمره بل ويحاربون أتباعه ويسخَرون منهم ويغيّرون أنظمة حكمهم إرضاء لأعدائهم؟! فماذا سيقول هؤلاء الناس لرسولهم يوم القيامة؟ ! وبأي وجه سيقابلونه؟!

ولقد أخبر الرسول عن هذا الموقف الرهيب الذي سيُطرد فيه أُناس من أمته عن حوض الكوثر فقال: «**إني على الحوض أنظر من يرد عليّ منكم، وسيؤخذ ناس من دوني فأقول: يا رب، مني ومن أمتي! فيقال: هل شعرت ما عملوا بعدك؟! والله، ما برحوا يرجعون على أعقابهم**» [رواه البخاري ١١ / ٤١٥ في الرقاق، باب في الحوض، وفي الفتن، باب قول الله تعالى: {واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة}، ومسلم رقم (٢٢٩٣) في الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ].

اللهم إنا نعوذ بك أن نُفتَن في ديننا أو نردّ على أعقابنا، اللهم اجعلنا من جنود نبينا محمد، واجعلنا من أتباعه وممن يقتدون بسنته ولا يخالفون أمره، إنك أنت الرؤوف الرحيم.

هذا وصلوا – عباد الله: – على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال **تَعَالَى:**

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾

[سُورَةُ الأَحۡزَابِ: ٥٦]

اللهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين. . .

نهاية العام الهجري-محرم

نهاية العام الهجري-محرم

الحمد لله الواحد القهار، مُدبّر الأمور مصرف الأحوال، رب المشارق والمغارب العزيز الغفار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله المبعوث إلى الناس كافة بالهدى والرحمة والأنوار، اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه الأخيار.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[آل عمران: ١٠٢].

عباد الله: انقضت سنة من أعمارنا إذ لفظت السنة أنفاسها الأخيرة وطوت هذه السنة أعمارنا فيها؛ فما عُمل فيها من خيرٍ فقد دُوّن، وما عُمل فيها من شر فقد سُطِّر في كتابٍ لا يُغادر صغيرةٍ ولا كبيرة سُطّرت الشهور سُطّرت الأيام سُطّرت كذلك الساعات بل الدقائق والثواني نُسخت الأعمال نُسخ الخير والشر فهو في كتابٍ عند ربنا تعالى سيُعرض علينا يوم الدين وسننظر إلى السنة الماضية كأنها سنة حاضرة ولن نكون كحالنا الآن ناسين السنة الماضية غير متذكرين إلا القليل القليل غير ناظرين إلا إلى أعمالٍ قليلة لن يكون حالنا يوم القيامة كذلك بل سنتذكر السنة المنصرمة وكأنها ساعة جلسنا فيها بل كأنها سويعةٌ جلسنا فيها قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَهَا لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوۡ ضُحَىٰهَا ٤٦﴾[النازعات: ٤٦]، وقال تعالى أيضًا: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ كَأَن لَّمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيۡنَهُمۡۚ﴾ [يونس: ٤٥].

إي والله إي والله كأنها ساعة هذا هو العمر كله فكيف بسنة قد انصرمت وكيف بسنة قد ذهبت سمع أبو الدرداء رجلاً يسأل عن جنازة مرّت: من هذا، فقال أبو الدرداء: هذا أنت.

ولما سُئل أبو حازم: كيف القدوم على الله، قال: أما المطيع فكقدوم الغائب على أهله، وأما العاصي فكقدوم العبد الآبق على سيده.

فاجتهدوا أيها الأحبة من هذه اللحظة فإنما الأعمال بالخواتيم ولن ينفع: ﴿لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُ﴾[المؤمنون: ١٠٠]، كان يزيد الرقاشي يعظ نفسه كل ليلة عندما يجدها تكاسلت في الطاعة فيقول: «يا يزيد من ذا يصلي عنك بعد الموت، يا يزيد من ذا يصوم عنك بعد الموت، يا يزيد من ذا يتصدق عنك بعد الموت».

عباد الله: الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا.. هذه الدنيا مثل رجل نائم، رأى في منامه شيئا يكره وشيئا يحب، فبينما هو كذلك إذ انتبه واستيقظ من نومه، فهذه الدنيا من أولها إلى آخرها، إنما هي لحظات قصيرة زائلة وستصبح يوماً ما ذكريات وأخباراً يقال فيها: كان في يوم ما عالمٌ يُسمّى الدنيا، وكان فيها أُناس: فمنهم من ظنّها دائمة، فبناها، وزينها، وبالغ في إصلاحها، ثم تركها ومضى إلى عالم آخر، نادماً حين رأى الناس قد أخذوا مكانهم في الجنة وليس له فيها مكان، ومنهم وهم قلة من علم أنها زائلة غير باقية، وأنه فيها على سفر، والمسافر لا يحمل إلا ما خف وغلى، فاقتصد وتقلل منها وترك ما لا يحتاج، وعمل على تزيين داره في الجنة وبناء القصور بالعمل الصالح، فلما أتاها فإذا هي عامرة، وسُكّانها من الولدان والحور، ينتظرونه بفارغ الصبر، وقد هيئّت له، وتزينت، فحمد الله على الفوز والنجاة.

إن الزمان يجري سريعاً، وهذا من علامات الساعة كما جاء في الأثر: «ويتقارب الزمان»، فيصبح اليوم كنصف يوم، وكربع يوم، وكاحتراق سعفة النخيل، لاشك أن أيامنا هذه آخر الزمان، فأيامنا تجري بشكل غير معهود.

إنه ما من يوم ينشق فجره إلا وينادي ويقول: «يا ابن آدم أنا يومٌ جديد وعلى عملك شهيد؛ فاغتنمني بعملٍ صالح فإني لا أعود إلى يوم القيامة».

عباد الله: ونحن على أبواب نهاية عام هجري دعونا نتأمل ونقف وقفة محاسبة مع أنفسنا.

عبد الله هل تعلم أنك أمضيت في العام الماضي أكثر من ثلاثمائة وستين يوماً؟ ؛ أي أكثر من ثمانية آلاف ساعة، ثمانية آلاف خزانة املآها بما شئت حسنات أو سيئات خير أو شر ذكر أو غيبة أو نميمة. بعد انتهاء الساعة تُغلق ولا تُفتح إلا يوم القيامة.

عبد الله هل تعلم أنك أمضيت في العام الماضي أكثر من خمسمائة ألف دقيقة؟

أخي المسلم.. إن الدقيقة من الزمن يمكن أن تفعل فيها خيراً كثيراً، دقيقة واحدة يمكن أن تزيد في عمرك، في عطائك، في فهمك وفي حفظك وأيضاً في حسناتك... **دقيقة واحدة** تُكتب في صحيفة أعمالك إذا عرفت كيف تستثمرها وتحافظ عليها.. وفيما يلي مشاريع استثمارية تستطيع أن تنجزها في دقيقة واحدة بإذن الله تعالى:

في الدقيقة الواحدة تستطيع أن تقرأ سورة الفاتحة «٣» مرات سرداً وسراً، والحرف بحسنة والحسنة بعشر أمثالها.

في الدقيقة الواحدة تستطيع قراءة سورة الإخلاص «١٠» مرات سرداً وسراً وقراءتها مرة واحدة تعادل ثلث القران الكريم. . فإذا قرأتها «٣٠» مرة فهي تعادل كل القرآن «١٠» مرات.

في الدقيقة الواحدة تستطيع أن تقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير «١٠» مرة، أجرها كعتق «٣» رقاب في سبيل الله من ولد إسماعيل.

في الدقيقة الواحدة تستطيع أن تقول: سبحان الله وبحمده «٥٠» مرة ومن قالها في يوم مائة مرة غُفرت له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر.

في الدقيقة الواحدة تستطيع أن تقول: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم «٥٠» مرة، فهما كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن.

في الدقيقة الواحدة تستطيع أن تقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر «١٨» مرة، وهذه الكلمات أحب الكلام إلى الله وخير ما طلعت عليه الشمس.

في الدقيقة الواحدة تستطيع أن تقول: لا حول ولا قوة إلا بالله أكثر من «٤٠» مرة، وهي كنز من كنوز الجنة.

في الدقيقة الواحدة تستطيع أن تقول: لا إله إلا الله «٥٠» مرة وهي أعظم كلمة، وهي كلمة التوحيد أيضاً.

في الدقيقة الواحدة تستطيع أن تصلي على النبي محمد -ﷺ- «٥٠» مرة بصيغة -ﷺ- فيصلي عليك الله مقابلها «٥٠٠» مرة لأن الصلاة الواحدة بعشرة أمثالها.

في الدقيقة الواحدة تستطيع أن تصل رحمك عبر الهاتف، تقدم نصيحة لإخوانك، تصافح عدداً من الأشخاص، تشفع شفاعة حسنة وان تقرأ أكثر من صفحتين في كتاب مفيد يسير الفهم.

عبد الله هل تعلم أن قلبك قد نبض في العام المنصرم نحو أربعين مليون نبضة بانتظام لا مثيل له ودقة متناهية، فمن ذا الذي صانه ومن ذا الذي حفظه حتى أدى تلك المهمة؟ إنه الله.

فهل تضمن أن تؤدى المهمة في العام القادم بنفس الكفاءة والأداء؟ أم أنه قد يتوقف وتتوقف الحياة؟ بعد الصحة سقم وبعد الحياة موت فهل أعددت للحظة التوقف تلك أخر لحظة في حياتك والتي قد تكون في أي لحظة؟

عبد الله هل تعلم أنك قد شهقت في العام المنتهي نحو أحد عشر مليون شهقة، وزفرت مثلها؛ في كل واحدة منها أخذت من الهواء أوكسجينه النافع الذي أودعه الله به، و أخرجت إليه كل ضار، ولم يتوقف التنفس لحظة واحدة، ولم تضطرب عملياته المنظمة الموقوتة، ولو حدث هذا لا قدر الله لتوقف المخ، والسمع، والبصر، والكلام، والعلم، ثم قد يتوقف القلب، وتنتهي الحياة؟ ألا يستحق الخالق منك ثناءً وشكراً وحمداً وتهليلاً.

عبد الله من ذا الذي منَّ عليك براحة التنفس بينما هناك الكثير يعاني من ضيق النفس؟ إنه الله المنعم المتفضل، فهل شكرت يا عبد الله تلك النعمة العظيمة؟

عبد الله كم أكلت طوال العام ولم يتوقف الجهاز الهضمي وما طلب منك راحة، وما أمتنع عن الأكل، من عافاه؟ من حفظه؟ إنه الله. . فهلا حمدت الله وسجدت له شكراً على هذه النعم وهذه الأجهزة المسخرة لخدمتك. . بلا صيانة ولا توقف ولا كلل؟

عبد الله لقد حصلت في العام الماضي على آلاف الريالات -كلٌ حسب دخله -فبالله عليك كم ريالاً أنفقته في سبيل الهوى؟ وكم للشهوات والملذات؟ وكم إرضاء للزوجة والأولاد، وكم لمسايرة متطلبات العصر؟ ثم كم أنفقت لله ورسوله -ﷺ-؟ ليعُد كلٌ منا إلى بيته وليمسك ورقة وقلم وليحسب ثم لينظر النتيجة.

عبد الله.. لن يبقى لك إلا ما أنفقته لله ورسوله؛ فهذا حبيبنا ورسولنا -ﷺ- يذبح شاة ويُتصدقُ بها ثم يسأل زوجته في تربية بديعة لها: «**ما بقي منها؟**» قالت: ما بقي منها إلا كتفها، فقال: «**بقي كلّها غير كتفها**»[أخرجه الترمذي في صفة القيامة «٢٤٧٢» وقال: "هذا حديث صحيح"]، **أي**: الذي أنفقوه هو الباقي لهم عند الله تعالى، كما قال الله تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾الآية [النحل: ٩٦].

فلله در الرعيل الأول الذين فقهوا قوله -ﷺ- حين قرأ قوله تعالى: ألهاكم التكاثر، ثم قال: « **يقول ابن آدم: مالي. . . مالي، وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت**» [رواه مسلم].

عبد الله: أظلنا شهرٌ عظيم مبارك هو شهر الله المحرم أول شهور السنة الهجرية، وأحد الأشهر الحرم التي قال الله فيها: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [التوبة: ٣٦].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ اختص من ذلك أربعة أشهر فجعلهن حراماً وعظّم حرماتهن، وجعل الذنب فيهن أعظم والعمل الصالح والأجر أعظم. وعن أبي بكرة -رضي الله عنه- عن النبي -ﷺ- قال: «**السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ**»[رواه البخاري]، وكانوا يسمون شهر المحرم شهر الله الأصم لشدة تحريمه. [اللطائف: ٨٣].

وقال أبو عثمان النهدي: «كانوا يعظمون ثلاث عشرات: العشر الأخير من رمضان والعشر الأول من ذي الحجة والعشر الأول من المحرم». [اللطائف: ٨٤].

وقال قتادة: «إن الفجر الذي أقسم الله به في أول سورة الفجر هو فجر أول يوم من المحرم تنفجر منه السَنة». [فتح القدير: ٥/ ٤٢٩].

ومن فضائل شهر المحرم أنه يُستحب الإكثار من صيام النافلة في شهر محرّم، ففي الحديث يقول -ﷺ-: «أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللهِ الْمُحَرَّمُ» [رواه مسلم]، وقوله -ﷺ-: «شهر الله» من باب إضافة التعظيم، وأفضل أيامه اليوم العاشر، فقد صامه النبي -ﷺ- وأمر بصيامه، ففي الصحيحين وغيرهما عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَدِمَ النَّبِيُّ -ﷺ- الْمَدِينَةَ، فَرَأَى الْيَهُودَ تَصُومُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ فَقَالَ: «مَا هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا يَوْمٌ صَالِحٌ، هَذَا يَوْمٌ نَجَّى اللهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ عَدُوِّهِمْ، فَصَامَهُ مُوسَى [شكراً لله تعالى]، قَالَ: فَنحن أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ، ونحن نصومه تعظيماً له، فَصَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ».

صيام عاشوراء يكفر سنة قال النبي -ﷺ-: «صيام يوم عاشوراء، إني أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله» [رواه مسلم]. فيا له من فضل عظيم لا يفوِّته إلا محروم، فصيام يوم واحد لا يتجاوز خمس عشرة ساعة يكفر الله به خطايا عام كامل، وهذا من رحمة الله تعالى بنا ولطفه؛ ولكن صيام عاشوراء ماذا يكفّر؟ قال أهل العلم: إنه يكّفر الذنوب الصغائر فقط، أما الكبائر فلا تكفرها إلا التوبة النصوح وقبولها، كما أشار إلى ذلك العلماء المحققون كالنووي وابن تيمية رحمهما الله.

هل يجوز إفراد عاشوراء بالصيام حتى وإن كان يوم جمعة أو سبت؟

يقول أهل العلم: لا مانع من ذلك، وإن كان الأولى صيام يوم قبله أو يوم بعده، كما حكاه شيخ الإسلام ابن تيمية مخالفة اليهود والتميز عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله -ﷺ-: «لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع مع العاشر يعني عاشوراء» [رواه مسلم].

وفي صحيح مسلم أيضاً قال -ﷺ-: «خالفوا اليهود، صوموا يومًا قبله أو يومًا بعده». الرسول -ﷺ- يريد لنا الرفعة عن مشابهة الكفار، ويريد لنا العزة، ويريد لنا التميز، فلماذا نستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير؟! نحن أُمّة مرفوعة، فلم نكون خاضعين؟! نحن أُمة متبوعة، فلم نكون تابعين؟! وديننا يأمرنا بالتميّز في سلوكنا ومظاهرنا وفي عباداتنا، وأن تكون لنا ـ نحن المسلمين ـ الشخصية المتميزة المبنية على الشعور بالعزة الإيمانية.

ذكر بعض الفقهاء أن صيام عاشوراء ثلاث مراتب: المرتبة الأولى صوم التاسع والعاشر والحادي عشر، المرتبة الثانية صوم التاسع والعاشر، أما المرتبة الثالثة صوم العاشر وحده. [زاد المعاد: ٢/ ٧٦]، وكلما كثُر الصيام في محرم كان أفضل وأطيب.

أخلاق المسلم تزود من الخيرات واغتنم هذه الأيام لتقدم لنفسك زاداً تجده غداً أمامك، فمن يعمل مثقال ذرةٍ خيراً يره.

تـزوّد مـن الـدنيا فإنـك لا تـدري إذا جنَّ عليك الليل هل تعيش إلى الفجر

يوم عاشوراء يوم النصر للحق وأهله في غمرة الشعور باليأس والإحباط الذي أصاب المسلمين اليوم من جراء تتابع النكبات والشدائد، يأتي يوم عاشوراء ليُذكِّر الأمة أنه لا تقف أمام قوة الله أي قوة، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وأنه إذا أراد شيئًا فإنما يقول له: كن فيكون.

عباد الله: بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما سمعتم واستغفر الله لي ولكم ولسائر المؤمنين فاستغفروه انه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمدلله وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وإخوانه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

عباد الله: شهر الله المحرم شهر نصرٍ وعزٍ لنبي الله موسى -عليه السلام- وقومه على فرعون الطاغية المتجبر على رغم كثرة عددهم وعدتهم وخيلائهم، فإن الله تعالى يُملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، وبإحياء ذكرى ذلك النصر المجيد، على ذلك الطاغية الكبير، نعلن أن الدعوات لا تهزم بالأذى والحرب والاضطهاد، و عاقبة الظلم وخيمة، والله ناصر دينه وكتابه وأوليائه، و العاقبة للمتقين والنصر حليفهم متى ما تمسكوا بدينهم، واستنزلوا النصر من ربهم، قال تعالى: ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ١٠﴾ [الأنفال: ١٠]وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ٥١﴾ [غافر: ٥١]

يوم عاشوراء اليوم الذي قال فيه موسى لقومه لما قالوا له وهم يرون فرعون وجنوده خلفهم: ﴿إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ٦١﴾[الشعراء: ٦١]، قال موسى بلغة المؤمن الواثق من وعد الله: ﴿قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ٦٢﴾[الشعراء: ٦٢]، إنه فضل وأهمية التوحيد والاستسلام في الملمات وتفويض الأمر إلى الله وحده، فمهما حمل لنا العدو من دبابات وقاصفات ومدمرات فإن الله معنا يسمع ويرى ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء قال تعالى: ﴿فَلَا تَعۡجَلۡ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمۡ عَدّٗا ٨٤﴾[مريم: ٨٤] ، **يوم عاشوراء** اليوم الذي قال فيه فرعون المتجبر المتكبر المتألّه، لما أيقن بالهلاك: ﴿قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٩٠﴾[يونس: ٩٠].

فردّ الله عليه هذا الإيمان الاضطراري وهذه الدعوى الكاذبة فقال عز من قائل:

﴿ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٩١﴾[يونس: ٩١].

﴿فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ٩٢﴾[يونس: ٩٢]

يوم عاشوراء حُق لكل مؤمن أن يعرف قدره ومقداره، وأن يتيقن فيه من سنة الله الكونية في نُصرة أوليائه الذين ينافحون عن دينه ودحر أعدائه الذين يعارضون شرعه في كل زمان ومكان.

يوم عاشوراء فيه رسالة أن الباطل مهما انتفخ وانتفش وتجبر وتغطرس وظن أنه لا يمكن لأحد أن ينازعه أو يرد كيده وباطله أو يهزم جنده وجحافله فإن مصيره إلى الهلاك وعاقبته هي الذلة والهوان، فهذا فرعون الطاغية بلغ به التكبر والغرور أن يدّعي الألوهية، وأن يعلن للناس بكل جرأة وصفاقة: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨]، وأن يقول بملء فيه من غير حياءٍ ولا خجل: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات: ٢٤]، ولكنه حين حل به العذاب لم يُغن عنه ملكه وسلطانه، ولا جنده وأعوانه، ولا تبجحه وادعاؤه، ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾﴾ [النازعات: ٢٥]

العاشر من محرم يُذَكِّرُنَا بِهِجرَةِ المُصطَفَى -ﷺ- مِن مَكَّةَ إِلى المَدِينَةِ وَبَدءِ ظُهُورِ الدَّعوَةِ الإِسلامِيَّةِ وَانتِصَارِ الإِسلامِ وَانتِشَارِه. و علينا كمسلمين أن نشكر الله على ما يسره لنا من هذا الحساب البسيط الميسر في معرفة التاريخ اليومي الذي يبدأ من الهجرة (هجرة النبي -ﷺ- من مكة إلى المدينة) وأن علينا جميعاً أن نكون أمةً متميزة بتاريخها و أخلاقها ورأيها ومعاملاتها عن سائر الأمم الكافرة. استشهاد سيد شباب أهل الجنة

من المفارقات العجيبة ما حصل في هذا اليوم المبارك أيضًا من قُتل سيّد شباب أهل الجنة الحسين بن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- وعن أبيه وأمه وآل بيته، حيث قُتل في فتنة عظيمة بين فئتين من المسلمين، وهي فتنة طهّر الله منها أيدينا فلا نخوض فيها بألسنتنا، إن كل مسلم ينبغي أن يحزنه مقتل الحسين أو حتى غير الحسين من عامة المسلمين فكيف إذا كان من أهل الفضل والمكانة، وكيف إذا كان من قرابة رسول الله -ﷺ-، فإنه -رضي الله عنه- من سادات المسلمين وعلماء الصحابة وابن بنت رسول الله -ﷺ- وكان عابداً شجاعاً سخياً.

ما ينبغي التنبيه إليهما ينبغي التنبيه إليه هو أن ما يفعله بعض المسلمين في هذا اليوم من البكاء والنواح على قتل الحسين -رضي الله عنه-، وما يقومون به من تعذيب أنفسهم وإسالة الدماء من وجوههم وصدورهم وظهورهم والتقرب إلى الله بضرب أبدانهم بالسلاسل والسكاكين ولطم خدودهم ونتف شعورهم ليس من الإسلام في شيء، وهو من البدع المحدثة والمنكرات الظاهرة ومن كبائر الذنوب التي تبرأ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من مرتكبيها فقال: -صلى الله عليه وسلم- «**ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية**» [متفق عليه]، فكل عمل يدل على الجزع والتسخط وعدم الرضا بقدر الله فإنه محرم.

تشويه صورة الإسلام وتنفير غير المسلمين يضاف إلى هذه الأعمال البدعية المؤذية للأبدان من حماقة وسفاهة وتشويه لصورة الإسلام وتنفير لغير المسلمين من الدخول فيه، وقد رأينا بعض وسائل الإعلام العالمية المعادية تحرص على نشر هذه الأعمال البدعية بالصوت والصورة، زاعمة بأن هذا هو الإسلام فمن كان مشتاق إلى الضرب فليدخل في هذا الدين على حد زعمهم.

أسأل الله أن يغفر ذنوبنا وأن يستر عيوبنا وأن يقوي إيماننا، هذا وصلوا وسلموا على البشير النذير والسراج المنير، محمد المصطفى الأمين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا.

وداع الحبيبين: رسول الله و رمضان

وداع الحبيبين: رسول الله - رمضان

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعونه تُنال المنى وتُبلغ الغايات، حمداً طيباً مباركاً فيه ملء الأرض وملء السماوات. له الحمد كما ينبغي لوجهه وعظيم سلطانه، وله الشكر على جزيل كرمه، ووافر امتنانه.

وأشهد أن لا إله إلا الله الحي القيوم الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون، الذي لا يزال على العرش مستويا، وفي الوجود حيا باقيا، لا يزول ولا يحول، وخلقه في تحول وزوال: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص: ٨٨].

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، خاتم الأنبياء والمرسلين، وإمام الأصفياء والمتقين، من عبد ربه حتى أتاه اليقين، فصلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فاتقوا الله – عباد الله – وداوموا عليها في كل زمان ومكان، كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

أيها الصائمون، اعلموا – رحمني الله وإياكم – أن الدهر يمضي ولا يعود، وأن أيامه تجري تباعاً بلا سكون، حلوها ومُرُّها، وخيرها وشرها، والحياة مهلة واحدة لا تتكرر، والفرص متحولة لا ترجع، والآجال خطّافة، لا تريث ولا تمهل.

يركض الزمان بالإنسان لينقله من مكانه الموقوت حتى يستقر في موطنه الخالد: إما الجنة وإما النار، ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾ [الشورى:٧].

لكل شيء إذا ما تم نقصان ❊❊❊ فلا يُغرّ بطيب العيش إنسان

وهذه الدار لا تبقي على أحد ❊❊❊ ولا يدوم على حال لها شان

عباد الله، لقد دنت ساعات الرحيل، وبدت أمارات التوديع من الضيف الكريم.

فبينا قبل أيام قلائل نستقبله بشوق وتلهف، إذا بنا نودعه بحزن وتأسف. نعم، نودعه بالحزن على تلاوته وصيامه، وسخائه وقيامه.

فوا أسفاه على تلك الرياض النضرة، والنسائم العطرة؛ فالمسرة لا تدوم وهذه سنة الله، الذي أخبرنا عن رمضان وقال: ﴿ أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ﴾.

عباد الله: لقد علّمنا رمضان أن الإنسان ضعيف مهما كان قوياً؛ ففقدُ اللقمة والشربة يُنهكه، وتضييق مجال الشهوة قد يتعبه، فهو فقير الحاجات، فلماذا تستغني عن ربك يا ابن ادم، وأنت فقير إليه! ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾[فاطر:١٥]

رمضان أظهر لنا جانباً من جوانب رحمة الخالق الرازق بعباده حيث هيأ لهم الطعام والشراب الذي يحفظ بقاءهم، ويجدون فيه لذتهم وراحتهم، مذكراً لنا- ونحن نتقلب في هذه النعمة - أقواماً لا يجدون ما نجد، حتى أصبح الجوع والحاجة شعارهم ودثارهم طوال العام.

وعلمنا معلمنا الحبيب رمضان أن السعادة الحقيقية هي سعادة الروح لا سعادة البدن، ومن ظن السعادة بظاهر الحياة ولذائذها الحسية فظنه كاذب ففي رمضان تتجلى السعادة الروحية في صيام صادق، ومناجاة خاشعة، وتلاوة متدبرة، وكف سخية في دروب البر.

وعلمنا رمضان أن النفس لا تصلح إلا بكبح جماحها، ومنعها أهواءها، وحبسها عن طيشها، وعدم مجاراتها في شهواتها.

وأنك مهما تعط نفسك سؤلها تمنت وتاقت إلى كل مطلب، ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾[الشمس:١٠].

وآهٍ من المسلمين حينما لم يتعلموا من رمضان الاتحاد وجمع الكلمة-وهو يجمعهم بالصيام في شهر واحد في العام-؛ لينهضوا من كبوتهم؛ ويصلحوا بذلك دينهم ودنياهم، ويتركون التناحر والتدابر والتفرق والتمزق ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا﴾[آل عمران:١٠٣].

أيها الأحبة الصائمون، يوشك البساط أن يُطوى، والحبيب أن يفارق فراق وامق.

رمضان إن العين لتدمع، وإن القلب ليحزن، وإنا على فراقك يا رمضان لمحزونون، وإنا لله وإنا إليه راجعون، وداعاً يا شهر الصيام، والله ما ندري كم واحداً منا ستأكلهم الأرض بين رمضان هذا ورمضان القادم، اللهم إن كنت تعلم أن لنا بقية من العمر فاعده علينا أعواماً عديدة، أعده علينا ونحن في صحةٍ وعافية فوفقنا لما فيه رضاك يا رب العالمين، وإن كنت تعلم أننا سنقضي رمضان القادم في الدار الآخرة فتقبل منا الصيام والقيام وأحسن لنا الختام.

أخي المسلم: ونحن في اللحظات الأخيرة من شهر رمضان.

نتذكر أن العمر فرصة لا تُمنح للإنسان إلا مرة واحدة، فإذا ما ذهبت هذه الفرصة وولّت، فهيهات أن تعود مرة أخرى، ولن يؤخر الله نفسا.

لكل بداية نهاية ولكل حي موت، وما مرور الشهور والأعوام والليالي والأيام إلا تذكرة بنهاية الآجال والقدوم على الكبير المتعال. وما تدري نفس ماذا حتى رسول الله غادر هذه الدنيا، نعم وفي وداع الحبيب رمضان نتذكر، وداع الحبيب محمد عليه الصلاة والسلام.

بدأ المرض برسول الله -ﷺ- في أواخر شهر صفر، وكانت مدة مرضه ثلاثة عشر يوماً أو قريباً من ذلك. . وفي مرضه اشتدت عليه الحمى، و لما ثقل النبي -ﷺ- جعل يتغشاه الكرب، قالت فاطمة ل: واكرب أبتاه! فقال لها: «لا كرب على أبيك بعد اليوم».

ودخل رسول الله عند عائشة وهو يقول لا إله إلا الله، إن للموت سكرات، والمسجد كان مليئاً وأصوات الناس ترتفع بالبكاء خوفاً على رسول الله، فيقول ما هذه الأصوات! قالت صوت الناس بالمسجد خائفون عليك، قال صُبّوا عليّ ماءاً، وصبّوا عليه سبعة قِرَب من شدة الألم والمرض.

وحملوه إلى المنبر، وصعد على المنبر -ﷺ-، وقال يا أيها الناس: «بلغني أنكم خائفون عليّ، أيها الناس موعدي معكم ليس هنا بالدنيا، إنما موعدكم معيَ عند الحَوض، والله ل كأنّي أنظر إليه من مقامي هذا، والله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تُفتّح عليكم كما فُتّحت على من كان قبلكم ، فتهلككم كما أهلكتهم، وإن عبداً خيّره الله بين الدنيا وبين أن يلقى الله ف أختار الرفيق الأعلى »،

فما فهم الصحابة شيئاً من كلامه، إلا أبا بكر فهم أن المخير هو رسول الله ، فقام أبو بكر والرسول يخطب وقال: بأبي وأمي، بل نفديك بأموالنا وأنفسنا وأولادنا يا رسول الله. . . ثم قال-ﷺ-: «أيها الناس، من أخذت من ماله فهذا مالي، ومن جلدتُ ظهره فهذا ظهري، ومن مسستُ عرضه فهذا عرضي»، يا الله رسول الله حبيب الله لا يريد أن يلقى الله وفي عنقه حق لمخلوق لأن الذنوب بينك وبين الله. قد يغفرها الله لك في ساعة خشوع ودموع وركوع أما ما بينك وبين المخلوقين فلا يغفرها الله لك حتى يعفو عنك المخلوق. صلى الله على رسول الله، ثم قال رسول الله-ﷺ- :« أيها الناس: الله الله في لصلاة، الله الله في بالصلاة قال الله الله في صلة ارحامكم، الله الله في نسائكم، أوصيكم بالنساء خيراً، أوصيكم بالأنصار خيراً، ثم رفع يده ويدعو؛ آواكم الله، نصركم الله، حفظكم الله، أيدكم الله، ثبتكم الله، رفعكم الله»

ثم دخل النبي -ﷺ- بيت عائشة-رضي الله عنها- و في ، يوم الاثنين، فتح الستار، ورأى الناس يصلون، فتبسم-ﷺ-، ثم أشار أن صلوا، وأغلق الستار، فإذا بجبريل عند بابه. . تقول عائشة-: استأذن جبريل أن يدخل عليه، وقال السلام عليك يا رسول الله، فردّ عليه السلام، ثم قال إن ملك الموت يستأذنك للدخول عليك، يقول أذنتُ له، تقول عائشة رضي الله عنها : فعلمتُ أنه يُخَيّر، دخل عليه ملك الموت فسلّم، قال السلام عليك يا محمد، إن الله بعثني إليك وقال لي خيّره بأن يعيش أو أن يموت الآن و يلقى الرفيق الأعلى، وقالت عائشة سمعته يقول بل بالرفيق الأعلى، بل بالرفيق الأعلى، وقلتُ والله لا يختارنا، والله لا يختارنا.

تقول عائشة؛ فرفع يده يشير بسبابته " لا إله إلا الله، لا إله إلا الله " إن للموت سكرات، فسقطت يده، وثقُل رأسه على صدري، فعلمتُ أنه قد مات!

تقول فقمتُ، ففتحتُ الباب، فصرختُ في المسجد، مات رسول الله، مات رسول الله .

فضجّ الناس بالبكاء، وأقبلوا إلى بابه، ولما تُوفي رسول الله -ﷺ- اضطرب المسلمون؛ فمنهم من دُهش؛ ومنهم من أُقعد فلم يطق القيام؛ ومنهم من أعتقل لسانه فلم يطق الكلام، ومنهم من أنكر موته بالكلية من شدة وجده عليه.

بلغ أبا بكر الصديق -رضي الله عنه- الخبر، فأقبل مسرعاً حتى دخل بيت عائشة ل ورسول الله -ﷺ- مسجى، فكشف أبو بكر عن وجه رسول الله -ﷺ- وأكب عليه، وقبل وجهه مراراً وهو يبكي، ويقول: وانبياه! واخليلاه! واصفياه! .

إنا لله وإنا إليه راجعون، مات رسول الله.

دخل أبو بكر المسجد، وعمر يكلم الناس، وهم مجتمعون عنده، وهو يقول من شدة وجده على النبي -ﷺ-: إن محمداً لم يمت. فتكلم أبو بكر، فأقبل الناس إليه، وتركوا عمر. فقال: «من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله، فإن الله حي لا يموت»، وتلا: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَّ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُّ الشَّاكِرِينَ ﴾[آل عمران:١٤٤]

فاستيقن الناس بموت النبي -ﷺ- وكأنهم لم يسمعوا هذه الآية من قبل، فتلقاها الناس، وجعلوا يتلونها.

ودخلت فاطمة والصحابة يضعون التراب على الرسول، قالت: " واكرباه، وا أبتاه، إلى جبريل ننعاه، وفي جنة الفردوس مأواه.

عباد الله: من كان يعبد رمضان فإن رمضان قد ولى، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت بئس العبد لا يعرف الله إلا في رمضان.

عباد الله: رمضان سينطلق وهو يحمل معه شهادات بالفوز والرضوان موقعة من لسان الصادق الأمين ونصها: « من صام رمضان وقامه إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه».

وفي الوقت ذاته يحمل صكوك الخسارة والحرمان مذيلة بتوقيع الروح الأمين ومهورة بتأمين المصطفى الأمين -ﷺ- ونصها: « من أدرك رمضان فلم يغفر له فأبعده الله قل آمين فقال المصطفى آمين».

رمضان سوق قام ثم انفض، ربح فيه من ربح، وخسر فيه من خسر.

يا من صام لسانه في رمضان عن الغيبة والنميمة والكذب واصل مسيرتك، ويا من صامت عينهُ في رمضان عن النظر المحرم غُض طرفك ما بقيت يورث الله قلبك حلاوة الإيمان ما حييت.

ويا من صامت أذنه في رمضان عن سماع الحرام من غيبة، أو نميمة، أو غناء، أو لهو، اتق الله ولا تعد، اتق الله ولا تعد.

و يا من صام بطنه في رمضان عن الطعام، وعن أكل الحرام اترك الحرام ما حييت.

عباد الله: اعلموا أن من علامة قبول الطاعة الطاعة بعدها الله الله في الاستقامة والاستمرار على طاعة الله.

عباد الله: إن كان الصوم المفروض قد انقضى- فإن من نافلة الصوم صيام ست من شوال ففي صحيح مسلم عن النبي -ﷺ- قال : « من صام رمضان ثم اتبعه بست من شوال كان كصيام الدهر ».

عباد الله: لا تنسوا زكاة الفطر فهي طُهرة للصائم وطعمة للمساكين وتقوية لروابط الأخوة بين المسلمين فعن عبدالله بن عمر م قال: « فرض رسول الله زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين، من أدَّاها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أدَّاها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات » [صحيح، أخرجه أبو داود: كتاب الزكاة - باب زكاة الفطر، حديث (١٦٠٩)، وابن ماجه: كتاب الزكاة - باب صدقة الفطر، حديث (١٨٢٧)).].

أخرجوها طعاماً بما وزنه (٥ , ٢) كيلوا من الأرز؛ لأنه قوت الناس هنا، أو دقيق، أو اخرجوا قيمة ذلك إن علمتم أن مصلحة الفقير تقتضي ذلك؛ فقد قال رسول الله -ﷺ-

« اغنوهم في هذا اليوم »

عباد الله: يوم العيد يوم فرحة وسرور ادخلوا هذه الفرحة على أهليكم وذويكم.

يوم العيد يوم التواضع والتسامح والعفو والإخاء.

يوم العيد يوم صلة الأرحام التي من وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله.

اللهم لك الحمد أن بلغتنا شهر رمضان، اللهم تقبل منا الصيام والقيام، وأحسن لنا الختام، اللهم اجبر كسرنا على فراق شهرنا، وأعده علينا أعواماً عديدة وأزمنة مديدة، واجعله شاهداً لنا لا علينا، اللهم اجعلنا فيه من عتقائك من النار، واجعلنا فيه من المقبولين الفائزين. هذا وصلوا وسلموا على البشير النذير والسراج المنير، محمد المصطفى الأمين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا.

خطبة
عيد الفطر

خطبة عيد الفطر

اللهم لك الحمد كله و لك الشكر كله و إليك يرجع الأمر كله علانيته و سره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

اللهم ارض عنا في هذا اليوم واجعلنا من الفائزين يارب العالمين. اللهم اجعلنا ممن قبلت صيامهم وقيامهم، وغفرت لهم زلاَّتهم وآثامهم.

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الأمين صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، الله أكبر «تسعاً»

أيها المسلمون: أوصيكم ونفسي بتقوى الله ومن معاني تقوى الله الثبات على الطاعة والاستقامة على طاعة الله حتى الممات.

عباد الله: من كان يعبد رمضان فان رمضان قد فات ومن كان يعبد الله فان الله حيٌّ لا يموت، استمروا على طاعة ربكم واثبتوا على عبادته.

عباد الله: إن الإسلام دينٌ شامل كامل لكل شؤون و الحياة يريد المسلم الصالح في بيته وفي سلوكه وفي عمله.

ومن علامة حب الله للعبد الفقه في الدين قال -ﷺ-: « **من يُرد الله به خيراً يفقهه في الدين**» [رواه البخاري رقم (٣١١٦)، الجهاد، باب قول الله تعالى فإن لله خمسه وللرسول، ومسلم رقم (١٠٢٧)، في الإمارة، باب فضل الرمي].

ومن الفقه فقه الأولويات: أن يفقه المسلم أنّ هناك مهم وهناك أهم.

عباد الله: ألا وإن من فقه الأولويات تقديم العمل المتعدّي على العمل القاصر، تقديم الأكثر نفعًا على غيره، قال تعالى: ﴿ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [التوبة: ١٩، ٢٠].

وقال -ﷺ-: «**خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه**»[رواه البخاري]، وقال: «**ذهب المفطرون بالأجر**» [متفق عليه]، وقال -ﷺ-: «**أحب الناس إلى الله أنفعهم، وأحب الأعمال إلى الله ﷻ سرورٌ تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينًا، أو تطرد عنه جوعًا، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إليّ من أن أعتكف في المسجد شهرًا**»[رواه الطبراني في الكبير وهو في السلسلة الصحيحة (٩٠٦)].

وهكذا كان كل عملٍ يتعلق بإصلاح المجتمع ونفعه أفضل من العمل المقصور النفع على صاحبه، قال -ﷺ- : «**ألا أُخبركم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة؟ إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة**»[أخرجه أحمد (٦/ ٤٤٤)، والترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع - باب حدثنا هناد. . . حديث (٢٥٠٩)، وقال: حديث صحيح].

هناك مفضول وهناك فاضل، هناك فرض وهناك سنة، وهناك أعمال أحب إلى الله تعالى.

ففي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: سألت النبي -ﷺ- أي العمل أحب إلى الله تعالى قال: «**الصلاة على وقتها قلت: ثم أي؟ قال: بر الوالدين. قلت: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله**».

والنفقة تختلف فهناك درهم سبق ألف درهم.

عجيب من الناس من ينفق الألاف في الصدقة وينسى أقرب الناس إليه، أو ينفق آلاف في أكلٍ وشرب ولا ينفق درهم في سبيل الله.

يقول -ﷺ-: «**يقول ابن آدم: مالي. مالي قال: وهل لك يا بن آدم إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت**» [أخرجه مسلم (٤ / ٢٢٧٣) رقم (٢٩٥٨)].

هناك من يحرص على الخشوع والبكاء في صلاة القيام مع أنه قبل أن يأتي إلى المسجد أبكى أبيه من العقوق والظلم.

هناك من يحرص على الخشوع والبكاء في القيام مع أنه قد أبكى زوجته من الظلم.

هناك من يتحرز عن النجاسات ولا يتحرز لسانه عن سب وشتم وغيبة المسلمين.

هناك من يتطهر لباساً ونظافة ولا يتطهر من أكل الحرام.

روي أن أحد الصالحين زار أحد التجار في تجارته فجلس عنده ساعة، فإذا به يغش في بيعه وشراءه، ويكثر من الأيمان والحلف لبيع سلعته، وإذا بالتاجر يلتفت إليه قائلاً: لعلك تعجبت من بيعي وشرائي؟ لا تخف فأنا إذا خيّم الليل وأرخى سدوله أقف بين يدي الله مصلياً اغسل كل ذنوبي في البيع والشراء، فقال له ذاك الرجل الصالح: «**ما مثلك إلا مثل رجل في يديه نجاسة وأراد غسلها فذهب إلى نهر وانزل رجليه إلى النهر ليغسل يديه، فهل سيغسل يديه ورجليه في الماء؟ لا والله حتى لو ظل إلى يوم القيامة، ستظل النجاسة في اليد، وهكذا أنت فلا بد من التوبة من الغش والأكل الحرام**"، هناك من يحج ويعتمر كل عام ونسي أن الأفضل من ذلك إطعام المساكين والفقراء من المسلمين.

خرج عبد الله بن المبارك -رحمه الله- مرة إلى الحج، فاجتاز ببعض البلاد، فمات طائر معهم فأمر بإلقائه على مزبلة هناك، وسار أصحابه أمامه وتخلّف هو وراءهم، فلما مر بالمزبلة، إذا جارية قد خرجت من دار قريبة منها، فأخذت ذلك الطائر الميت، ثم لفته، ثم أسرعت به إلى الدار، فجاء فسألها عن أمرها وأخذها الميتة، فقالت: أنا وأخي هنا ليس لنا شيء إلا هذا الإزار، وليس لنا قوت إلا ما يلقى على هذه المزبلة، وقد حلّت لنا الميتة منذ أيام، وكان أبونا له مال فظُلم وأُخذ ماله وقُتل، فأمر ابن المبارك برد الأحمال، وقال لوكيله: كم معك من النفقة؟ قال: ألف دينار، فقال: عد منها عشرين ديناراً تكفينا إلى مرو وأعطها الباقي، فهذا أفضل من حجنا في هذا العام ثم رجع.

هناك من يبكي لحال المسلمين في فلسطين وغيرها البكاء أمرٌ طيب لكن الأولى والأفضل أن تخرج من مالك لهم.

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله الله أكبر الله أكبر ولله الحمد

عباد الله: بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما سمعتم واستغفر الله لي ولكم ولسائر المؤمنين فاستغفروه انه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وإخوانه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

عباد الله:

أيها المسلمون: تُريدون البركة في العمر والمال تريدون صلاح الحال والعيال عليكم بثلاث: حُسن الخلق وصلة الرحم وحُسن الجوار، أخرج الإمام أحمد وابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها مرفوعًا: «**صلة الرحم وحُسن الخلق وحُسن الجوار يعمران الديار ويزيدان الأعمار**» [أخرجه أحمد (٦/ ١٥٩، رقم ٢٥٢٩٨)].

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله الله أكبر الله أكبر ولله الحمد

أيها المسلمون: اليوم يوم الصفاء والنقاء يوم الوحدة والإخاء يوم تتلاحم القلوب والصفوف فلكن متحابين متصافين متآزرين متآخين متناصرين لعل الله عزوجل يجعلنا ممن يحبهم ويظلهم تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله.

أخي الحبيب: النجاة يوم القيامة ليست لكثير الصلاة والصيام مع أنها مهمة لكن النجاة لصاحب القلب السليم قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩].

فلنُصفّي قلوبنا ولننسى خلافاتنا لعل الله يرحمنا.

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله الله أكبر الله أكبر ولله الحمد

أخي المسلم: تستطيع أن تختار رفيقك في المحشر من هنا فالمرء يحشر مع من أحب.

ففي الصحيحين من حديث أنس بن مالك -رضي الله عنه-: «أن رجلاً سأل النبي -صلى الله عليه وسلم- عن الساعة. فقال: يا رسول الله متى الساعة. قال: «**وما أعددت لها؟**». قال: لا شيء، إلا أني أحب الله ورسوله. فقال: «**أنت مع من أحببت**» قال أنس: فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي: «**أنت مع من أحببت**»، قال أنس فأنا أحب النبي -صلى الله عليه وسلم- وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم بُحبِّي إياهم وإن لم أعمل بعملهم».

من أحبّ مؤمناً حُشر معه ولو كان مقصراً، جاء رجل إلى رسول الله فقال: يا رسول الله الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم ـ أي ليس عنده كثير صلاة ولا صلاح ولا صيام يحب الصالحين وليس عنده كثيرٌ من الصلاح ويحب العلماء وليس عنده العلم، يحب القوم ولما يلحق بهم فقال-صلى الله عليه وسلم-: «**المرء مع من أحب**» [أخرجه البخاري، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب/ باب المرء مع من أحب (١٦/ ١٨٨) عن ابن مسعود.].

ونحن نشهد الله على حب نبيه محمد -صلى الله عليه وسلم- وصحابته وآل بيته الطيبين الطاهرين.

الله اكبر الله اكبر لا اله إلا الله الله اكبر الله أكبر ولله الحمد

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الكفر والكافرين وأعلى راية الحق والدين. اللهم من أرادنا والإسلام والمسلمين بعز فاجعل عز الإسلام على يديه، ومن أرادنا والإسلام والمسلمين بكيد فرد كيده إلى نحره، واجعل تدبيره في تدميره، واجعل الدائرة تدور عليه.

اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل طاعتك، ويذل فيه أهل معصيتك ويؤمر فيه بالمعروف، وينهى فيه عن المنكر.

وصلى اللهم وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

أسباب
شرح الصدور
(٤)

أسباب شرح الصدور (٤)

الحمد لله الكريم الفتاح أهل الكرم والسماح المُجزل لمن عامله بالأرباح سبحانه فالق الإصباح وخالق الأرواح.

أحمده سبحانه على نعمٍ تتجدد بالغدو والرواح وأشكره على ما صرف من المكروه وأزاح، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً بها للقلب انفساح وانشراح.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي أرسل بالهدى والصلاح. اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه ما بدا نجمٌ ولاح.

أما بعد.. عباد الله:

أوصيكم ونفسي بتقوى الله وأن نقدم لأنفسنا أعمالاً صالحة مباركة تبيض وجوهنا يوم نلقاه ﷻ، قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩].

لا زال الحديث معكم يتدفق مع أسباب شرح الصدور وتفريج الهموم.

وقفنا مع ستة أسباب لشرح الصدور في لقاءاتٍ مضت.

أول سبب لشرح الصدور التوحيد الخالص الصافي الذي جاء به محمد -ﷺ-.

التوكل على الله وتفويض الأمور إليه ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾﴾ [غافر: ٤٤].

الإيمان الخالص الصادق: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧].

ثانياً: من أسباب شرح الصدور الصبر على المقدور والقناعة بما قسم الله، أن تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك.

قال تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [البقرة: ٤٥].

ثالثاً: مما يشرح الصدور الصلاة، أرحنا بها يا بلال.

الصلاة تكفير للخطايا ورفعٌ للدرجات وتفريجٌ للهموم وراحة للفؤاد.

رابعاً: مما يشرح الصدور الإحسان إلى الخلق فمن ومن كان في حاجة أخيه، كان الله في حاجته، ومن سعى في قضاء حاجة أخيه، قضى الله حاجاته، ومن فرج عن أخيه كربة، فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلما، ستره الله يوم القيامة.

خامساً: مما يشرح الصدور دوام ذكر الله عزوجل على كل حال.

سادساً: مما يشرح الصدور سلامتها من الغل والحسد والبغضاء. ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩].

أيها الأحبة!

سابعاً: من أسباب انشراح الصدر طلب العلم ومذاكرته والاجتهاد في تحصيله، يقول ابن القيم -رحمه الله- عن: طلب العلم يشرح الصدر ويوسعه حتى يكون أوسع من الدنيا، والجهل يُورث الصدر الضيق والحصر والحبس، فكلما اتسع علم العبد انشرح صدره واتسع، وليس هذا لكل علم، بل للعلم الموروث عن الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وهو العلم النافع، فأهله أشرح الناس صدراً، وأوسعهم قلوباً، وأحسنهم أخلاقاً، وأطيبهم عيشاً، انتهى كلامه -رحمه الله-. يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨] فالعالم رحب الصدر، واسع البال، مطمئن النفس، منشرح الفؤاد، أن السعادة كل السعادة وانشراح الصدر في العلم النافع والعمل بمقتضاه، كذا العز الدائم والرفعة في الدنيا والآخرة كلها في طلب العلم، ومصداق ذلك قول الله عز وجل: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

فعليكم بالعلم ومجالسة أهل العلم وحثوا على ذلك أولادكم.

عباد الله: اصطفى الله من بين كل آيات القران أن تكون أول نزولاً على أمة محمد -ﷺ-: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ [العلق: ١]. . إنها رسالة إذا أرادت الأمة التقدم والسمو والرفعة فعليها بالعلم بنوعيه الشرعي والحياتي. وما أمر الله رسوله بالاستزادة من المال أو الجاه المنصب بل من العلم قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ۝١١٤﴾ [طه: ١١٤].

ومما يشرح الصدور ويفرج الهموم الدعاء، نعم أخي الحبيب: عليك أن تتحرى الدعاء في أوقات الإجابة ومنها: الثلث الأخير من الليل والناس نيام، فقم وتوضأ وصل ركعتين واسجد، وفي السجود ألح على الله، قدّم السؤال وقدّم ما تريد ولا تنصرف بسرعة، إلا إذا شعرت أن الله قِبَلك، وكيف تشعر؟ إذا بكيت ورق قلبك،

فاطرق الباب ولا تيأس فمن أدمن قرع الباب يوشك أن يُفتح.

لا تسألن بنيّ آدم حاجة ... وسلِ الذي أبوابه لا تحجَب

الله يغضَب إن تركتَ سؤاله ... وبنيُّ آدم حين يُسأل يغضب

والله غني، والغني مهما تسأله فلا يمل سؤالك، بل كلما سألته أعطاك، كما جاء في الحديث يقول الله: « **يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني، فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر** »

[صحيح مسلم: كتاب البر (٢٥٧٧) عن أبي ذر -رضي الله عنه-].

عباد الله: ما بالنا نتعلق بالمخلوقين وننسى الخالق. ما بالنا عند هبوب عواصف الهموم والغموم والمصائب نلجأ إلى الضعفاء وننسى القوى جل وعلا.

فيا من ضاق صدره وتكدّر أمره، ارفع يديك إلى ربك، وبث شكواك إلى خالقك، واذرف دموع عينك، علَّ الله أن يجيب دعوتك ويزيل كربك.

ومن أسباب شرح الصدور تاسعاً: حُسن الظن بالله.

نعم حُسن الظن بالله تعالى، وذلك بأن تستشعر أن الله تعالى فارجٌ لهمك كاشفٌ لغمك، فإنه متى ما أحسن العبد ظنه بربه، فتح الله عليه من بركاته من حيث لا يحتسب، فعليك يا عبد الله بحُسن الظن بربك ترى من الله ما يسرك، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله -ﷺ-: «**قال الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي، إن ظن خيراً فله، وإن ظنّ شراً فله**» [رواه أحمد في المسند "٢/ ٣٩١"، وابن حبان رقم "٦٣٩"وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده]، فأحسن ظنك بالله، وعلِّق رجاءك به، وإياك وسوء الظن بالله، فإنه من الموبقات المهلكات، قال تعالى: وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ [الفتح: ٦].

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن رسول الله -ﷺ- قال « **إن رجلين ممن دخل النار اشتد صياحهما فقال الرب عز وجل أخرجوهما. فلما أخرجا قال لهما لأي شيء اشتد صياحكما قالا فعلنا ذلك لترحمنا. قال إن رحمتي لكما أن تنطلقا فتلقيا أنفسكما حيث كنتما من النار. فينطلقان فيلقى أحدهما نفسه فيجعلها عليه برداً وسلاماً ويقوم الآخر فلا يلقى نفسه فيقول له الرب عز وجل ما منعك أن تُلقى نفسك كما ألقى صاحبك فيقول يا رب إني لأرجو أن لا تعيدني فيها بعد ما أخرجتني. فيقول له الرب لك رجاؤك. فيدخلان جميعا الجنة برحمة الله** ». [قال الألباني: ٤ / ٤٤٥: ضعيف. رواه الترمذي (٢ / ٩٩) وابن أبي الدنيا في "حسن الظن" (٢ / ١٩٢ / ١)].

ومن أسباب شرح الصدور عاشراً المبادرة إلى ترك المعاصي والهروب إلى الله ومحاسبة النفس.

عباد الله: إنَّ الهمومَ والأحْزَان عقوباتٌ عاجلة ونارٌ دنيوية حاضرة، فكيف يطلب انشراح الصدر من ضيَّع صلاته ومنع زكاته؟! وكيف يَطْلب انشراح الصدر من ظلم مُسلمًا في مالٍ أو عرضٍ؟! وكيف يطلبُ انشراحَ الصَّدْرِ مَن أكل الربا وغشَّ المسلمين في بيعٍ أو شراء؟! كيف يطلب انشراح الصدر مَن عقَّ والديه وقطع أقربَ الناسِ إليه؟! بل كيف يطلب انشراح الصدر من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن منكرٍ تعيَّن إنكاره عليه؟! ألا ما أبعد طيبَ العيش عن هؤلاء وأمثالِهم، وما أضيق صدور هؤلاء، وتعسًا لحالهم.

فجاهد نفسك ـ يا عبد الله ـ في طاعة الله، وألزمها تقوى الله، قال تعالى:

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢﴾ [الطلاق: ٢]،

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧﴾ [الليل: ٥-٧].

أخي الحبيب: أتريد مخرجاً لك مما أنت فيه وأنت ترتع في بعض المعاصي؟ يا عجباً لك! تسأل الله لنفسك حاجتها وتنسى جناياتها، ألم تعلم هداك الله تعالى أن الذنوب باب عظيم ترد منه المصائب على العبد: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ۝٣٠﴾ [الشورى: ٣٠]، ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝١٦٥﴾ [آل عمران: ١٦٥].

فبادر رعاك الله إلى محاسبة نفسك محاسبة صدق وإنصاف، محاسبة من يريد مرضاة ربه والخير لنفسه، فإن كنت مقصراً في صلاة أو زكاة أو غير ذلك مما أوجب الله عليك أو كنت واقعاً فيما نهاك الله عنه من السيئات، فبادر إلى إصلاح أمرك، وجاهد نفسك على ذلك، وسترى من الله ما يشرح صدرك وييسر أمرك قال تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٦٩﴾ [العنكبوت: ٦٩]، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٣، ٢].

فبادر هداك الله إلى تقوى الله ولن ترى من ربك إلا ما يسرك بإذنه تعالى.

عباد الله: بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما سمعتم واستغفر الله لي ولكم ولسائر المؤمنين فاستغفروه انه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وإخوانه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

عباد الله: أيها المسلمون: كما أن المعاصي من أسباب ضيق الصدور فان مِن أسباب انشراح الصدر التزود من الطاعات والإقبالُ على ربِّ الأرض والسمواتِ، فالطاعة فرضُها ونفلها زادُك في الآخرة ولذتك في الدنيا، والإكثار منها سببٌ في محبَّة الله. قال الله تعالى في الحديث القدسي: «**وما يزالُ عبدي يتقرَّبُ إلى بالنوافلِ حتى أحبَّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يَسْمَعُ به، وبصره الذي يُبْصِرُ به، ويدَه التي يَبْطِش بها، ولئن سَألني لأعطينَّه، ولئن استعاذني لأعيذنَّه**» [أخرجه البخاري (٦٥٠٢)].

ومن أسباب شرح الصدور الحادي عشر: مجالسة الصالحين:

الاجتماع بالجلساء الصالحين والاستئناس بسماع حديثهم والاستفادة من ثمرات كلامهم وتوجيهاتهم، مرضاة للرحمن، مسخطة للشيطان، فلازم جلوسهم ومجالسهم واطلب مناصحتهم، ترى في صدرك انشراحاً وبهجة ثم إياك والوحدة، احذر أن تكون وحيداً لا جليس لك ولا أنيس، وخاصة عند اشتداد الأمور عليك، فإن الشيطان يزيد العبد وهناً وضعفاً إذا كان وحيداً، فالشيطان من الواحد أقرب ومن الاثنين أبعد وليس مع الثلاثة، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية.

فجاهد نفسك وغالبها على الاجتماع بأهل الخير والصلاح، والذهاب إلى المحاضرات والندوات، وزيارة العلماء وطلبة العلم فذلك يدخل الأُنس عليك؛ فيزيدك إيماناً وينفعك علماً.

ومن أسباب شرح الصدور الثاني عشر: قراءة القرآن تدبراً وتأملاً، وهذا من أعظم الأسباب في جلاء الأحزان وذهاب الهموم والغموم، فقراءة القرآن تورث العبد طمأنينة القلوب، وانشراحاً في الصدور.

فاحرص رعاك الله على الإكثار من تلاوته آناء الليل وأطراف النهار، وسل ربك أن تكون تلاوتك له سبباً في شرح صدرك، فإن العبد متى ما أقبل على ربه بصدق؛ فتح الله عليه من عظيم بركاته ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧﴾ [يونس: ٥٧]، ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ٨٢﴾ [الإسراء: ٨٢].

ومن أسباب شرح الصدور الثالث عشر والأخير: أذكار الصباح والمساء: المداومة على الأذكار الصباحية والمسائية وأذكار النوم، وما يتبع ذلك من أذكار اليوم والليلة، فتلك الأذكار تحصن العبد المسلم بفضل الله تعالى من شر شياطين الجن والإنس، وتزيد العبد قوةً حسيّة ومعنوية إذا قالها مستشعراً لمعانيها موقناً بثمارها ونتاجها، ومن ذلك ما أخرجه الشيخان عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما عنهما قال: كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول عند الكرب: «**لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم**»، وكذا ما أخرجه البخاري عن أنس -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يكثر من قوله: « **اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والبخل والجبن وضلع الدين وغلبة الرجال**».

وعن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: كان النبي -صلى الله عليه وسلم- إذا نزل به هم أو غم قال: «**يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين**» [مستدرك الحاكم ١/ ٥٤٥، وصححه ووافقه الذهبي]. .

أسأل الله أن يغفر ذنوبنا وأن يستر عيوبنا وأن يقوي إيماننا، هذا وصلوا وسلموا على البشير النذير والسراج المنير، محمد المصطفى الأمين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا.

الابتسامة

الابتسامة

الحمد لله، الحمد لله الذي لم يزل بالنعم منعمًا، وبالمعروف معروفًا، وبالإحسان مُحسنًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يكشف كربًا، ويغفر ذنبًا، ويغيث ملهوفًا، ويجبر كسيرًا، ويجير خائفًا، ويرسل بالآيات تخويفًا، وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله، صلى عليه الله ما قطرٌ نزل، وما تعالى ذكره من الأزل، وآله وصحبه أهل الوفا، معادن التقوى وينبوع الصفا.

أما بعد: فأوصيكم -أيها الناس ونفسي- بتقوى الله، فالسعيد من اتقى ربه، وتدبر أمره، وأخذ حذره، واستعد ليومٍ لا تُقال فيه عثرة، ولا تنفع فيه عبرة.

أيها المسلمون: أُحدثكم اليوم عن سرٌّ من الأسرار، عن إحدى لغات هذا الجسد أُحدثكم عن المفتاح الأول للقلوب المغلقة، عن بَلْسَم الألم ودواء الحزن، أقصر طريق إلى القلوب، وأقرب باب إلى النفوس، بل هي عبادة يؤجر عليها المسلم.

أُحدثكم اليوم عن السحر الحلال ترياق الحياة، وجمال الروح. . . أنتم تمارسون هذه العبادة يوميا في الصباح والمساء.

إنها الابتسامة دعوةٌ بلا حروف الرسول، تغزو القلوب بلا استئذان.

إنها الابتسامة حركةٌ بسيطة تحدث في ومضة عين، ولكن يبقى ذكرها دهرا.

الابتسامة تخرج من القلب و ترتسم على الشفاه فتنشر عبير المودة، وتنشر نسائم المحبة وتستلّ الضغينة والبغضاء لتحلّ الألفة والإخاء قال ابن عيينة (-رحمه الله-): «**البشاشة مصيدة القلوب**».

الابتسامة سرٌّ آسر، وسلطان قاهرٌ، أدرك الطفل بفطرته البريئة سحرها، فهو يبثُّها بين الحين والآخر، وأمام ابتسامة الطفل ينحني أقسى الناس، وفي مواجهة ابتسامة الصبي يرقُّ أغلظ الناس.

عباد الله: ليس من الضروري أن تكون الابتسامة بالفعل؛ فأحيانًا تبتسم الحروف حينما تكتب؛ لأنها تكون من قلوب صادقة، وتبتسم الهدايا عندما تُهدى؛ لأنها مليئة بالحبِّ والوفاء.

الابتسامة إشراقة روح، وإطلالة نَفْس، وصورة فؤاد.

الابتسامة بَلْسَم الألم ودواء الحزن، ، والمبتسمون أحسن الناس مِزاجًا، وأهنئهم عيشًا، وأطيبهم نفسًا.

الابتسامة هي إعلان الإخاء، وعربون الصفاء، ورسالة الود، وخطاب المحبة.

بتبسُّمي أطفأتُ ألف ضَغينة وزرعْتُ في قلب العَليل وِدادا

مُتجهِّم القسَمات كم لاطفتُه! لأسلَّ مِن أضلاعه الأحْقادا

أيها المؤمنون: الإسلام دين الفطرة يحرص على رسم الابتسامة الدائمة على شفاه المسلمين، سُئل عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما-: هل كان أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يضحكون؟ قال: نعم والإيمان في قلوبهم أعظم من الجبل.

ولقد جاءت آيات القرآن الكريم معبرة عن الطبيعة البشرية وخصائصها، فقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ ٤٣﴾ [النجم: ٤٣].

وقد وصف الله سبحانه وجوه المؤمنين يوم القيامة بالضحك والاستبشار، قال تعالى: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ ٣٨ ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ ٣٩﴾ [عبس: ٣٨ - ٣٩].

عباد الله: أكثر ما يدخل الأنسان الجنة، ويحجز صاحبه مقعداً بجوار المصطفى في الجنة حُسن الخلق، وما هو حُسن الخلق: «البر شيء هيّن وجهٌ طليق، وكلامٌ ليّن».

أيها الإخوة المسلمون: ما بال أقوام يظنون أن الإسلام عبارة عن تقطيب الجبين وإصدار الأحكام على الناس، والبعض تراه عبوساً ومتجهما، و لن يحصد العابسون وهم يشمخون بأنوفهم على الناس غير بغض الناس وازدراءهم لهم فالعبوس والغلظة والفضاضة كلها مترادفات لا تجلب لصاحبها إلا الفرقة والنفور وفي الذكر الحكيم: «فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ».

أخلاق الكريم:

اضفِ على حياتك في سفرك وإقامتك إبتسامة عريضة واغمر قلبك بالبهجة والفرحة وتأسَّ بخير الخلق الذي قال عنه الصحابي عبد الله بن الحارث: (**مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ تَبَسُّمًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ-**».

بعض الناس مع الناس بشوش مبتسم عند المنافع والمصالح بشوش بينما مع أهله عبوسا قمطرياً، ولم يكن رسول الله، بل كان النبي -ﷺ- إذا دخل على أهله ضاحكاً باسماً يمازح زوجاته ويلاطفهن، كذلك تقول زوجته عائشة - رضي الله عنها -: «**كان ألين الناس، وأكرم الناس، وكان رجلاً من رجالكم إلا أنه كان ضحاكًا بسّامًا**» [أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده].

قد يقول قائل لماذا ابتسم والهموم كثيرة والديون عظيمة والأمة تشكو جراحاً في كل مكان!!

نقول له:

نبتسم تفاؤلاً وأملاً في صلاح الحال وتفريج الكروب.

نبتسم لأن نبينا محمد المصطفى كان في أحلك الظروف والأزمات يتفاءل ويبتسم راجياً رحمة الله.

قالَ: «السماءُ كئيبةٌ!» وتجهَّما ... قلتُ: ابتسمْ يكفي التجهُّمُ في السما!

قالَ: الصِّبا ولَّى! فقلتُ لهُ: ابتسمْ ... لن يُرجعَ الأسفُ الصبَّا المتصرِّما!

قال: العِدى حولي علتْ صيحاتُهُمْ ... أأُسَرُّ والأعداءُ حولي في الحِمَى؟

قلتُ: ابتسمْ لم يطلبوك بذمِّهمْ ... لو لم تكُنْ منهمْ أجلَّ وأعظما!

قال: المواسمُ قد بدتْ أعلامُها ... وتعرَّضتْ لي في الملابسِ والدُّمى

وعليَّ للأحبابِ فرضٌ لازمٌ ... لكنّ كفِّي ليسَ تملكُ درهما

قلتُ: ابتسمْ يكفيكَ أنَّك لم تزلْ ... حياً، ولستَ من الأحبَّةِ مُعدما!

لماذا نبتسم؟:

♦ **نبتسم** لنسعد أنفسنا ومَن حولنا.

♦ **نبتسم** لنتغلَّب على تيار الضغوط اليوميَّة التي جلبت الكثير من الأمراض: كالسكري والضغط والتوتر والقلق والأزمات القلبيَّة.

♦ **نبتسم** لنزيد رصيدنا من الحسنات؛ قال -ﷺ-: «**وتبسُّمك في وجه أخيك صدقة**»[أخرجه الترمذي من حديث أبي ذر في كتاب البر والصلة من السنن (١٩٥٦)، وقال: "حديث حسن غريب"، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥٧٢)] ، وكأنما يريد -ﷺ- أن يدرِّبنا على الابتسامة؛ لتكون سجيةً لنا، فكلما ابتسمت، أُهديت إليك صدقة، فزد من رصيدك من الصدقات؟!

أخي الحبيب: ابتسم فلست الوحيد الذي لسعته الأيام.

ابتسم في وجه المصيبة ولا تسأم لأنك مؤمن والجزع ليس من سماتك والأمر كله خير لك، **ابتسم** ولا تسأم وكن قوياً في الشدائد.

ابتسم فالابتسامة عند النعمة شكر، وعند البلاء رضاً بالقضاء. ولم يكن رسول الله (ﷺ) مكتفيًا بأمر أصحابه بالابتسامة، وحثهم عليها فحسب، بل كانت سمة بارزة له يقول جرير بن عبد الله البجلي أحد صحابته (رضي الله عنه): «**ما رآني رسول الله (ﷺ) إلا ابتسم في وجهي**» [الطبراني في معجمه الكبير ج ٢/ ص ٣٥٢ حديث رقم: ٢٤٨٠ (السلسلة الصحيحة) (٣١٩٣)]

إخواني: مواقف كثيرة ضحك فيها النبي المصطفى، وجاءتنا في السنة النبوية ومنها ما جاء عن أبي ذر -رضي الله عنه- قال قال رسول الله -ﷺ-: « **إني لأعرف آخر أهل النار خروجا من النار وآخر أهل الجنة دخولا الجنة يؤتى برجل فيقول سلوا عن صغار ذنوبه واخبئوا كبارها فيقال له عملت كذا وكذا يوم كذا وكذا عملت كذا وكذا في يوم كذا وكذا قال فيقال له فإن لك مكان كل سيئة حسنة قال فيقول يا رب لقد عملت أشياء ما أراها ها هنا قال فلقد رأيت رسول الله -ﷺ- ضحك حتى بدت نواجذه**» [رواه الترمذي وصححه الألباني]، وكان -ﷺ- يدعو أصحابه إلى الطلاقة والبشاشة، وحُسن اللقاء فكان يقول: «**لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجهٍ طلق**» [أخرجه مسلم (ح ٢٦٢٦)، والترمذي (٥/ ٥٦٢ التحفة)].

و قال -ﷺ-: «**إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فليسعهم منكم بسط الوجه وحُسن الخلق**» [(فتح الباري ٤٥٩/ ١٠)إسناده حسن]

لقد ظلت ابتسامته الرسول -ﷺ- تضيء الدروب والقلوب، ولم تنطفئ يومًا، بل إنها لم تنطفئ عن وجهه الكريم حتى في آخر لحظات حياته، وهو مريض في بيته والصحابة يتشوقون إليه فبينما المسلمون في صلاة الفجر لم يفجأهم إلا رسول الله (-ﷺ-) كشف سِتْر حجرة عائشة - رضي الله عنها - فنظر إليهم وهم صفوف فتبسم يضحك» [أخرجه البخاري ومسلم].

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨].

عباد الله: لقد اكتشف العلماء، والباحثين والأطباء أن للابتسامة (٢٣) فائدة طبية؛ فلها آثار إيجابية على وظيفة القلب والبدن والمخ و تزيد الوجه جمالاً وبهاءً، وتعمل على التخفيف من حموضة المعدة، كما أنها تقهر الأرق والكآبة، بل إن العضلات التي تتحرك عند الابتسامة أقل من العضلات التي تتحرك عند العبوس والكآبة، واترك السؤال لكم كم عدد العضلات في الوجه التي تتحرك عند الضحك وكم هي عند العبوس والتجهم.

أيها الإخوة قد تقولون لمن نبتسم؟

أولاً: نبتسم لأنفسنا؛ فمن حقها علينا أن نبتسم لها ونسعدها وندخل السرور عليها. وإذا كان نبي الله سليمان عليه السلام قد تبسم لنملة صغيرة في وادٍ مترامي الأطراف عندما سمعها تحذر قومها من جيشه كما قال تعالى: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾ [النمل: ١٩].

ثانيا: ما أحوجنا إلى تبسم الأخ في وجه أخيه والجار في وجه جاره في زمنٍ طغت فيه المادة وقلّت فيه الألفة وكثُرت فيه الصراعات.

ثالثا: ما أحوجنا إلى تبسم المسلم لأخيه المخالف له في المذهب والحزب والمنطقة بدل التنافر والتباغض الذي يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب.

رابعا: ما أحوجنا إلى تبسم الرجل في وجه زوجته، والزوجة في وجه زوجها في زمنٍ كثرت فيه المشاكل الاجتماعية فلا ترى إلا عبوس الوجه وتقطيب الجبين وكأنك في حلبة صراع من أجل البقاء، وما أحوجنا إلى تلك الابتسامة من مدير في وجه موظفيه فيكسب قلوبهم ويرفع من عزائمهم بعيداً عن العنجهية والتسلط والكبرياء.

خامسا: ما أحوجنا إلى تبسم المعلم في وجه تلاميذه يحبب اليهم العلم ويغرس في قلوبهم حُسن الخلق، فالتربية قبل التعليم.

سادساً: ما أحوجنا إلى البسمة وطلاقة الوجه وانشراح الصدر ولطف الروح ولين الجانب من عالم رباني وداعية إلى الله منصف يسعى لجمع الكلمة ووحدة الصف.

سابعا: ما أحوجنا إلى الابتسامة الصادقة من ذلك الحاكم والمسؤول في وجه من يقوم برعايتهم وخدمتهم من غير ما خداع أو كذبٍ أو تزوير، أو وعيد أو تهديد فتحبه قلوبهم وتلهج بالثناء الحسن والدعاء له ألسنتهم. . . يأتي رجل فقير من المسلمين إلى عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – فقال:

يا عمر الخير جُزيت الجنة أكس بُنياتي وأُمهنه
وكُن لنا في ذا الزمان جُنة أُقسم بالله لتفعلنه

فتبسّم عمر قائلا: وإذا لم أفعل يكون ماذا؟ قال الرجل:

أبا حفصٍ غداً عني لتُسألنه يوم تكون الأُعطيات منة
وموقف المسؤول بينهنّ إما إلي نار وإما إلي جنة

فخلع عمر الجلباب الذي كان يلبسه وقال خذ هذا ليومٍ تكون الأُعطيات منة.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

أما بعد:

عبـــــاد الله:

ثامنا: ما أجمل أن نبتسم في وجوه الأيتام والأرامل والمعوزين والمحتاجين في أُمتنا فندخل السرور إلى نفوسهم ونمد يد العون لهم، ونرسم البسمة على شفاههم وإن ذلك لمن أحب الأعمال وأعظمها أجراً عند الله.

فقد صح عنه -ﷺ- انه قال: « **أحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم أو تكشف عنه كربه أو تقضي عنه دينا أو تطرد عنه جوعا**» [أخرجه الطبراني وحسنه الألباني].

خامساً: ما أحوجنا إلى الابتسامة من ذلك التاجر فيكسب القلوب وتحل عليه البركة ويكثر رزقه وتدركه رحمة ربه فقد روى البخاري دعاء النبي -ﷺ- بالرحمة حيث قال: « **رحم الله عبداً سمحا إذا باع سمحاً إذا اشترى سمحاً إذا قضى سمحاً إذا اقتضى** » [(أخرجه أحمد) عن جابر (صحيح) انظر حديث رقم: ٤١٦٢ في صحيح الجامع)].

بل يقول الصينيون في حكمة يرددونها: - (**إن الرجل الذي لا يعرف كيف يبتسم لا ينبغي له أن يفتح متجراً**)، بل تقوم كثير من الدول المتقدمة والشركات العالمية بإنفاق ملايين الدولارات من أجل تدريب موظفيها على الابتسامة في وجه الزبائن والعملاء وهم بذلك يرجون ثواب الدنيا فكيف بالمسلم عندما يتخلق بهذا الخلق فيجمع بين ثواب الدنيا والآخرة.

أخلاق الحبيب: كلما عشت بالابتسامة عشت الأسعد والأفضل والأجمل.

من منكم يريد أن يتصدق في هذه اللحظة فلينظر إلى من بجواره نظرة أخوة وصفاء ويقول في نفسه: « اللهم اغفر لي ولأخي» ، من منكم يريد أن تتساقط ذنوبه فبعد الصلاة اطلب من كل واحد منا أن يصافح على الأقل عشرون مصليا ويقول مبتسما: «اللهم اغفر لي ولأخي» لعل الله يرحمنا في هذا اليوم وفي هذه الساعة.

اللهم حسّن أخلاقنا وقوي إيماننا وأرفع درجاتنا وطهر قلوبنا وزكي نفوسنا برحمتك يا ارحم الراحمين.

ألا وصلوا ـ عباد الله ـ على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال تَعَالَىٰ:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾

[سُورَةُ الأَحۡزَابِ :٥٦]

كلمة
" ليت "

كلمة "ليت"

الحمد لله مجيبُ الدّعوات، مجزل العطايا والهِبات، يجيبُ دعوةَ المضطرّين ويكشِف السوء ويُنزل الرّحمات، أحمده تعالى وأشكُره، وأُثني عليه وأستغفِره، وأشهد أن لا إلهَ إلا الله وحده لا شريك له كل يوم هو في شأن، يُعطي ويمنع، ويخفض ويرفع، ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦﴾ [آل عمران: ٢٦] ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلّم تسليمًا كثيرًا.

عباد الله: أُوصيكم ونفسي بتقوى الله والاجتهاد بالأعمال الصالحة قبل انقضاء الأعمار، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾ [الحشر ١٨]

معاشر المسلمين: سنقف وإياكم مع كلمة في كتاب الله وسنة رسول الله -ﷺ-، هي رمز الندم والتحسر والتمني والرجاء، إنها كلمة قالها الكثيرون عبر القرون، ولن ينقطعوا، والسعيد من اتعظ بغيره، إنها كلمة "**ليت**" هل تعرفون ليتَ؟ إنها حرف للتمني، والترجي، والطمع.

كلمة **ليت** قالتها البتول، مريم بنت عمران -رضي الله عنها-، حين جاءها المخاض، وبلغ منها الهم والغم كل مبلغ، فقالت: ﴿يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ٢٣﴾ [مريم: ٢٣]، فجاءها الفرج والتيسير، ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ٢٤﴾ [مريم: ٢٤]

إنها كلمة قالها المحبون للدنيا، المغترّون بها وبزخرفها، عُشاق الدنيا، الذين يُحبون العاجلة ويذرون الآخرة، فتمنوا أُمنيات خادعات، ليست من الباقيات الصالحات. لما رأوا قارون يخرج عليهم في زينته، في ماله، في ملكه، قالوا: ﴿يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٧٩﴾ [القصص: ٧٩]. يا ليت لي مثل ما أُوتي فلان من المال والجاه والمنصب، فرد عليهم أهل العلم والإيمان كما هي حالهم في كل حين: ﴿وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ٨٠﴾ [القصص: ٨٠].

﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ٤٥ ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ٤٦ ﴾ [الكهف: ٤٦].

إنها كلمة قالها ذلك المسكين، الذي اغتر بماله، فرح بجنتيه، وأستهزئ بأولياء الله، وأشرك بربه، وأغمض عن طريق الهدى عينيه، قال تعالى عنه: ﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ٣٤ ﴾ [الكهف: ٣٤].

تكبر وتجبر ونسي خالقه ورازقه فكان جزاءه: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ٤٢ ﴾ [الكهف: ٤٢].

وهذه رسالة إلى الذين يمنعون زكاة أموالهم قبل أن يندمون قال تعالى: ﴿ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرٗا لَّهُمۖ بَلۡ هُوَ شَرّٞ لَّهُمۡۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١٨٠ ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

أخرجوا زكاة أموالكم طيبةً بها نفوسكم.

إنها كلمة قالها المنافق، حين رأى النصر يحوط المؤمنين، وتوزّع الغنائم، وقد تخلّف عن الجهاد، وبطّأ وثبّط، وتأخر وتردد، فلما جاء النصر، ونال المجاهدون الغنيمة، وابتهجت قلوبهم بنصر الله، قال المنافق: ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمٗا ٧٣ ﴾ [النساء: ٧٣].

إنها كلمة يقولها الرجل حين تزيد عليه الفتن، وتعظم المحن، فيمر بالقبر، فيتمرغ عليه، ويقول: «**يا ليتني كنت مكان صاحب هذا القبر**».

قال رسول الله -ﷺ-: «**والذي نفسي بيده، لا تذهب الدنيا حتى يمر الرجل على القبر فيتمرغ عليه، ويقول: يا ليتني كنت مكان صاحب هذا القبر، وليس به الدِّين إلا البلاء**» [رواه مسلم].

قال ابن مسعود -رضي الله عنه-: «**سيأتي عليكم زمان لو وَجَد أحدكم الموت يُباع لاشتراه**».

إخوة الدين والعقيدة: قد قال "ليت" ناصحون، تحترق أفئدتهم حرصاً على هداية أقوامهم، وتذهب نفوسهم حسرةً على ضلالهم، همهم نصح الناس وتبليغ دين الله، حتى بعد الممات، فهذا حبيب النجار صاحب ياسين، قال تعالى عنه. ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾﴾[يس: ٢٠]

يطؤه قومه بأرجلهم، بعد أن نصح لهم، وبين لهم طريق السلامة، والنجاة، فلما قتلوه قالت له الملائكة: ﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾[يس: ٢٦]. تمنى أن يرى قومه ويعلموا ما مُنّ به عليه من الكرامة عند الله. قال ابن عباس رضي الله عنهما: نصح قومه في حياته بقوله: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾﴾، [يس: ٢٠]. وبعد مماته، بقوله: ﴿يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [يس: ٢٦-٢٧].

إنها كلمة قالها ورقة بن نوفل، وما أدراكم من ورقة بن نوفل أنه ابن عم خديجة بنت خويلد زوجة النبي -ﷺ- بعد نزول الوحي عليه -ﷺ- أول مرة خاف وفزع فطمنته خديجة -رضي الله عنها- وقالت: «كلا والله لا يُخزيك الله أبدا» ثم ذهبت به إلى ورقة، وكان ورقة قد دخل في دين النصارى وعرف الكتاب فأخبره النبي بما حصل له من الوحي، فقال ورقة: «يا ليتني فيها جذعا، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك». فقال النبي: « أو مخرجي هم»، استبعد أن يخرجه قومه من بلاده فقال: نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا. فمات ورقة قبل ذلك لكن أجره قد كُتب، فمن هم بحسنة ولم يعملها كُتبت له حسنة كاملة.

وقال -ﷺ-: إنما هذه الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالاً وعلماً فهو يتقي في ماله ربه ويصل به رحمه، ويعلم لله فيه حقاً فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله علماً ولم يرزقه مالاً، فهو صادق النية لله يقول: لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان، فهو بنيته فأجرهما سواء» [رواه مسلم رقم (٢٥٨٨)].

إنها كلمة قالها ذاك الشقي من أصحاب النار حين رأى قرينه من الشياطين قد وافاه في الجحيم حين رأى قرين السوء صاحب السوء من دله على المعاصي والحرام فقال: ﴿يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ ٣٨﴾ [الزخرف: ٣٨]. فكان اجتماعهم في النار زيادة في الحسرة، وتشديداً في الألم، ذلك لأنهم تغافلوا عن ذكر الله، وأعرضوا عن هدي رسول الله -ﷺ-.

كلمة ليت كثيرة ما يقولها أهل النار نعوذ بالله من النار، وما تغني عنهم شيئا! قال تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢٧﴾ [الأنعام: ٢٧]، طيب لو أعادهم الله إلى الدنيا قال تعالى: ﴿وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ٢٨﴾ [الأنعام: ٢٨]

إنها كلمة قالها من كان نعلا للطغاة يأتمر بأمرهم وينتهك الحرمات لأجلهم، قال تعالى: ﴿يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ ٦٦﴾ [الأحزاب: ٦٦] . نعم لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

إنها كلمة قالها من ترك سنة الحبيب المصطفى، واتبع هواه، وصاحب العصاة اللاهين المضيعين لأمر الله، أهلكه الصاحب الخاسر اللاهي الساهي، فعض على يديه من الندم، وقال: ﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ٢٧ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ٢٨ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ٢٩﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩].

عباد الله: ليت إنها كلمة. يوم توزع كتب الأعمال يوم القيامة، فمنهم الشقي، يُؤتى كتابه بشماله، فيقول: ﴿يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ٢٥ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ٢٦ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ٢٧﴾ [الحاقة: ٢٥-٢٧].

إنها كلمة لم تنفع صاحبها يوم يؤتى بجهنم، حين ﴿دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا ٢١ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ٢٢ * وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ ٢٣ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ٢٤﴾ [الفجر: ٢١-٢٤].

يا ليتني تصدقت، ويا ليتني صمت، ويا ليتني صليت، يا ليتني أطعت الله ورسوله. يا ليتني قراءة القرآن، وأحسنت إلى والدي وجيراني وأرحامي.

أخي الحبيب: إن وجودك في هذه الحياة أعظم فرصة لجمع الحسنات وَللرُّقِيِّ في الجنة إلى أعلى الدرجات؛ فاغتنامُ حياتك قبل موتك؛ يكون بالمبادرة إلى التوبة قبل حلول الأجل، وقبل أن تغرغر. اغتنام فرصة الحياة قبل الممات.

أيها الشباب: اغتنموا شبابكم قبل أن تقولوا كما قال القائل:

ألا ليت الشبابَ يعودُ يوماً فأخبرهُ بما فعل المَشيبُ

أيها المسلمون:

كلمة ليت يقولها الكافر حين يرى القصاص العادل يوم القيامة حتى بين الحيوانات، حين يُقتص للشاة الجلحاء من الشاة القرناء، فإذا فرغ الله من القصاص بين الدواب يقول لها كوني ترابا، حينها يقول الكافر: ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَابَۢا ٤٠﴾ [النبأ: ٤٠]، أي: ليتني كنت حيوانا، شاة أو عجلا له خوار، المهم أن أنجو من النار، ولو بأن أرجع إلى التراب، ولكنها أُمنيات كالسراب.

فاحرص -**أخي الحبيب**- أن تكون من الفائزين المتقين، أهل دار النعيم والسعادة، لهم الحسنى وزيادة، قال تعالى:

﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [الكهف: ٢٨].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، وبهدي سيد المرسلين، وجعلني وإياكم هداة مهتدين، وحشرنا في زمرة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسُن أولئك رفيقا، ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

أما بعد: عبـــــاد الله:

وما المال والأهلون إلّا وديعة ولا بُـدَّ يومـاً أنْ تُـرَدَّ الودائـعُ

أخي الحبيب:

ها أنت أخي في دار الأمنية، فبادر قبل فوات الأوان، واغتنم ما بقي من أيام عمرك، ما دام في الإمكان، فحياتك فيها فرصة عظيمة لتخفيف السكرات، وأن تجعل قبرك روضة من رياض الجنات، وتدخل فيمن قيل عنهم: ﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [النمل: ٨٩]، وتشرب من حوض الحبيب، وتدخل في شفاعته، وتستظل بعرش الرحمن، وييسر عليك الحساب، وترث الأرض تتبوأ من الجنة حيث تشاء، ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [الزمر: ٧٤]. وقف عند قوله: ﴿أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾ فالأجر للعاملين لا للخاملين، ولا المسوفين، ولا للمتمنين، جعلني الله وإياكم من العاملين، والوارثين، الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون.

اللهم إنا نسألك خشيتك في الغيب والشهادة وكلمة الحق في الغضب والرضا، والقصد في الغنى والفقر. اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها. اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح ولاة أمرنا، وارزقهم البطانة الصالحة الناصحة يا رب العالمين. اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد. . . اللهم صلّ وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

ألا وصلوا ـ عباد الله ـ على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [سورة الأحزاب: ٥٦]

من ضارّ مسلم

من ضارّ مسلم

الحمد لله الذي علا وقهر، وعز واقتدر وفطَر الكائنات بقدرته فظهرت فيها أدلة وحدانية من فطر فسبحانه من إله عظيم لا يُماثل ولا يُضاهى ولا يُدركه بصر وتعالى من قادرٍ محيط لا تُنجي منه قوة ولا مفر.

وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له على رغم أنف من جحَد به وكفَر شهادة ندخرها ليومٍ لا ملجأ فيه ولا مفر، شهادةً نرجو بها النجاة من نارٍ لا تُبقي ولا تذر.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله سيد البشر، وعلى آله وصحبه السادة الغُرر الذين جاهدوا في الله حقّ جهاده فما وهى عزم أحدهم ولا فتَر.

أيها الناس: اتقوا الله تعالى، وكونوا عباد الله إخواناً كما سمّاكم الله، يحب أحدكم لأخيه من الخير ما يحبه لنفسه، ويكره له من الشر ما يكره لنفسه. ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١﴾ [الأنفال: ١]

أيها المسلمون: ديننا دينٌ شامل كامل لجميع نواحي الحياة، دين عبادة ومعاملة، دين ودولة، مصحف وسيف، دينٌ جعل المسلم الحق هو الذي سلم المسلمون من لسانه ويده.

أيها المسلمون: سؤالٌ يطرح نفسه: مسلم حريصٌ على الطاعات، ويؤدي العبادات، ويكثر من الحسنات لكن جيرانه منه يشكون، والمسلمون منه يتأذون، وتعليقاته في وسائل التواصل والمجالس تنهش أعراض المؤمنين؛ فهل حسنات عباداته تكفر سيئات معاملاته. ؟ لا وألف لا، مثله كمثل ذاك الذي يغش المسلمين ويظلمهم وقيل له اتق الله في عباد الله فقال اغسل هذه الذنوب في قيام الليل، فقال له أحد الصالحين: مثلك كمثل من أراد أن يغسل يديه في النهر لكنه أنزل رجليه، فلو ظل في النهر إلى يوم القيام، ولا تقبل الشعائر في الإسلام إلا بصلاح المشاعر، فقد سأل الصحابةُ النبيَّ -ﷺ- ذاتَ يومٍ فقالوا: يا رسولَ الله، فلانةُ تصومُ النهارَ وتقومُ الليلَ وتؤذي جيرانَها، قال: «**هي في النار**»، ثم قالوا: يا رسولَ الله، فلانةُ تصلي المكتوباتِ وتصدَّقُ بالأثوارِ من الإقطِ ولا تؤذي جيرانَها، قال: «**هي في الجنة**» [مسند أحمد (٢/ ٤٤٠)، صحيح ابن حبان (٥٧٦٤)، وهو في السلسلة الصحيحة (١٩٠)].

عباد الله: لقد تساهل كثيرٌ من الناس في الإضرار بالمسلمين وإيذائهم وسفك دمائهم وهتك أعراضهم، والله حذَّرَ من إيذاءِ المؤمنين فقال سبحانه: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٥٨].

سنقف وإياكم في هذه الدقائق الغالية مع زهرة نقطفها من بستان النبوة وهو حديث النبي -ﷺ- الذي رواه الترمذي وابن ماجه وحسّنه الألباني عن أبي صرمة -رضي الله عنه- أن النبي -ﷺ- قال: «من ضار ضار الله به ومن شاق شاق الله عليه» هذا الحديث دل على أصلين من أصول الشريعة:

أحدهما: أن الجزاء من جنس العمل في الخير والشر، فكما أن من عمل ما يحبه الله أحبه الله، ومن عمل ما يبغضه أبغضه الله، ومن يسّر على مسلم يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن فرّج عن مؤمن كُربة من كُرب الدنيا فرّج الله عنه كُربة من كُرَب يوم القيامة، والله في حاجة العبد ما كان العبد في حاجة أخيه، كذلك من ضار مسلما ضره الله، ومن مكر به مكر الله به، ومن شق عليه شق الله عليه، وهكذا فعلاقة الخالق بالمخلوق على قدر علاقة المخلوق بالخلق فمن رحمهم رحمه الله، ومن سترهم ستره الله، ومن شق عليهم شق الله عليه، ومن ضرهم ضره الله.

الأصل الثاني: منع الضرر والمضارة، وأنه «لا ضرر ولا ضرار» وهذا يشمل أنواع الضرر كله.

وقد ورد في القرآن الكريم النهي عن المضارة في مواضع: منها أولاً المضارة في الوصية، قال تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖ﴾ [سورة النساء: ١٢].

وفي الحديث عن أبي هريرة -رضي الله عنه- مرفوعا: «إن العبد ليعمل بطاعة الله ستين سنة، ثم يحضره الموت فيُضارّ في الوصية فيدخل النار» ثم تلا: تلك حدود الله إلى قوله: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٤﴾ [سورة النساء: ١٣-١٤]. وخرجه الترمذي وغيره بمعناه.

والإضرار في الوصية على نوعين:

النوع الأول: أن يوصي لبعض الورثة بزيادة على فرضه الذي فرضه الله له فيتضرر بقية الورثة، ولهذا قال النبي -ﷺ-: «**إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث**» [سنن أبي داود ٣/ ٢٩٠ رقم (٢٨٧٠) سنن ابن ماجة ٢/ ٩٠٥ رقم (٢٧١٣)، جامع الترمذي - تحفة ٦/ ٣٠٩ وقال: حديث حسن صحيح].

النوع الثاني: أن يوصي بزيادة على الثلث لغير وارث، فينقص حقوق الورثة، والنبي -ﷺ- إنما رخص بالوصية بالثلث فأقل، فقال: «**الثلث، والثلث كثير**».

ومن المضارّة المنهي عنها في القرآن: **ثانياً** المضارّة في العشرة الزوجية، كالمضارة بمراجعة الزوجة المطلقة إذا طلقها ثم راجعها من غير أن يكون له رغبة فيها، وإنما قصده حبسها حتى تصبح لا هي ذات زوج ولا مطلقة.

وكان الرجل يطلق المرأة فإذا قاربت نهاية العدة راجعها إضرارا لئلا تذهب إلى غيره، ثم يطلقها، قال تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ [سورة البقرة: ٢٣١].

ومن أنواع المضارة في العشرة الزوجية المضارة بالإيلاء وما أدراكم ما الإيلاء؟ وهو بأن يحلف على ترك وطء زوجته، وقد أمر الله أن يضرب له مدة أربعة أشهر، فإن رجع في أثنائها وكفر عن يمينه ووطئ زوجته كان ذلك توبته، وإن استمر على يمينه ولم يطأ زوجته حتى مضت أربعة الأشهر ألزمه الحاكم إما بالرجوع إلى وطء زوجته والتكفير عن يمينه، وإما بالطلاق، وذلك لإزالة الضرر عن الزوجة، قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾﴾ [سورة البقرة: ٢٢٦-٢٢٧].

ومن المضارّة في العشرة الزوجية أن يطيل الزوج السفر من غير عذر، وتطلب امرأته قدومه فيأبى، وحكمه أن يُمهل ستة أشهر، فإن أبى القدوم بعد مضيها فإن الحاكم يُفرّق بينه وبين زوجته إذا طلبت ذلك دفعاً للضرر عنها، ومن المضارة في العشرة الزوجية لمن له أكثر من زوجة أن يميل إلى إحدى زوجتيه مَيلا يضر بالأخرى، ويجعلها كالمعلقة.

ومن أنواع المضارة الممنوعة في القرآن **ثالثاً** المضارة في تربية الأولاد كالمضارة في الرضاع وحرمان الطفل من حقه في الرضاعة، قال تعالى: ﴿ ۞ وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ رِزۡقُهُنَّ وَكِسۡوَتُهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ لَا تُكَلَّفُ نَفۡسٌ إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوۡلُودٞ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ﴾ [سورة البقرة: ٢٣٣].

ومن الإضرار بالوالدة أن يُنزع ولدها منها من أجل الإضرار بها، وإضرار المولود له (وهو الأب) بولده أن تأبى أمه أن ترضعه، ليتكلف الأب طلب ما يقوم مقام الرضاعة من حليب وغيره.

ومن أنواع الضرر المنهي عنه في القرآن: المضارة في المعاملات، كمضارة الكُتّاب والشهود الذين يكتبون الوثائق ويثبتون الحقوق بكتاباتهم وشهاداتهم، قال تعالى: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٢].

فيكتب الكاتب غير ما يُملى عليه، أو يسلب الناس أموالهم، ويشهد الشاهد بخلاف ما رأى أو سمع، أو يكتم الشهادة بالكلية عند الحاجة إليها. ﴿وَلَا تَكۡتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَۚ وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٢٨٣﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨٣]

ومن المضارة في المعاملات المضارة بالمدين المعسر الذي أمر الله بإنظاره إلى ميسرة أو إعفائه من الدين، قال تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٠]، فلا تجوز مطالبته ولا حبسه ما دام مُعسرا. كما لا يجوز أن يضار المدين الواجد بالدائن فيما طلبه من قضاء حقه مع القدرة على السداد. وفي الحديث: «**مطل الغني ظلم**» فلم المماطلة؟

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، وبهدي سيد المرسلين، وجعلني وإياكم هداة مهتدين، وحشرنا في زمرة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسُن أولئك رفيقا، ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

أما بعد:

عبـــاد الله:

ومن المضارة المنهي عنها في المعاملات بيع المضطر، وذلك بأن يضطر الفقير إلى شراء سلعة، فلا يجد من يبيع عليه إلا بغبنٍ فاحش، أو يضطر إلى بيع سلعة فلا يجد من يشتريها منه إلا برخصٍ كثير.

وقد سُئل الإمام أحمد عن بيع المضطر ما معناه؟ قال: يجيئك وهو محتاج، فتبيعه ما يساوي عشرة بعشرين.

عباد الله: إنه لا مانع من البيع المؤجل بثمن أكثر من الثمن الحاضر للمحتاج وغير المحتاج، ولكن لا ينبغي أن يكون الزيادة كثيرة مجحفة، لا سيما إذا كان المشتري مضطرا إلى الشراء، فلا ينبغي أن تستغل ضرورته، ويحمل الزيادات الباهظة، لأن هذا إضرار يتنافى مع الرحمة والفضل بين المسلمين.

ومن الإضرار عباد الله **إضرار الجار بجاره**، مثل أن يغرس في مُلكه شجراً تتمدد أغصانه وفروعه على أملاك جيرانه، أو يحفر بئرا تجذب الماء عنهم، أو ينشئ مصنعاً في ملكه يتضرر منه جيرانه بالدخان أو الغبار أو الأصوات أو الروائح، أو يفتح في جداره نوافذ تطل على جيرانه أو يعلي البناء عليهم فيمنع عنهم الهواء، والشمس إلى غير ذلك فإن هذا الضرر ممنوع تجب عليه إزالته.

وكذلك من أعظم المضارة بالجيران أن يؤجر بيته لأناس لا يُصلّون ولا يخافون الله، فإن هؤلاء يضرون المسلمين ويضايقونهم وقد يؤثرون على أولادهم ومن خالطهم، وكذلكم يحرم تأجير الدكاكين والمحلات لبيع المواد المحرمة أو نشرها أو تسويقها.

ومن الإضرار في المعاملات: التدليس والغش في المعاملات وكتم العيوب فيها، وبيع المسلم على بيع أخيه، والشراء على شرائه. والخطبة على خطبة أخيه، كل هذا من المضارة المنهي عنها.

وكل معاملة من هذا النوع، فإن الله لا يبارك فيها، لأنه من ضار مسلما ضاره الله، ومن ضاره الله، ترحل عنه الخير، وتوجه إليه الشر وذلك بما كسبت يداه.

وأشد من ذلك: الوقيعة في الناس عند الولاة والأمراء، رفع التقارير والشغل المخابراتي؛ ليعاقبوهم أو يأخذوا أموالهم أو يمنعونهم حقوقهم، فإن من عمل هذا العمل فإنه باغ، فليتوقع العقوبة العاجلة والآجلة.

هذا وغيره داخل في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب: ٥٨]، ونهى عن ترويع المسلم، ولو على وجه المزح.

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال: حدثنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، أنهم كانوا يسيرون مع النبي -ﷺ-، فنام رجلٌ منهم، فانطلق بعضهم إلى حبل معه، فأخذه، ففزع، فقال رسول الله -ﷺ-: «**لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً**» [رواه أبو داد في ك الأدب ب من يأخذ الشيء على المزاح ٧ / ٣٥٢ رقم ٥٠٠٤، وأحمد ٣٨ / ١٦٣ رقم ٢٣٠٦٤، والبيهقي في السنن الكبرى ك الشهادات ب المزاح لا ترد به الشهادة. . . ١٠ / ٤٢٠ رقم ٢١١٧٧ .]

حتى الإشارة بحديدة محرمة، عن أبي هريرة، قال: قال أبو القاسم -ﷺ-: «**من أشار إلى أخيه بحديدة، فإن الملائكة تلعنه، حتى يدعه وإن كان أخاه لأبيه وأمه**»[رواه مسلم في ك البر والصلة ب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم ٤ / ٢٠٢٠ رقم ٢٦١٦ .].

ومن الضرر اصابة المسلم لأخيه المسلم بالعين بسبب الحسد، وعدم التبريك، وذكر الله عند رؤية ما عنده من نعم وهبه الله إياها، قال -ﷺ-: «**علام يقتل أحدكم أخاه إذا رأى أحدكم من أخيه ما يعجبه فليدع له بالبرك، فإن العين حق**» [رواه احمد والحاكم وصححه الألباني].

ومن الإضرار الممنوع: **مضارّة الناس في طرقاتهم** بوضع الأذى فيها، أو وضع ما يمنع المرور أو يسبب الحوادث، أو مخالفة أنظمة السير بما يعرض الناس للخطر، كل هذا ضرر محرم.

ومِن أنواع الضّرر - **أيّها المسلم** - أن يكونَ الإنسان مُروِّجًا لسِلَع تضرّ بالناس في دينهم ودنياهم، فمروِّجو المخدّرات والمسكرات والساعون في بثّها في المجتمع المسلمِ هؤلاء قد ألحقوا ضررًا بالأمّة، وسعَوا في إفسادها وتدمير كيانِها والقضاء في قيَمها وأخلاقها، أعاذنا الله وإياكم من ذلك.

عبدالرحمن السميط رحمه الله

رجل بأمة

عبدالرحمن السميط
رجل بأمة رحمه الله

الحمد لله فاطرِ الأرض والسماء، كاشفِ الضُّرِّ ورافعِ البلاء، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، قضى أن لا يقوم هذا الدين إلا بدماء الشهداء، وتضحياتِ الدعاةِ والعلماء، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله، أعظم الداعين إلى الله بالحكمة والموعظة، وأشدُّهم جهاداً وتضحيةً وفداء، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: عباد الله:

اتقوا الله وراقبوه، فهو القائل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢]، وقال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١]، وقال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الحشر: ١٨].

عباد الله: ليست الرزية والمصيبة في فقد المال، والمقدرات والسيارات، إنما الرزية والكارثة هي في فقد النفس البشرية التي هي عند الله عظيمة جد عظيمة.

وحين تكون هذه النفس من العلماء والعُبّاد والمفكرين والصالحين وصانعي المعروف وكافلي الأيتام تكون المصيبة عظيمة، والوقع كبيرا، فالناس درجات، يصطفي الله -عز وجل- منهم أناسا ليكونوا رقما في واحد.

الناس ألفٌ منهم كواحدٍ ... وواحدٌ كالألف إن أمر

﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ﴾ [النحل: ١٢٠].

اسمع أخي الحبيب إلى من موتهم علينا مصيبة ونقص في الدين هل أنت منهم قال الشاعر:

إذا مـا مـات ذو علـمٍ وتقـوى ... فقـد ثُلمـت مـن الإسـلام ثلمـه
ومـوت الحـاكم العـدل المـولّى ... بحكـم الشرـع منقصـة ونقمـه
ومـوت العابـد القـوّام لـيلاً ... ينـاجي ربـة في كـل ظلمـه
ومـوت فتـىً كثـير الجـود محـل ... فـإنّ بقـاءه خـيرٌ ونعمـه
ومـوت الفـارس الضرـغام هـدمٌ ... فكم من شهدت له بالصبر عزمه
فحسـبك خمسـة يبكـي علـيهم ... وبـاقي النـاس تخفيـف ورحمـه
وبـاقي النـاس هـم همـجٌ رعـاعٌ ... وفي إيجـادهم لله حكمـه

واليوم سنقف وإياكم مع أحد هؤلاء الرجال العظماء صانعي المعروف ليس من الصحابة ولا من التابعين ولا تابعي التابعين بل في هذا العصر الذي امتلأ بالمغريات والملهيات.

إنه رجل بأُمة. إنه رائد الإغاثة في قارة أفريقيا الداعية **الدكتور عبد الرحمن السميط**، رحمه الله.

لعمرك ما الرزيّةُ فقد مالٍ ... ولا شاة تموت ولا بعير
ولكـن الرزيـة فقـد حُـرٍّ ... يموت بموته خلق كثير

سَنَقِفُ مع سيرته، وهمَّته وجُهوده، لعلّ ذلك يبعث في نفوسنا حبَّ الدعوةِ إلى الله -تعالى-، والتضحيةَ والمُصابرةَ في سبيله. وفعل الخير الذي هو مفتاح الفلاح قال تعالى وافعلوا الخير. . .

لمن لم يعرف "**عبد الرحمن السميط**" إنه مؤسس جمعية العون المباشر، وواضع أساس، واللبنات الأولى للجنة مسلمي أفريقيا.

"**عبد الرحمن السميط**" هذا الرجل كان يستطيع أن يعيش عيشة السلام، عِيشة الأغنياء.

كان يستطيع أن تكون حياته أهنأ حياة برداً وسلاماً.

سمع -رحمه الله- قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: «**لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حُمر النعم**»

فأسلم على يديه أكثر من سبعة ملايين نفس، كلهم يسألون الله أن يكونوا في موازين أعماله.

الله أكبر همّة تنطح الثريا: هذا الرجل استلهم ما حسّنه الألباني أن النبي -عليه الصلاة والسلام- قال: «**أفضل الصدقة سقي الماء**» [أخرجه أحمد (٥/ ٢٨٤، رقم ٢٢٥١٢)، وأبو داود (٢/ ١٢٩، رقم ١٦٧٩)، وغيرهم]

فحفر أكثرَ من عشرة آلاف بئر، وحاله:

أسـقّيهم بـماء كـوثري لعلي في ظمأ العرصات أُسقى

هذا الرجل سمع قول النبي -ﷺ-: «**أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة**»[رواه البخاري في صحيحه (٦٠٠٥) كتاب الأدب].

فرعى وشارك في كفالة أكثر من خمسة عشر ألف يتيم، وايتامه ساعون في الأرض دعوةً، وهم شهداء الجود يوم التغابن، هنيئا جوار المصطفى واقترابه، وأفراحه يوم الرضا والمحاسن.

لقي طبيب في أوروبا من أفريقيا في مؤتمر فسأله أتعرفني؟ فقال: لا. فقال: أنا أحد ايتامك المكفولين في أفريقيا.

ما كان يبتغي إلا تحقيق قول الله: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾﴾ هذا الرجل استلهم قوله عليه الصلاة والسلام: «**من بنى لله مسجداً، بنى الله له بيتا في الجنة**» [صحيح، أخرجه أحمد (١/ ٢٤١)، وابن ماجه: كتاب المساجد والجماعات - باب من بنى لله مسجداً حديث (٧٣٨)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٢)].

فساهم في بناء أكثرَ من ستة آلاف مسجد، قرة عينيه يوم تأتي شاهدة له يوم العرض الأكبر.

في زمن الرصاص فتح هذا الرجل قارة أفريقيا بلا رصاصة واحدة، في زمن الدماء واللعب بالأشلاء، يفتح هذا الرجل بإذن الله وفضله نفوساً عُمياً وقلوباً غُلفاً وآذاناً صُما، بالموعظة الحسنة، في زمن الهرج والمرج والموت، يصنع هذا الرجل الحياة.

ووزّع أكثر من سبعة ملايين مُصحفاً باللغة العربية، واللغات الإفريقية.

لماذا هذا الرجل؟

نُعزي أنفسنا بأعماله وآثاره، نُعزي أنفسنا به وبجهاده، وآثاره.

لماذا هذا الرجل؟ لأنه من الرجال الذين لا يموتون؛ بل تبقى آثارهم بعد وفاتهم.

لماذا هذا الرجل الإمام؟

لنفاخر بها أجيالنا، يوم أن فقدت القدوةَ إلا قليلا ممن رحم الله.

الناس صنفان موتى في حياتهم وآخرون ببطن الأرض أحياء

لماذا هذا الرجل؟

لأنه يعلمنا أن العمل لله ولدينه هو سبيل المخلَصين الفالحين، وأن حياة بلا عيش مع الله هي موت مع الشيطان.

لماذا هذا الرجل؟ لأنه يعلمنا كيف العملُ بصمت، وكيف تصنع من نفسك آثاراً تَفيض عليك بعد مماتك.

كان طبيباً مُتخصصاً في الأمراض الباطنية والجهاز الهضمي، شدِّ الرحال إلى القارَّةِ السوداء: أفريقيا، نعم، إلى أفريقيا، قارةُ الفقر والجوع والحرب، قارة الأمراض والأوبئة وشدَّة العيش.

فلماذا يذهب إليها، ويترك وظيفته المرموقة، وراتبه الكبير، ويذهبُ إلى القارة التي هذه حالها وصفتُها.

نعم، هاجر إلى أفريقيا، حينما شعر بخطر المجاعة التي تُهدد المسلمين فيها، وأدرك خطورة حملات التنصير، التي تجتاح صفوف فقرائهم، فترك عمله الطبيَّ طواعية، ليجسد مشروعًا خيريًّا رائدًا، في مواجهة الفقر وخطر التنصير.

ولمعلوماتكم عدد المنصرين العاملين الآن في هيئات ولجان تنصيرية يزيدون على أكثر من (٥١) مليون منصر، ويبلغ عدد الطوائف النصرانية في العالم اليوم (٣٥) ألف طائفة، ويملك العاملون في هذا المجال (٣٦٥) ألف جهاز كمبيوتر لمتابعة الأعمال التي تقدمها الهيئات التنصيرية ولجانها العاملة، ويملكون أسطولا جويا لا يقل عن (٣٦٠) طائرة تحمل المعونات والمواد التي يوزعونها والكتب التي تطير إلى مختلف أرجاء المعمورة بمعدل طائرة كل أربع دقائق على مدار الساعة، ويبلغ عدد الإذاعات التي يملكونها وتبث برامجها يوميا أكثر من (٤٠٥٠) إذاعة وتليفزيون، وأن حجم الأموال التي جمعت العام الماضي لأغراض الكنيسة تزيد على (٣٠٠) مليار دولار، وحظ أفريقيا من النشاط التنصيري هو الأوفر. . .

في إفريقيا كم داوى فيها من مريض؟ وكم عالج فيها من جريح؟ كم وقف بنفسه مع المنكوبين؟ وكم واسى الفقراء والمحتاجين، وأطعم الجائعين، وأغاث الملهوفين؟ كم مسح على رأس اليتامى؟ وكم سدَّ حاجات الأيامى؟ كم صبر وصابر في سبيل خدمة هذا الدين، والوقوفِ مع حاجات المسلمين؟ كم تعرض لمحاولات قتلٍ في أفريقيا، مِن قِبل المجرمين وأعداء الدين؟ كم حاصرته أفاعٍ سامَّةٍ ومُوحشة، صبر على لسعات البعوض المُؤذية، في تلك القرى والأدغال البعيدة، صبر على شحِّ الماء وانقطاع الكهرباء؟

تسلّق الجبالَ الشاهقة، وقطع القفار الواسعة، في سبيل الدعوة وتبليغ الرسالة. قضى تسعاً وعشرين سنةً في أفريقيا، وكان لا يأتي لوطنه إلا للزيارة أو العلاج. وكان في صُحبته زوجتُه المُوفقة، التي هجرتْ مع زوجها حياة الراحة والدَّعة، فأقاما في بيتٍ متواضعٍ في قرية هناك، يُمارسان الدعوة للإسلام بنفسيهما، ويعيشان بين الناس في القرى والغابات، ويقدمان لهمُ الخدمات الطبية والاجتماعية والتعليمية.

لقد تبرعتْ هذه الزوجةُ الصالحة، بجميع إرثها لصالح العمل الخيري، وأسَّستِ الكثير من الأعمال التعليمية والتنموية، وهي بدعمها ومؤازرتها لزوجها: من أعظم أسباب نجاحه وثباته. فيا ليت نساءنا يقتدين بهذه المرأة الصالحة، فكلُّ ما عمله وأنتجه زوجُها هو في ميزان حسناتها.

كان يقودُ السيارة أحياناً، لمدةٍ تزيدُ على العشرين ساعة، حتى يصل إلى الأماكن البعيدة، ورُبَّما سار في بعض الأيام على أقدامه، في الوحل والمستنقعات.

كان أشدَّ ما يُؤلمه ويُؤَثِّر عليه، حينما يذهب إلى منطقةٍ أو قبيلة، ويدخل بعض أبنائها في الإسلام، ثم يصرخون ويبكون على آبائهم وأمهاتهم، الذين ماتوا على غير الإسلام، فيُعاتبونه قائلين: أين أنتم كلَّ هذه السنين؟ الآن بعد أنْ مات آباؤنا على الكفر جئتم إلينا؟

فكانت هذه الكلمات تجعله يبكي بحُرقة، ويشعر بعِظَم المسئولية، تجاه هؤلاء الذين ماتوا على الكفر.

فقطع على نفسه العهد مع الله -تعالى-، أن يمضيَ بقية عمره في الدعوة إلى الله هناك.

نال السميط عدداً من الأوسمة والجوائز والدروع والشهادات التقديرية، مكافأة له على جهوده في الأعمال الخيرية، ومن أرفع هذه الجوائز جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام، والتي تبرع بمكافأتها (٧٥٠ ألف ريال سعودي) لتكون نواة للوقف التعليمي لأبناء أفريقيا، ومن عائد هذا الوقف تلقت أعداد كبيرة من أبناء أفريقيا تعليمها في الجامعات المختلفة.

وكان إذا أرخى الليل سدوله، لا ينام حتى يقف على الحلقات المستديرة، التي يجتمع فيها أبناء الأيتام، يقرؤون ويتدارسون القرآن، وهو ينتقل من حلقةٍ إلى أخرى، ليطمئن على حفظهم، ويبتسم في وجوهم.

كان مصاباً بداء السُّكريِّ، والكولسْترولِ، ونزيفٍ في العين، وأصيب بالملاريا مرتين، ويُعاني من آلامٍ في قدمه وظهره، ويتناول أكثرَ من عشرةِ أنواعٍ من الأدوية يوماً.

ومع ذلك، لم تُثْنِه هذه الصُّعوباتُ عن السفر والبذل، في عمله ومشروعه الدعوي والإغاثي، ونشرِ دين الإسلام، وإقامةِ المشاريع التنموية والتعليمية، لأناسٍ نسيهم العالم خلف الأدغال.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

أما بعد: أيها الحبيب: من السهل أن تكون مشهورا لكن من الصعب أن تكون عظيما.

إن جهودَه ومُثابرتَه -رحمه الله-: آتت أُكُلَها، وأنتجت ثمارَها، فقد أسلم على يديه وعلى أيدي أتباعه وتلاميذه: ما لا يقل عن عشرةِ ملايينِ إنسان، وعشرات الألوف من القبائل بأكملها، الذين أسلموا فتحوَّلوا إلى دعاةٍ للإسلام، أنقذهم وساهم في مدِّ يد العون لهم، من خلال توفير المسكن والعمل، والمستشفيات والمدارس وغيرها من الاحتياجات.

وأصبحت جمعية العَون المباشر، التي أسسها هناك، أكبرَ منظمةٍ عالميةٍ في أفريقيا كلِّها، يدرس تحت مظلَّتها أكثرُ من نصف مليون طالب، وتمتلك أكثر من أربع جامعات، وعدداً كبيراً من الإذاعات والمطبوعات، وقامت بحفر وتأسيس أكثرَ من ثمانمائة بئر، وإعدادِ وتدريبِ أكثرَ مِنْ أربعة آلاف داعيةٍ ومعلمٍ ومفكر.

إنَّ هذه الإنجازات الضخمة، لم تكن إلا بتوفيقِ الله وحده، ثم برفقه في الدعوة إلى الله، ولينِه ورحمتِه وحكمتِه، وعدمِ الصدام والمواجهةِ دائماً مع الآخرين، فقارنوا ما أنْجَزَتْهُ أفعالُه وأخلاقُه، مع مَن رفع شعار العنفِ والشدَّة، وقابَل مُخالفيه بالسِّباب والغلظة، حيث ظنَّ أنَّ أعداءَ الإسلام لا يُواجَهون إلا بالسلاح والقوة، لا بالدعوةِ إلى الله بالحكمةِ والموعظةِ الحسنة.

أيها المسلمون: لقد كانت همَّةُ هذا الداعيةُ الكبير لا مُنتهى لها، وهَمُّه لأمَّته لا نظير لها، فقد طَلَبَ منه كثيرٌ من الناس أنْ يرجع إلى وطنه، وخاصةً بعد كِبره وكثرةِ أمراضه، فكان يُجيبهم قائلاً: «سأُلقي عصا الترحال يوم أنْ تضمنَ الجنة لي، وما دمتُ دون ذلك فلا مفرَّ من العمل، حتى يأتيَ اليقين، من ينقذني من الحساب، يوم يشكوني الناس في أفريقيا، بأنني لم أسع إلى هدايتهم».

لـــهُ همـــمٌ لا مُنتَهَـــى لِكِبارِهـــا وهِمَّتُـهُ الصُّـغرى أجـلُّ مـنَ الـدَّهْرِ
لـهُ راحـةٌ لـو أنَّ مِعشـارَ جودِهـا على البَرِّ صارَ البرُّ أنْدى من البحرِ

لم يفرِّق يوماً في إغاثته بين مسلمٍ وكافر، لم يطعمْ ويُكرمِ المسلم، ويحرمِ الكافرَ والمشرك الذي بجانبه، بل جعلهم سواءً في دعوته وإغاثته، فلذلك دخل هؤلاء الكفَّارُ الفقراءُ والمرضى، في دين الله أفواجاً.

أسلمتْ هذه الأعداد الغفيرة؛ حينما رأوا من أخلاقه وسماحته، في الوقت الذي كانت فيه بعض الجمعيات النصرانيَّة، لا تعطي الطعام ولا تعالج الفقراء، إلا بشرطِ أنْ يتنصَّروا.

رحم الله الدكتور عبد الرحمن السميط، وغفر له وهيأ للأمة رجالا أمثاله.

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا أخرتنا التي إليها معادنا. اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، اللهم ارزقنا خشيتك في الغيب والشهادة. اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا. اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقواتنا أبداً ما أحييتنا، واجعله الوارث منا واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا. واختم لنا بخير، واجعل عواقب أمورنا إلى خير، وتوفنا وأنت راضٍ عنا.

اللهم انصر المجاهدين المسلمين الموحدين الذين يجاهدون في سبيلك في كل مكان، اللهم آمنا في أوطاننا ودورنا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا. واحشرنا يوم القيامة في زمرة نبينا ولواء حبيبنا، واسقنا بيده الشريفة شربة هنيئةً مرئيةً لا نظمأ بعدها أبداً. اللهم اشف مرضانا وارحم موتانا وانصرنا على من عادانا، واختم بالباقيات الصالحات أعمالنا، وبلغنا فيما يرضيك آمالنا. آمين.

ألا وصلوا على نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم كما أمركم ربكم- ﷻ حيث قال تَعَالَىٰ:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾

[سُورَةُ الأَحۡزَابِ: ٥٦]

اللهم صلّ وسلم وبارك على رسولك ونبيك محمد وعلى آله وصحبه.

خاتمة

الخاتمة

ختاماً

انتهى الجزء الثامن من كتاب بستان الخطيب بعون الله وتوفيقه.

ونلتقي بإذن الله في الجزء التاسع قريباً إذا كان في العمر بقية والله الهادي إلى سواء السبيل.

سيبقى الخط بعدي في الكتاب ... وتبلى اليد مني في التراب

فيا ليت الذي يقرأ كتابِ ... دعا لي بالخلاص من الحساب

اللهم اغفر للقارئ والكاتب. واغفر لكل من أهدى إليّ عيباً من عيوبي.

اللهم اجعل هذا العمل صالحاً ولوجهك خالصاً برحمتك يا أرحم الراحمين.

إنك ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلّ اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه:

د. أمير بن محمد المدري

Almadari_1@hotmail. com

٠٠٩٦٧٧٠٣٤٣٤٧٠ - ٠٠٩٦٧٧١١٤٢٣٢٣٩

تم الانتهاء من مراجعة الطبعة في مدينة الغيضة

يوم السبت الخامس عشر من ربيع الأول ١٤٤٥هـ الموافق الثلاثون من سبتمبر ٢٠٢٣م.